بسم الله
الرحمن الرحيم

في المنفى ١

رواية عن نفي سماحة الإمام الخامنئي
إلى مدينتي إيرانشهر و جيرفت
في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية

صهبا

في المنفى

رواية عن نفي سماحة الإمام الخامنئي

إلى مدينتي إيرانشهروجيرفت

في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية

جمع وتأليف: مؤسسة صهبا

ترجمة: سيد مقداد الحيدري

كانون الثاني – ٢٠١٨

ISBN: ٩٧٨-٦٠٠-٦٢٧٥-٥٤-٣

arabic.SAHBABOOKS.com

info@SAHBABOOKS.com

محتويات الكتاب

التمهيد	٧
الفصل الأول	١١
١: مقابلة	١٣
الفصل الثاني	٤١
١: الخريف ١٩٧٧	٤٣
٢: الشتاء ١٩٧٧ و ١٩٧٨	٦١
٣: الربيع ١٩٧٨	٨٧
٤: الصيف ١٩٧٨	١٢٥
٥: الخريف ١٩٧٨	١٦٩
الفصل الثالث	١٨٣
الملحق ١: الهامش	١٨٥
الملحق ٢: صور	١٩١

التمهيد

في سنة ١٩٧٧ استضافت مدينة إيرانشهر الصغيرة ضيفًا، لم ينزل فيها عن طوع أمره، ولكنه دخلها عن شوق وشكر، وكلما تقادم الزمن ازداد شكره وتضاعف حبّه لأصحابه في هذه المدينة.

«صهبا» مؤسسة تعنى بجمع وتأليف ما له صلة بسماحة الإمام الخامنئي (دام ظله) من كلمات وخطابات وذكريات، وعلى أعتاب الذكرى السنوية الأربعين لهذا النفي الظالم، ولكنه المبارك لإيران وإيرانشهر، حالفها التوفيق لأن تحلّ ضيفًا في إيرانشهر لعدّة مرات، بغية أن تقوم بتدوين تلك الأيام المفصلية بمقدار وسعها واستطاعتها.

كلّ ما جاء في الكتاب عن إيرانشهر، يعود إلى سنتي ٧٧ و٧٨، ولكن حريٌّ بنا أن نتحدث عن مدينة إيرانشهر ومحافظة بلوشستان في عهد الجمهورية الإسلامية، وعمّا شاهدناه بأبصارنا وأدركناه بقلوبنا عن كثب:

«ساحة الولاية» من أجمل ساحات إيرانشهر، وأقربها إلى الدار التي كان الإمام القائد قد استأجرها في هذه المدينة، وقضى فيها جلّ أيام نفيه.

لا ساحة الولاية ولا تلك الدار وذلك الزقاق وذلك المسجد الذي كان سماحته يُقيم

فيه صلاة الجمعة والجماعة وحسب، بل كل المدينة مازالت تفوح بعَبَق الحضور وتستظلّ بظلّ الولاية.

لكل واحد من القدامى في هذه المدينة ـ شيعة وسنة ـ ذكرى تراود ذهنه عن تلك الفترة، وإن كانت بمقدار حلاوة ابتسامة رجل دين شيعي منفي لطفلٍ ابن أربع أو خمس سنوات وهو يلعب في الزقاق. بل وحتى أولئك الذين لا تمتدّ أعمارهم إلى تلك الفترة يستشعرون هذا الحضور، وإن لم تكن لديهم معلومات دقيقة عنه.

تتوافر في إيرانشهر وبلوشستان إمكانية نشوب الاختلافات والاضطرابات وفقدان الأمن والفوضى بنسبة كبيرة، وذلك لعدة أسباب منها: تعدّد الأقوام والقبائل التي تختلف اختلافًا جادًا مع بعضها الآخر في التوجّهات والرؤى، تعايش أبناء الطائفتين الشيعية والسنية جنبًا إلى جنب، وجود المشاكل الاقتصادية، والمشاكل الطبيعية كالجفاف والعواصف الترابية وما إلى ذلك.

رغم وجود كل هذه الأرضية الملائمة لبروز الاضطرابات وإثارة الصراعات وتعزيز الاختلافات، تنعم بلوشستان ومنها إيرانشهر بهدوء واستقرار، والناس فيما بينهم يتعايشون تعايشًا سلميًا ملموسًا.

للوقوف على جذور هذا الاستقرار، لابد من دراسة تأريخ المنطقة وسجايا أهاليها ومجالات كثيرة أخرى، ولكن لا شك أن أحد نماذج الهدوء والاستقرار والانسجام والتآزر العام في إيرانشهر، قد تبلور في سنتي ٧٧ و٧٨، منحدرًا من سلوك ذلك العالم المنفيّ.

إنّ روح التعاضد والتعاون التي دبّت حينذاك في المدينة على أساس الوحدة والأخوّة الإسلامية، مازالت جارية وسارية فيها. وهذا هو جانبٌ من عَبَق الولاية الذي يستطيع استشعاره حتى شباب إيرانشهر أيضًا.

إنّ أداء الإمام الخامنئي وسلوكه مع شتى صنوف الناس في فترة نفيه ـ والذي سنقف

عليه في هذا الكتاب إن شاء الله ـ لم يغدُ مثالًا للناس وحسب، بل أضحى أنموذجًا يحتذى به للمدراء والمسؤولين الصغار والكبار في هذه المنطقة أيضًا... الأنموذج الذي جلب تطبيقه لهم أفضل النتائج، وألحق الإعراض عنه بهم وبالمنطقة الضرر.

لربما من الغريب أن يكون سلوك رجل منفي، بما أُحيط به من قيود وضغوط، نموذجًا للمدير والمسؤول، بيد أنّ هذا ما سمعناه كثيرًا من شتى المسؤولين في تلك المنطقة وفي قطاعات مختلفة وبتوجهات متنوعة وأحيانًا متعارضة، فقد أجمعت كلمتهم على أنه متى ما تم العمل على أساس أصول وتعاليم سماحة السيد القائد، استتبّ الأمن والاستقرار في المنطقة، وفي بعض الأحيان إذا ما ابتعدنا عن هذه الأصول والأسس، نشبت الاختلافات وأُثيرت الصراعات والنزاعات فيها.

نبذة عن الكتاب

يعود الجزء الرئيس من الكتاب إلى مقابلة قام فيها سماحة الإمام القائد ببيان ما جرى في فترة نفيه إلى مدينتي إيرانشهر وجيرفت بالتفصيل.

والملفت أنّ هذه المقابلة، التي تنطوي على جوانب من حياة الإمام الخامنئي، كانت منذ البداية قد أُجريت باللغة العربية، حيث أجراها الدكتور محمد علي آذرشب (أستاذ الأدب العربي) مع سماحته بنية نشرها بين الناطقين باللغة العربية.

وأما بقية الكتاب الذي يحتوي على أحداث تلك الفترة، وعلى أقوال الإمام الخامنئي وأقوال من كانت لهم صلة بسماحته في استعراض ذكريات المنفى بالفارسية، فقد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية على أمل أن تعمّ بها الفائدة، وأن يتعرف الناطقون باللغة العربية على هذه الحقبة الحساسة والجميلة والملهمة للدروس من حياة الإمام القائد.

وهنا جدير بنا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم التقدير للأستاذ الدكتور آذرشب على

ملاحظاته السديدة وآرائه الرشيدة، فشكر الله سعيه وأجزل مثوبته.

* * *

الجوهرة النفيسة إذا ما وُضعت في مكان مناسب ينعم بالنور والضياء الكافي، تبهر العيون وتتلألأ وكأن النور يسطع من مكنونها، غير أنّ نفس هذه الجوهرة إذا وضعت في مكان مُظلم لا يمكن رؤيتها. وأما الوجود النيّر الذي يتصاعد النور من سريرته، فإنه أينما كان، ستتجلى آثاره وسيبهر القلوب والأعين.

نشكر الله سبحانه وتعالى ونحمده حمدًا دائمًا سرمدًا على قائدٍ عمّت هدايته الأرجاء أينما كان: في الدرس، وعلى المنبر، وفي محراب المسجد، وفي وسط المظاهرات، وفي السجن، وفي المنفى، وفي الجبهات، وخلف منصة إمامة الجمعة، ومنصة الأمم المتحددة، و... واليوم في موقع قيادة الأمة الإسلامية والمظلومين والمنادين بالحرية في العالم.

إلهنا! يومًا بعد يوم زِد من نور ونفوذ ومجد وعزة وعظمة إمامنا وقائدنا...

٢٠١٨/٠٨/٠٨

صهبا

الفصل الأول

١: مقابلة

مقابلة قام فيها سماحة الإمام القائد ببيان

ما جرى في فترة نفيه إلى مدينتي إيرانشهر وجيرفت

في سنة ١٣٥٦ هجرية شمسية (١٢٩٧ ه.ق) ساد البلاد توتّر عام. في هذا العام توفّي السيد مصطفى الخميني نجل الإمام الخميني في النجف، في ظروف غامضة، فأثارت وفاته حالة من ألم عميق بين الناس تحول إلى مجالس سخط واعتراض على السلطة.

بعد وصول نبأ وفاة السيد مصطفى رضوان الله عليه خططنا في مشهد لاتخاذ الموقف اللازم. ذهبت إلى دائرة البريد والبرق فكتبت أربعة برقيات واحدة باسمي والأخرى باسم الشيخ الطبسي وثالثة باسم الشيخ المحامي والرابعة باسم السيد هاشمي نجاد. حين سلمت البرقيات إلى موظف البريد استغرب وراح يريها أصدقاءه، فساد الموظفين جوّ من الدهشة، فقد كانت نصوص برقيات التعزية تضم عبارات تحدٍّ للسلطة لما فيها من إجلال لشخص السيد الإمام، ومواساة عميقة لما يحمله من هموم، وظن موظف البريد أنّي سأتراجع حين يحسب لي تكلفة المخابرة، لكنه فوجيء بتسليمه عملة من ١٠٠٠ تومان. وكانت باهظة على أمثالي.

ثم حاولنا إقامة مجلس فاتحة في أحد المساجد، فمنعته السلطات وأغلقت المسجد.

وفي قمّ أقام المؤمنون مجلس فاتحة، ولكنه انتهى باعتقال عدد منهم.

في تلك الأيام اتصل بي الشيخ الخلخالي من قم وقال لي: لقد ألقي القبض على جمع من المؤمنين ولابد أن يحين دوري ودورك!

قلت، لماذا؟ ما السبب؟ ماذا فعلت حتى يلقى القبض عليّ؟!

وفي ساعة متأخّرة من إحدى ليالي شتاء ذلك العام كنت نائما إذ دُقّ الباب. استيقظت من النوم، وعلى عادتي ذهبت بنفسي لفتح الباب دون السؤال عن الطارق. كانت قد بقيت ساعة على الفجر وأفراد العائلة نائمون في الفناء الداخلي. فتحت الباب فإذا بشباب يحملون بيدهم رشاشات ومسدسات! خطر في ذهني فجأة أنهم يساريون يريدون تصفيتي. إذ أخبرني السيد البهشتي يومذاك أنّ اليساريين يقودون حملة تصفيات الإسلاميين، وطلب مني أن أكون على حذر. فقد اقتحموا بيت «السيد الموسوي القهدريجاني» في كرمانشاه ليلًا، وأوثقوه وهمّوا بقتله لولا أن فرّ في حادثة عفوية ونجا من الموت. والمسألة لاتزال غامضة لم نتصدَّ لكشفها.

وما إن خطر في بالي ذلك حتى أسرعت لغلق الباب. حاولوا أن يحولوا دون إغلاق الباب ولكن خوف الموت قوّاني فغلبتهم وأغلقت الباب. ثم خطر في ذهني أن هولاء قد يتسوّرون الجدار أو يدخلون من منفذ آخر، وبينا أنا في هذا التفكير إذ صاح أحدهم: افتح الباب باسم القانون. عرفت من كلامهم أنهم من رجال السافاك. حمدت الله أنهم ليسوا من اليساريين كما ظننت. ضربوا زجاج باب البيت فهشموه، اتّجهت إلى الباب ففتحته، فهجم ستة أشخاص وشرعوا بضربي بعنف وقسوة بين باب البيت وباب الفناء الداخلي. عندها استيقظ مصطفى وهو آنذاك ابن ١٢ عامًا وأخذ ينظر مدهوشًا إلى مشهد ضرب والده من خلف الزجاج ويصرخ. واصلوا

ضربهم بالأيدي والأرجل دون رحمة وتعمدوا ضربي برؤوس أحذيتهم على ساقي. ثم وضعوا القيد في يدي، وأمروني أن أتقدمهم إلى داخل البيت. قلت لهم: ليس من المروءة أن يراني أهلي مقيدا، افتحوا القيد. فتحوه، ودخلت البيت فوجدت زوجتي واجمةً وحولها أبناؤها الأربعة بين نائم ومستيقظ، وأصغرهم ميثم وكان ابن شهرين، قلت لهم: لا تخافوا، ضيوف.

راح رجال السافاك، يبحثون في البيت حتى المطبخ ودار الخلاء!

بادرت زوجتي مبادرة رائعة، دخلت غرفتي التي أستقبل فيها الناس وكان لها بابان: باب يفتح على مكتبتي، والآخر على الفناء الداخلي للبيت. فجمعَت ما كان فيها من بيانات سرية، ولا أدري كيف عرفَت بوجودها في الغرفة، ولا أدري كيف استطاعت أن تدخل دون أن يفهم رجال الأمن بدخولها. حتى أنا لم ألتفت إلى مبادرتها حتى أخبرتني هي بعد ذلك. جمعَت هذه البيانات ووضعتها تحت السجادة، ولم يعثر عليها السافاكيون. دخلوا المكتبة وفتشوها وأخذوا شيئا كثيرا من كتبي ومكتوباتي وأوراقي ولا تزال مفقودة.

بقوا ساعة أوأكثر يفتشون كل زوايا البيت وخباياه، حتى دخل وقت صلاة الصبح. قلت: أريد أن أصلي. رافقني أحدهم إلى مكان الوضوء، توضأت وعدت إلى المكتبة حيث صليت. ثم صلى أحدهم ولم يصلّ الباقون بل واصلوا تفتيش البيت ولم يتركوا شبرًا فيه إلا ونقبوه. وأظن أني طلبت من أم مصطفى شيئا من الطعام. ثم طلبت منها أن توقظ مجتبى ومسعود لأودعهم. وقيل للأولاد عند توديعهم: أبوكم عازم على سفر. قلت: لاداعي للكذب. وأخبرت الأولاد بالواقع.

حينما خرجت من البيت وجدته محاصرًا من قبل أفراد آخرين. جاؤوا بسيارة إلى داخل الزقاق الضيق الذي يقع فيه بيتي. وكانت سيارة «جيب» عادية. وبدون أن

يشدوا عيني أجلسوني في السيارة. وكان أحدهم يردد خلف اللاسلكي: عقاب.. عقاب.. عقاب.. أخذناه.. أخذناه.

كان ذلك قبل انتصار الثورة بعام واحد فقط!!

أخذوني إلى مركز السافاك في مشهد، وأنزلوني إلى سردابه. وكان فيه ممرات ضيقة. وعلى جانبيها زنزانات. بقيت هناك ساعات، تفاءلت خلالها بمصحف كان معي، فطالعتني آية فيها بشرى، سارعت إلى تدوينها خلف المصحف. جاؤوني بغداء، بعد تناول الطعام أجلسوني في سيارة انطلقت خارج المدينة.

لا أدري ماذا يريدون أن يفعلوا، فالأمر يختلف عن المرات السابقة. السيارة عادية.. وبدون شدّ العيون.. والتوجّه إلى خارج المدينة.

توقفت السيارة عند مركز شرطة الدرك.. فعلمت أنهم يريدون نفيي لا سجني. بقيت في مركز الدرك خمسة أيام جاء خلالها الأهل والأصدقاء لزيارتي أكثر من مرّة. كان في مركز الدرك سجن عسكري ولكن لم يُدخلوني السجن، بل وضعوني في حجرة ضابط الخفر. كان رئيس المخفر رجلا برتبة عقيد يتمتع بشيء كثير من الشخصية والنجابة فلم يكن يتعامل معي تعامل سجّان مع سجين. بل كان لي نوع من الحرية أخرج من الغرفة وأمارس الرياضة في الهواء الطلق.

أُخبرت أن منفاي مدينة «إيرانشهر». استبشرت بالخبر لعلمي بأن صديقي الشيخ محمد جواد حجتي كرماني منفي إلى هذه المدينة. وفي يوم الرحيل جاء الأهل والأصدقاء لتوديعي، ولم تكن لحظات الوداع مزعجة. فأنا مقبل على نفي هو أخف بكثير مما مرّ عليّ من سجون.

ركبنا في محطة الباصات بصًّا متجها إلى زاهدان لنذهب منها إلى إيرانشهر. رافقني في هذه الرحلة ثلاثة أحدهم برتبة ضابط والآخران من المراتب. وتوقفت السيارة في

مدينة «كناباد» للصلاة وتناول الطعام. وبالمناسبة فإن أهل كناباد، كانوا يعرفونني، لزيارتي هذه المدينة أكثر من مرّة. إذ ينتمي إليها عدد من طلابي منهم الشيخ الفرزانة، والشهيد كامياب والصادقي الكنابادي (إمام جمعة المدينة حاليًا)، وارتباطي بطلابي عادة أكثر من ارتباط أستاذ بتلميذ، فبيني وبين هؤلاء الطلبة علاقات عاطفية عميقة. ولذلك اشتركت في حفلات زواجهم في هذه المدينة وتعرّفت بذلك على أهاليها وعرفوني. حين ترجلنا من السيارة أقبل نحوي شاب وقال: سيدنا استخر لي (والناس هنا عادة يستخيرون الله في أمورهم بواسطة علماء الدين)، وإذ كنت أهُمُّ أن أستخير له والمرافقون يراقبونني عن كثب، همس الشاب قائلا: ما للاستخارة أتيت، بل أردت أعرف سبب مجيئك إلى المدينة مخفورًا. قلت له: وهل تعرفني؟ قال: نعم. ثم ذكرت له مسيري وطلبت منه أن يخبر الإخوة بتوجّهي نحو منفاي في إيرانشهر.

وصلنا زاهدان فجر اليوم التالي. ذهبنا إلى المسجد فصليت، ثم تناولنا طعام الفطور، وبقينا في المدينة ساعة أو أكثر، وبعدها ركبنا باصا آخر واتّجهنا إلى إيرانشهر. أخذوني أولا إلى مركز حاكم المدينة فقيل لهم: خذوه إلى مركز الشرطة. وفي مركز الشرطة فتحوا لي ملفا وأخذوا مني تعهدا بعدم ترك المدينة وبالحضور في المركز يوما للتوقيع.

خرجت وحدي أطلب مسجدًا. فدلوني على مسجد «آل رسول» وعرفت أنه مسجد الشيعة الوحيد في المدينة، وهناك مساجد أخرى للإخوة أهل السنة. والمسجد الذي دخلته في غاية الروعة والجمال، مفروش بالسجاد الفاخر الثمين. وفي ساحته الأشجار الباسقة والمياه الجارية العذبة التي لا تقل عذوبة عن ماء طهران. شعرت بنوع من السرور والانشراح، فالجوّ دافئ لطيف في المدينة يتناسب مع طبيعة جسمي التي لا تتحمل البرد القارس. والمنظرُ بَهيجٌ. تحللت من ملابسي ووضعتها في زاوية، ثم توضأت، ووقفت إلى الصلاة. وشعرت بحالة من الانقطاع لا أزال أتحسس حلاوتها..

فأنا في تلك الساعات منقطع عن الأهل والأولاد والأصدقاء ومتجه بكل وجودي إليه سبحانه، وفي هذا الشعور لذة مابعدها لذة.

خرجت من المسجد حاملا حقيبتي، فرأيت الناس ينظرون إليّ نظرتهم إلى منفي جديد قدم إلى مدينتهم. ذهبت إلى الشارع الأصلي للمدينة، وكان عندي عنوان أحد المؤمنين واسمه «رؤوفي» فدلّوني على دكّانه. وجدته مغلقا. تجولت ثم عدت فألفيته لم يزل مغلقا.

وقفت لحظات أنظر إلى المحل من خلف زجاج الواجهة، ثم تحولت عن الدكان فرأيت سيارة «فولكس فاجن» تقف إلى جانبي وفيها شخصان. سألني أحدهم: من تريد؟ قلت: رؤوفي. قال: هل تعرف رؤوفي؟ قلت: لا، ولكن عرّفني عليه فلان. نزل من السيارة، وقال: أنا رؤوفي وهذا أخي. فتعانقنا وركبت السيارة وكان وقت صلاة المغرب أوشك على الحلول فاتّجهنا إلى «الفاطمية»، وهو مكان للذكر والصلاة سمّي باسم الزهراء عليها السلام. صليت صلاة المغرب. شعرت بتعب شديد، قلت: أريد أن أستريح. خيروني بين الاستراحة في ذلك المكان أو الذهاب إلى البيت. ففضلت أن أضطجع في ذلك المكان. بعد ساعة استيقظت والنوم لايزال يثقل جفوني. فرأيت وجوهًا غريبةً لا أعرفها تجمعت في الفاطمية بمناسبة شهر محرم. ثم رأيت بعدها الشيخ الحجتي الكرماني وذهبنا إلى بيت رؤوفي.

بقيت في بيت رؤوفي ٣ أو٤ أيام ثم عزمنا أنا والشيخ حجتي على الانتقال إلى منزل آخر، رغم إصرار رؤوفي على أن نبقى في بيته. وجدنا البيت وكنا نهمّ بالانتقال إليه إذ جاء وفد من زاهدان لزيارتنا من ٢٠ شخصًا وعلى رأسه الشيخ «معين الغربا» أخبرناهم بعزمنا على الانتقال، فاشتركوا معنا في تنظيف البيت وتجهيزه. بقينا في هذا البيت شهورا ثم انتقلنا إلى بيت أفضل.

كان معين الغرباء هو ثاني من زارنا في المنفى، والأول كان «كريم‌بور» فقد جاءنا في منتصف الليل ونحن في بيت رؤوفي، فدق الباب، ولم يكن صاحب البيت موجودا. انتابني شعور خاص حين سمعت دق الباب. وكان هذا الشعور الشبيه بالخوف يساورني كلما دق باب البيت ليلًا بشكل لا شعوري بعد المداهمة الليلية في مشهد. ذهب الشيخ حجتي وفتح الباب فإذا بشاب وديع أنيق. عرفنا أنه من أقرباء رؤوفي وأنه متعاطف لدرجة غريبة مع السجناء والمنفيين. يحمل همة فائقه للعمل في سبيل‌الله، وطرح علينا خطة للعمل الإسلامي. ثم أصبح بعد انتصار الثورة الإسلامية يمثل الحزب الجمهوري الإسلامي في زاهدان. وشارك في جبهات الحرب المفروضة، واستشهد رحمه الله.

أول من زارني من مشهد «الحاج علي شمقدري» وهو يمثل شريحة خاصة من تلامذتي، ويتميز أفرادها بأنهم من «العامة» بالمعنى السائد. لكنهم كانوا مزودين بثقافة إسلامية رفيعة، وبمعلومات عن حقيقة الإسلام قد لايعرفها أساتذة الجامعات تشربت نفوسهم بالمفاهيم الإسلامية الحركية فأصبحوا يعيشون الإسلام بكل وجودهم. والحاج علي هذا كان يتابع جميع جلساتي في مشهد بدقة واهتمام ويكتب ـ بخطه الرديء للغاية رداءة تبعث على الضحك ـ المفاهيم الإسلامية العميقة. زارني الرجل في اليوم الثاني من الانتقال إلى البيت الأول مع أولاده الصغار وإخوته. وبالمناسبة فقد استشهد ابنه وأخوه في سبيل الله والدفاع عن دين الله.

وممن زارنا في المنفى حين كنا في البيت الثاني «الشيخ الصدوقي» ومعه جمع بينهم «الشيخ راشد» وكان ذلك قبيل النوروز وفي أواخر شهر إسفند، ثم غادروا إلى «شابهار» حيث كان الشيخ «ناصر مكارم الشيرازي» منفيا فيها، ثم عادوا وباتوا عندنا ليلة أخرى لانجذابهم إلينا أنا وحجتي.

والشيخ راشد يزدي معروف بأنه لطيف المعشر حاضرُ النكتة فَكِهٌ لا تفارق الابتسامةُ شفتَه، والطريفةُ لسانَه على ما يحمله من علم وأدب. أنست به وتعرّفت عليه لأول مرة، وهو أيضا أنس بي وأُعجب بي فكان يردد لدى عودته إلى يزد: كم أود أن أُنفى إلى إيرانشهر لأبقى إلى جوار السيد خامنئي.

ومن الطريف جدا أن الإخوة غادرونا، ولكن بعد أسبوعين تقريبا جاءني ضابط شرطة وبيده ورقة سلمها إياي، فرأيت سطورا بتوقيع الشيخ راشد يخبرني فيها أنه في مخفر الشرطة.

أسرعت إلى المخفر فوجدت الشيخ جالسا ويحوطه ٨ ضباط، ينكّت لهم وهم غارقون في الضحك! سألته عما جاء به، فعلمت أنه صعد المنبر في يزد يوم ١٠ فروردين (٢٠ ربيع الثاني ١٣٩٨ ه.ق) المصادف لأربعين شهداء تبريز في مجلس فاتحة عقده بهذه المناسبة، وقال ما قال، فاعتقلوه ووضعوه في سيارة إسعاف واتّجهوا به مباشرة إلى إيرانشهر. ذهبت به إلى منزلي وكان بيننا تعاون فيما قمنا به من نشاط في هذه المدينة.

وأذكر هنا أن الشيخ حجتي قد غُير منفاه في أوائل أيام النوروز (قبل مجيء الشيخ راشد) ونقل من إيرانشهر إلى سنندج حيث الجو اللطيف البارد. وكان وهو في سنندج يبعث لي برسائل يقول فيها: حرام عليّ هذا الجو اللطيف وأنتم تسكنون في حرّ إيرانشهر. وفي شهر فروردين وهو أول أشهر الربيع ارتفعت حرارة الجو في هذه المدينة، والعائلة جاءت لزيارتي خلال تلك الأيام، وكان ميثم ابن ٥-٦ أشهر.

في البداية لم يكن لنا تعامل مع أهل المدينة. كنا نجلس مع رؤوفي وأخيه وعدد قليل آخر من الأفراد ونعقد جلسة مصغرة ونطالع ونتحاور. وبين مدة وأخرى يزورنا أشخاص من زاهدان وقم ومشهد. ثم بدأت بالاتصال الفردي بالأشخاص وخاصة الشباب.

أول من تعرفت عليه من شباب إيرانشهر «آتش‌دست» والده من صغار الكسبة في المدينة. كان آنذاك طالبا في الثانوية لا يزيد عمره على ١٦ سنة. وعن طريقه تعرفت على أمثاله من الشباب. وعقدنا معهم جلسة تواصلت حتى خروجي من إيرانشهر. وأذكر استطرادا أن آتش‌دست واصل دراسته ودخل الجامعة، وجاءني مرّة بعد انتصار الثورة الإسلامية مع عائلته وخطيبته، وأجريت صيغة عقد زواجه، ثم بعد ذلك، اشترك في جبهات القتال واستشهد رحمه الله ولايزال والده يتردد علي.

حاولت أن أوسع دائرة عملي إلى خارج المدينة. جاءت مبادرة من أهالي «بزمان» تبعد ١٠٠ كيلومتر عن إيرانشهر.

ذهبنا إليها في سيارة أحد الأصدقاء مع الشيخ حجتي ثم تواصلت زيارتنا للمدينة أسبوعيا أو مرة لكل أسبوعين. كنت أقيم الجماعة هناك وألقي خطابا قصيرا، ثم حصلت لدى السلطات المحلية حساسية، فضغطت على سائق السيارة، ولم يخبرنا صاحب السيارة بذلك، ولكن عرفنا أنه في موقف حرج فانقطعنا عن بزمان.

ومن أولى اهتماماتي في إيرانشهر، كانت إحياء «مسجد آل رسول» فالمسجد كان معطّلًا، ومشكلتة أن من بناه لم يسكن في إيرانشهر بل يأتي العشرة الأولى من محرم كل سنة فيقيم مجلس ذكر الحسين عليه السلام ثم يرحل ويبقى المسجد دون استفادة تذكر. التقسيم الطائفي في إيرانشهر اقتضى ـ مع الأسف ـ انفصال مساجد السنة عن مساجد الشيعة. وكان للسنة مساجد صغيرة لكل منها نفر من المصلين، وللشيعة مسجد واحد (مسجد آل رسول) وهو معطّل طوال السنة!!

اقترحت إحياء المسجد فأيّدني كثيرون، وبدأت إقامة الجماعة فيه بالتعاون مع الشيخ راشد. وبعد الصلاة أتحدث إلى الناس مدة ١٠-١٥ دقيقة أضمّن حديثي ما قل ودل. كانت الصلاة والخطبة القصيرة تبثان من مكبرة الصوت. وكان لذلك دور

هامّ في إحياء الروح الدينية لدى الشيعة، كما كان له أثر إيجابي لدى المؤمنين من أهل السنة، لما كانوا يرون من التزام بالصلاة والقراءة الفصيحة فيها، وتنوع السور القرآنية لدى القراءة.

ثم اقترحت على المؤمنين أن نقيم الجمعة، فأقمناها، وكان الحضور فيها جيّدًا بحيث كانت أكبر جمعة في إيرانشهر. وكان الشيخ راشد لشدة اهتمامه بهذه الصلاة يتصدى بنفسه لرفع الأذان.

توطّدت لنا بالتدريج علاقات طيبة من علماء السنة. ورحت أفكر في خطة عملية لإزالة الحواجز النفسية بين أهل السنة والشيعة في المدينة من خلال تعاون ديني مشترك. فتحت الحوار مع أحد علماء السنة في إيرانشهر واسمه «المولوي قمر الدين» وكان إمام «مسجد النور» وقلت له: إن المسؤولية الإسلامية تفرض علينا أن ننظر إلى مستقبل الإسلام وما يتهدده من أخطار، وما يقف أمامه من عقبات. والمسلمون جميعا في هذه النظرة المستقبلية يتحمّلون مسؤوليات جساما بغض النظر عن انتمائهم المذهبي. أما إذا عكفنا على نبش الماضي والبحث في كتب الأقدمين عن مواضع الخلاف فلا يؤدي ذلك إلا إلى اشتداد الضغائن وهياج العواطف، ولا مصلحة في ذلك للإسلام والمسلمين. قلت له أيضا: هذا لايعني أن نقطع صلتنا بالماضي. فوجودنا الفكري والعقائدي مرتبط بهذا الماضي، ولكن تعاوننا ينبغي أن يكون على أساس المستقبل والنظرة المستقبلية.

وهذا في الواقع محور حديثي مع كل الإخوة الذين التقيتهم من علماء السنة، ووجدت عند المخلصين منهم استجابة حسنة لهذه الفكرة.

وفي إطار هذا التصور وضعت خطة عملية متواضعة وهي إقامة مهرجان مشترك بين أهل السنة والشيعة خلال الأيام من ١٢ ربيع الأول وهو تاريخ مولد الرسول

(ص) برواية أهل السنة إلى ١٧ منه وهو تاريخ المولود الشريف برواية الشيعة. واتفقنا على ذلك.

أعددنا مسجد آل رسول لإقامة المهرجان، وكانت أيام صيف قائظ. وبالمناسبة تبلغ درجة الحرارة في إيرانشهر ٦٣ درجة مئوية في الشمس، و٥٤ درجة مئوية في الظل، وكان من أصعب الأمور علينا أن نذهب في الظهر إلى المرافق فقد كانت في مؤخرة ساحة البيت. وعلينا أن نجتاز ٢٠ مترا للوصول إليها. فحرارة الشمس لا تطاق تشوي الوجوه وتحرق البشرة. ويبقى الجو ملتهبا طول اليوم. وفي الساعة العاشرة ليلا يحس الإنسان بخيط رفيع من نسيم لطيف. ثم تزداد الخيوط وتجتمع ويصبح الجو لطيفا منعشا، غير أن الأرض تبقى ملتهبة لا يكاد يستطيع أن يرقد عليها باريتاح مهما وضع عليها من وثار.

أما في عصر يوم المهرجان فكان الجو يختلف تماما. تصاعدت سحب في السماء فحجبت لهيب الشمس، ثم هبّ نسيم لطيف غير معهود في تلك الساعات تبعتها زخات مطر حفيفة، وتوقعنا أن تكون ليلة المهرجان ليلة ممتعة.

يوم عيد المولد النبوي، ويوم المهرجان، اقترن بطيب الجو واعتداله وزخات المطر، فخرج الناس أفواجا ليتمتعوا بالجو وليتوجّهوا إلى مسجد آل رسول الذي غص بالمصلين فامتلأت المقصورة والإيوان حولها. والمقصورة كما ذكرت مفروشة بالسجاد الثمين. وقفت لصلاة المغرب أؤمّ المصلين. وفي الركعة الثانية من الصلاة سمعت صوتا غريبا يشبه صوت عربة تجرّ سعفًا كثيرًا ينسحب أطرافه على الأرض. غير أن صوت الخشخشة هذا لم ينقطع، ولو كان عربة لمرّت وانقطع الصوت. بعد لحظات سمعت صوت تلاطم المياه فعرفت أنه «سيل». بعد انتهاء الصلاة وجدنا أن السيل قد غمر المدينة، وقد طغى الماء حتى وصل إلى إيوان المسجد رغم ارتفاعه مقدار نصف متر

عن سطح الأرض. رفعت صوتي طالبا من الناس أن يواجهوا الكارثة.
طلبت أولا أن يجمعوا سجاد المسجد ويضعوه على مكان مرتفع كي لا يتلفه الماء. ثم طلبت منهم أن يتخذوا الاحتياطات اللازمة لحماية الأطفال والنساء. استمر تدفق السيول ساعتين أو ثلاث، وخلالها كنا نسمع أصوات انهدام البيوت واحدا بعد آخر، حتى خشيت أن ينهدم المسجد. كل شيء كان رهيبا.. الظلام بسبب انقطاع التيار الكهربائي.. السيول الجارية الجارفة.. وانهدام البيوت واستغاثة الناس. وفي مثل هذه الحالة الحرجة المرعبة يجول ذهن الإنسان باحثا عن أية وسيلة لمواجهة الموقف. وكانت ذاكرتي تختزن مسموعة مفادها أن تربة سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام يمكن التوسل بها بإذن الله تعالى لدرئ مثل هذا الخطر المحدق. أخرجت من جيبي قطعة أحتفظ بها من التربة التي شرّفها الله بريحانة رسول الله (ص)، فتوكلت على الله جلّ وعلا، ورميت بها في السيول المتدفقة، وما هي إلا لحظات حتى توقف السيل بفضل الله ومنّه.
بعد أن توقف السيل بادرت إلى تشكيل لجنة لإغاثة المنكوبين. وما كان بالإمكان القيام بنشاط مهم في تلك الليلة، فأوكلنا الأمر إلى صباح اليوم التالي.
توجّهت إلى البيت. وكان يتكون من بيتين، بينهما باب مشترك، وأسكن فيها، أنا والشيخ راشد والسيد رحيمي (استشهد فيما بعد في انفجار مقر الحزب الجمهوري الإسلامي) والسيد الموسوي الشالي (إمام جمعه مدينة كرمسار سابقًا). وجدت البيت سالما لم يدخله الماء، بل وصل إلى مقربة منه.
شاع في المدينة أن بيت المنفيين لم يدخله الماء وحسبوا ذلك لنا كرامة. ولكن أوضحت الأمر للناس وقلت لهم: إن عدم دخول الماء إلى بيتنا يعود إلى موقعه في مكان مرتفع لم يرق إليه السيل وليس في الأمر كرامة.

في صباح اليوم التالي ذهبت ومعي رحيمي وراشد إلى خارج المدينة لنرى البيوت التي جرفها السيل في وادي المدينة. وهي البيوت التي لها السهم الأوفى في تسبب الكارثة. لأن المدينة كانت على مرّ التاريخ عرضة للأمطار وكانت مياه الأمطار تشقّ طريقها عبر الوادي وتجتاز المدينة، وبقيت المدينة سالمة على مرّ القرون. لذلك كان كلّ بناء على طريق هذا «المسيل» ممنوعا لأنه يؤدي إلى سدّ طريق المياه وتدفعها إلى داخل المدينة. غير أن نفرا من الباحثين عن الأرض المجانية يجازفون في بناء بيوتهم في الوادي، ولا يزال بعضهم يفعل ذلك في بعض المدن دون علم منه بأنه لا يعرض نفسه للخطر فحسب، بل يعرض المدينة بأجمعها للخطر.

ذهبنا إلى الوادي فوجدنا تلك البيوت المبنية فيه أصبحت أثرا بعد عين. وإذ كنا واقفين هناك رأينا على البعد عائلة بلوشية قادمة فيها نساء ورجل وأطفال. وفي يد الرجل طفل نائم، والنساء يبكين وينتحبن حين اقتربوا منا عرفنا أن الطفل المحمول بيد الرجل ميت. هدّني هذا المنظر من الأعماق. ورحت أنتحب عاليا.

وأنا لي حساسية خاصة بالنسبة للأطفال والنساء. لا أستطيع إطلاقا أن أتحمل أية إساءة تنزل بطفل أو بامرأة. ولقد قلت مرارا لأصدقائي: أنا لا أصلح للقضاء بين رجل وامرأه، لأنّي أنحاز إلى المرأة قطعًا. وهكذا الأطفال لا أطيق أن أرى مصيبة تنزل بهم حتى المشاهد التمثيلية في الأفلام. لذلك شعرت بحزن شديد حين رأيت الطفل الميت في كارثة السيل، وأجهشت بالبكاء بشدة. فهمت العائلة بكائي وتأثري، وقال لي راشد: إنهم اندهشوا حين رأوك متأثرًا أكثر منهم. وانتشر خبر بكائي بين البلوش.

عدنا إلى المدينة فأخبرتنا لجنة الإغاثة التي شكلناها أن ٨٠ بالمائة من بيوت المدينة قد انهدمت، والتي لم تنهدم دخلها الماء حتى غمرها جميعا، وأكثر بيوت إيرانشهر من طابق واحد.

خطر لي فجأة أن الناس في المدينة لم يتناولوا وجبة طعام منذ غداء يوم أمس، ولابد أنهم جياع. رأيت الخبازين قد أغلقوا حوانيتهم بسبب السيل. الماء دخل المحلات ودخل المستودعات وإن الأمر يستمر أياما. فالمدينة يتهددها الجوع. قلت لأصحابي: لنرفع شعار: «أنقذوا المدينة الجائعة» ولنعمل على توفير الطعام بأي طريق ممكن. رأيت الناس متفرقين في الطرقات مبهوتين قد أذهلتهم الكارثة عن الإحساس بالجوع. رأيت في جانب من الطريق دكان بقالة استطاع أن ينجو من الغرق بسبب ارتفاع محله، وصاحبه واقف عند بابه يتلفت يمينا ويسارا لا يدري ما يفعل. جئته وقلت له: هل يوجد في محلك شيء يقتات منه الناس؟ قال: فقط بسكويت. قلت: هات ماعندك. اشتريت منه كل صناديق البسكويت ولم تكن كثيرة، ووزعتها في نفس المكان على الناس المشردين. هذه جرعة مسكنة فقط وموضعية وليس علاجا لمدينة جائعة.

ذهبت إلى إدارة البريد. اتصلت هاتفيا بالشيخ الكفعمي الذي مرّ ذكره في زاهدان وهو العالم الكبير المعروف في جميع محافظة بلوشستان حدثته عن أبعاد الكارثة. وقلت له: نحتاج إلى خبز وتمر، وإذا أمكن فالجبن أيضا بأقصى سرعة بقدر المستطاع. وطلبت منه أن يتصل بالشيخ الصدوقي في يزد، وأن يتصل بمشهد وطهران ويخبر الجميع بحاجتنا إلى الطعام.. كررت عدة مرات بصوت عال: قل للجميع أنا أنتظر بفارغ الصبر الخبز والتمر.

حين وضعت سماعة التلفون رأيت الناس خلفي يستمعون إلى استغاثتي وشدة اهتمامي مندهشين. ينظر بعضهم إلى الآخر بإعجاب واستغراب. وكان من الطبيعي أن ينتشر خبر إقدامي هذا في المدينة خلال أقل من ساعة. وانشدّت القلوب في المدينة إلى محاولاتي لأنّهم كانوا على علم بعدم قدرة علمائهم ولا المسؤولين الرسميين على الإغاثة العاجلة. فالعلماء غير قادرين والرسميون غير مهتمين.. بل كانوا عاجزين.

ذهبت إلى مسجد آل رسول لإعداده كي يكون مركزا للإغاثة. واتّجهت كل الأنظار إلى المسجد. وماهي إلا ساعتين أو ثلاثا حتى جاءت شاحنة ضخمة مملوءة بالخبز والتمر والبطيخ والجبن. فتحنا مكبرة المسجد على تلاوة من القرآن الكريم. ثم أعلنا أن مسجد آل الرسول أصبح مركزا لدعم الناس وإمدادهم بما ينجيهم من الطعام. قلت لإخواني: أعطوا الطعام لأي شخص جاءكم، وإذا قال: هذا قليل. أعطوه أكثر. وإذا قدم عليكم ثانية أعطوه ولا تقولوا له: سبق أن أخذت..

حتى نتجنب إثارة حرص الناس. طبعا كنت مطمئنا بأن الإخوة في المدن الأخرى سيدعموننا. وهكذا بدأنا عملية الإغاثة.

قسمت الأعمال بنفسي بين الإخوة بدقة، وأصبح عندنا تنظيم جاد، واستفدت من تجربتي السابقه في «فردوس» سنة ١٣٤٧ ه.ش واستمرت العملية ٥٠ يوما. قمنا خلالها بزيارة الناس في البيوت والصرائف والخيام، وعملنا إحصاء لعدد أفراد الأسر. كانت الأرقام التي تعطى لنا غير دقيقة أحيانا، لكنا كنا نحملها على الصحة ولم ندقق. ودخلنا في أعماق مشاعر هؤلاء الناس.

جعلنا التوزيع حسب ما دوّناه من إحصاء. وعملنا بطاقات تموين، تستلم كل عائلة حصتها حسب البطاقة. ووزعنا خلال هذه المدة أعدادا كبيرة من الفوانيس والبطانيات والأواني.

وكان هناك من زيّف بطاقة التوزيع وقلد توقيعي عليها، غير أن توقيعي، وإن كان بسيط الظاهر، يحمل رمزا أعرفه أنا. كنت أعرف تزييف التوقيع، ولكن لا أجاهرهم بذلك.

خلال تلك الأيام (أيام الإغاثة) جاء الشيخ حجتي من سنندج إلى إيرانشهر. فقد مرض في منفاه الثاني (سنندج) وطلب إجازة للمجيء إلى كرمان فسمحوا له، ومنها جاء إلى إيرانشهر لزيارتنا. كان قدومه فرصة جددنا فيها اللقاء، وسهرنا حتى

الصباح. وفي الصباح دعوته للذهاب إلى المدينة والتجوّل فيها بسيارتي. أجلسته بجانبي وقدت السيارة، فثارت دهشته حين رأى الناس رجالا ونساء وأطفالا يرفعون أيديهم إلينا محيين حين يرون سيارتنا. استغرب وقال: تتذكر أن الناس في البداية كانوا يبخلون علينا حتى بالسلام؟!

قلت: نعم أتذكر، ولكن هكذا يكون موقع الفرد في قلوب هؤلاء الناس حين يشاركهم في سرائهم وضرائهم.

وفي نهاية خمسين يوما من الإغاثة وبعد تجاوز ما أمكن تجاوزه من آثار السيول عملنا حفلا كبيرا، وخطبت فيه، ولايزال تسجيل الخطبة وصور الاحتفال موجودة.

حلّ شهر رمضان وحلّت معه فرصة الارتباط بالناس أكثر من بقية الشهور. وكان رئيس الشرطة مستاء جدا من هذه الشعبية، ولا يدري كيف يتصرف تجاهنا نحن المبعدين في المدينة، وحاول مرات أن يبدي لنا سريرته الخبيثة. وحين حلّ شهر رمضان كان رئيس الشرطة هذا لحسن الحظ في إجازة استمرت أسبوعين، وجاء مكانه ضابط شاب متزن متعقل تشم من حديثه معنا رائحة التودد والتعاطف وكان أول لقائنا به في المسجد ومجيء رئيس الشرطة ليلتقي بنا في المسجد أمر غير عادي.

كنت في ليلة ماشيا في الشارع ومعي اثنان من الإخوة المنفيين وقفت سيارة إلى جانبنا ونزل منها الضابط الشاب، وطلب أن يختلي بي ليسرّ لي أمرا. افترقت عن الأخوين، ومشيت معه قليلا، فأخبرني أن المنفيين سيتوزعون على ثلاث مدن، أحدهم إلى «جيرفت» والثاني إلى «ايذه» والثالث إلى «اقليد» (والرابع كان قد أطلق سراحه قبل ذلك)، وطلب حصر الخبر في إطار المنفيين، أخبرت الإخوة بالأمر. كان الضابط الشاب آنئذ على وشك الرحيل من إيرانشهر فقد عاد رئيس الشرطة من الإجازة. ولم يمض طويلا حتى أخبرنا بضرورة التهيؤ للانتقال إلى منفى جديد. وبعدها جاء

الشرطة ليلا وطلبوا من السيد رحيمي أن يتهيأ للمغادرة، ثم قالوا لي: سوف تغادر أنت أيضا بعد ساعتين. حاولنا أن نقنعهم بإرجاء موعد السفر إلى الصباح، ولكن وجدناهم مصرين على السفر ليلا، وعرفنا سرّ الأمر. فقد دخلنا المدينة ونحن غرباء وها نحن نخرج منها ليلا لأن السلطة تخشى ردّ فعل أهالي المدينة!

كان رحيمي مشغولا برزم حقائبه والشرطة يستعجلونه وحينما ازداد ضغطهم على رحيمي انفجر رحمه الله أمام الشرطة ورئيسهم وألقى خطابا صغيرا حماسيا لاتزال كلماته ترن في أذني، قال لهم: «لا تغتروا بهذه القدرة الزائلة فإنها سوف تأفل لا محالة وسوف تبزغ قدرة الإسلام». واسترسل في هذه الكلمات الحماسية التي كنا نحسبها آنذاك شعارات لا أكثر. وأنا بدوري شعرت بالخجل من حماس ظننت أنه في غير محله.

على كل حال، أخذوا رحيمي، وحان دوري، فقلت لهم: عندي سيارة، ولابدّ أن أذهب بسيارتي. قالوا: هذا غير ممكن. قلت: إذن أمتنع عن الذهاب وافعلوا ما شئتم. وما كان أمام رئيس الشرطة إلا أن يوافق. وأما قضية امتلاكي السيارة فلها قصة طريفة أقف عندها قليلا.

كنت قبل النفي أتردد على طهران لأداء بعض المهام التي ترتبط بالعمل الإسلامي، وأحتاج هناك إلى الحركة المستمرة، ولابّد من سيارة شخصية. وللحصول على السيارة أتصل بصادق إسلامي (استشهد في انفجار مقرّ الحزب الجمهوري الإسلامي) وهو يتصل بدوره بقديريان، فيأتيني قديريان أو ابنه بالسيارة وتبقى تحت تصرّفي أسبوعا أو أسبوعين، ثم حين المغادرة أضع السيارة في موقف المطار أو موقف محطة القطار، وأضع مفتاح السيارة تحت عجلتها، وأتصل بقديريان فيأتي ويأخذ السيارة، كانت السيارة التي اعتدت على قيادتها في طهران من نوع بيجو ٤٠٤ صالون، وهي واحدة من سيارات قديريان. فالرجل تاجر في السوق وله سيارات عديدة. وبالمناسبة فإنه

بعد الثورة طلّق كلّ عمله التجاري وثروته وأصبح في خدمة أجهزه الثورة والدولة، وهو واحد من كثيرين ممن تركوا كسب الدنيا ليتاجروا مع الله في خدمة الثورة الإسلامية بعد انتصارها، وهناك طبعا من اتّخذ من الثورة دكان كسب لمعاشه.

كنت أحتاج إلى السيارة في إيرانشهر لأتردد على أطراف المدينة ولأتصل بمطار زاهدان، لأنه المطار الوحيد في المنطقة، وكنت أذهب إليه بالزي البلوشي لاستقبال من يأتي لزيارتي من الأهل والأولاد. وبالمناسبة كان لباسي البلوشي يتناسب مع سحنات وجهي ولحيتي، وكان ارتداؤه في تلك الظروف أفضل من ارتداء لباس علماء الدين بسبب الخطر على خروجي من إيرانشهر. ولا أزال احتفظ بهذا الزي وأرتديه أحيانًا.

وبسبب احتياجي للسيارة اتصلت بقديريان وقلت له: إذا كنت تعتبر أهمية إيرانشهر كأهيمة طهران فابعث لي بسيارة. بعد أيام جاءني شخص وقال: أنت فلان؟ فأجبته. قال: أتيت لك بسيارة.. وأراني سيارة بيجو ٤٠٤ ولكن ليست صالون. قلت له: هل بعث بها قديريان؟ قال: نعم. قلت له: ولكن المعهود أن سيارة قديريان من نوع صالون. قال: لا أدري، أنا مكلّف بتسليم هذه السيارة لك. وكانت سيارة نظيفة وجديدة، استعملتها في المنفى بإيرانشهر وجيرفت. وبعد النفي أودعت السيارة عند أحدهم، وقلت له: اذهب بها إلى قديريان. وكانت السيارة قد أصابها ما أصابها آنئذ من جرّاء استعمالها في المناطق الحارة والوعرة. ولكن بعد مدة من وصولي طهران (في طريق العودة من المنفى إلى مشهد) جاء شخص وأعاد لي السيارة بعد تعميرها وتنظيفها حتى أصبحت كالجديدة. قلت له: ما هذه؟ قال: هذه سيارتك، وقديريان اشتراها منذ البداية لك. فوجئت بالخبر، قلت: لماذا لم يخبرني من البداية حتى لا أكلفه التعمير والتنظيف؟!

بقيت السيارة عندي، وبعد انتصار الثورة كنت بسبب الظروف الأمنية أركب سيارة

خاصة وضعها الحرس الثوري تحت تصرّفي، وما وجدتني أحتاج إلى سيارتي، فبعتها بثمن بخس لرخص أسعار السيارات آنئذ. ثم انتقلَت من بائع لمشتر خمس مرات أو أكثر، حتى رآها أحد الإخوة في يد أحدهم فاشتراها منه ونظفها وأعادها إلي قبل سنتين أو ثلاث، وهي الآن موجودة تحت تصرّفي.

أعود إلى حديث الانتقال إلى المنفى الجديد بعد أن وافق الشرطة على استعمال سيارتي ركبت خلف المقود، وجلس إلى جانبي أخو زوجتي»حسن خجسته» الذي اعتدنا على تسميته «حسن آقا» وكان آنئذ قد جاء إلى إيرانشهر ليمضي معي أياما، وكان يتردد على إيرانشهر لنقل رسائل إلى الإخوة المنفيين في المناطق المختلفة وإلى يزد وشيراز ويأتيني برسائلهم.

وكان يؤدي هذه المهمة معه «بورمحمدي» والإثنان يعملان الآن في الإذاعة. وجلس في المقعد الخلفي للسيارة مأموران يحمل كل منهما بندقية كبيرة قديمة. وسارت خلفنا سيارة شرطةٍ أكل الدهر عليها وشرب، تجرّ نفسها بصعوبة وكان من الطبيعي أن أسبق سيارة الشرطة، لذلك طلبوا مني أن أسير خلفهم. وبعد مدّه عدلوا عن رأيهم ووجدوا أن المصلحة تقتضي أن أسير أمامهم. وهكذا كانوا في حيرة من أمرهم تارة يتقدمون وتارة يتأخرون. ثم حصل في سيارتي عطب أدى إلى غليان مائها. فكنت بين الفينة والأخرى أتوقف وهم يصرون على أن أواصل، ولكنهم كانوا يرون واقع المشكلة. وقبل أن نصل مدينة «بم» (في الطريق بين إيرانشهر وجيرفت) ملأتُ مستودع السيارة بالماء، وانطلقت بسرعة نحو المدينة، وبدأت سيارة الشرطة خلفي تعطي الإشارة تلو الإشارة لأتوقّف وأنا لا أعبأ بهم. ثم التفت الشرطيان الموجودان في السيارة إلى ابتعادي عن سيارة الشرطة، وطلبا مني أن أتوقف ولكن لم أكترث، واكتفيت بالقول: أننا متوجّهون إلى مركز الشرطة، وسيارة الشرطة سوف تلحق بنا

في المركز. ووصلت إلى المركز ووصلت بعدنا سيارة الشرطة وأفرادها يلهثون من شدة العناء والتعب ومحاولة الالتحاق.

كان الجو حارا، وأنا في غاية التعب. رأيت في غرفة قريبة من باب المركز أسرّة من طابقين، فقلت لحسن: إذهب إلى فلان (وهو شاب يزدي ساكن في مدينة بم وسائق شاحنة ويتمتع بهمة عالية في مساعدة المبعدين، وكان يزورنا مع جماعة في إيرانشهر)..

قلت لحسن: إذهب إليه وأخبره بوجودي في مركز الشرطة. وبدون استئذان استلقيت على أحد هذه الأسرّة، واستسلمت لنوم عميق لم يطل، إذ جاء أخونا اليزدي، ورحّب بنا كثيرا.

قلت له: سيارتي معطوبة، وأمامنا إلى جيرفت ١٢ فرسخا، والطريق جبلي وعر وضيق بحيث لا تستطيع أن تمرّ في بعض مناطقه أكثر من سيارة واحدة (أصبح في عهد الجمهورية الإسلامية من الطرق الجيدة)

فلو أوصلتنا بسيارتك وجعلت سيارتي لدى التعمير. قال: حبا وكرامة، وذهب وجاء بسيارته، وكان يملك سيارة شخصية صغيرة.

جلس صاحب السيارة خلف المقود وأنا بجانبه، ثم جلس حسن آقا وإثنان من الشرطة في المقعد الخلفي، وثلاثة شرطة تبعونا في سيارتهم خلفنا. قرب الظهر وصلنا إلى مقهى.

والمقهى يقع في مضيف جميل مزدان بالبساتين والأشجار الغنّاء وجوّه لطيف وماؤه عذب، وهو معروف لكل من يتردد على هذا الطريق، لأنه محل استراحة المسافرين وتناول طعامهم. نزلت من السيارة، واتّجهت إلى المقهى وخلفي أصحابي، إثنان من المدنيين والباقون شرطة. سألت أولا عن مكان الوضوء فدلوني على مكان يقع خلف

المقهى. ذهبت إليه فإذا هو بستان جميل. توضأنا، وقلت لمن معي: دعونا نقم الصلاة في هذا المكان.

كان من المفروض أن يعترض الشرطة على هذا الاقتراح لأنه مكان مكشوف معرّض لرؤية المارّة في الشارع. لكنهم لم يفطنوا إلى ذلك، وفطنوا إليه فيما بعد. ما إن وقفنا لصلاة الجماعة حتى انشدّت إلينا أنظار أهل القرية. فالناس عامة، والقرويون خاصة، يحبون «السادة» و«العلماء» و«المظلومين» و«المعارضين» للسلطة القائمة آنذاك، وكل هذه الخصائص كانت ملحوظة فيّ بعمامتي السوداء والزي الديني ووجود الشرطة ورائي. بعد أن انتهت الصلاة كانت على قارعة الطريق مجموعة من القرويين قد تجمعت وهي تنظر إلينا بدهشة وإعجاب. تغدينا، وقلت للشرطة: أريد أن أستريح قليلًا. حاولوا أن يقنعوني بمواصلة المسير، فأبيت. وقد اعتادوا أن يتنازلوا أمام طلباتي لأنهم أنِسوا بي أولًا، ثم أنهم وجدوا مني عدم تنازل لطلباتهم. رضخوا للأمر فاضطجعت، ووقف الشرطة حولي خشية أن أفلت من قبضتهم. وبعد هجعة قصيرة نهضت وتهيأنا للمغادرة. حين اتّجهنا إلى السيارة رأينا عشرات الأفراد يحيطون بها ويرفعون أصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد. وهو شعار ديني يعبّرون فيه عن تعاطفهم. فبادلت هؤلاء التحية والعواطف، لكن الشرطة ذعروا ودهشوا، فعطفت عليهم لما وقعوا فيه من موقف حرج. وركبنا السيارة، واتّجهنا إلى جيرفت، بعد أن تركت فينا هذه الواقعة المعبّرة عن طبيعة الأمة أطيب الأثر وأحسن الوقع.

وصلنا إلى جيرفت. ومدينة جيرفت بستان كبير.. يخيل إليك حين تراها أنها كانت في الأصل بستانا ثم بنيت فيها البيوت وشيدت المحلات ومدت الشوارع. جوها حار مثل جو إيرانشهر غير أنه مشبع بالرطوبة ومملوء بألوان الحشرات والهوام، بينما هواء إيرانشهر خفيف ونقي وخال من الحشرات.

أخذوني إلى مركز الشرطة، وكان بناية ضيقة خانقة تركها المسؤولون ليستريحوا في بيوتهم. طلب مني أن أجلس ريثما يعود الشرطة إلى محل عملهم. قلت: لا أطيق البقاء في هذا المكان وأفضّل أن أجلس خارج البناية. فرشت عباءتي جوار الشارع المار أمام المركز، وكان خاليا إلا من بعض المارّة الذين كانوا يستغربون لرؤيتي أمام مركز الشرطة. أرسلت حسن آقا ليبحث عن بيت الشيخ الرباني الأملشي. وكان الشيخ قد نفي قبل وصولي بشهرين إلى هذه المدينة وأعلم أنه استأجر بيتا فيها واصطحب أهله.

علاقتي بالشيخ الرباني الأملشي رحمه الله قديمة تعود إلى ١٣٣٦ ه.ش (١٣٧٦ ه.ق) حين التقيت به لأول مرة في مدينة كربلاء، حيث كان هو والشيخ الهاشمي الرفسنجاني هناك. ثم توطّدت بيننا علاقات وثيقة أحبني وأحببته واشتركنا في مباحثة علمية في أحد الدروس لمدة سنتين.

بعد إنجاز الأمور الإدارية في مركز الشرطة اتّجهنا إلى بيت الشيخ الرباني، فلما رآني سرَّ بشدة، وقال: ما الذي جاء بك إلى هنا؟ قلت: هكذا قُدّر لي.

كنت المنفيّ الثاني بعد الشيخ الرباني إلى هذه المدينة، ثم التحق بنا المرحوم «الشيخ الرباني الشيرازي» والتحق آخرون بينهم كسبة حتى بلغَ عددنا تسعة. فقد اقتضت سياسة النظام الحاكم آنئذ جمع المنفيين في عدد قليل من المدن كي لا ينتشر نشاطهم في مناطق عديدة. فالمنفيون كانوا يمارسون أينما حلّوا نشاطًا شعبيًا إسلاميا.

أذكر أن أحد كسبة «قم» المنفيين جاء بعدي بأيام قلائل وحلّ في بيت الشيخ الرباني أيضا. وكان هذا البيت مقصد كل المنفيين، تجمّعنا فيه ثم تفرقنا بعد أن استأجرنا عدة بيوت. ولا أزال أتذكر ساعة وصول هذا الكاسب الذي جاؤوا به من منفاه الأول في ضواحي خراسان إلى جيرفت. لقد كنت نائمًا في بيت الشيخ الرباني إذ سمعت أصواتا عند الباب، نهضت وفتحت الباب فوجدت أن هذا المنفيّ وصل

مع اثنين من شرطة في سيارة مليئة بالأثاث والمتاع. كان الرجل قد اصطحب كل ذلك معه إلى منفاه الجديد. ولفت نظري منذ اللحظة الأولى نشاط الرجل وهمّته وشطارته (وهي ظاهرة يتميز بها أهل قم بشكل عام)، طلب من الشرطيين أن يقفا على مسافات قريبة بينهما، ثم بدأ يناول أحدهما الأثاث، وهذا للثاني، كي يضعها عند باب البيت. وكان يقوم بذلك بسرعة وخِفّة. وكلما ناول الشرطي قطعة أثاث يقول له: «بگو مرگ بر شاه» أي: قل، الموت للشاه! والشرطيان لا يعبآن بكلامه بل يضحكان مما يدلّ أنه استطاع أن يجتذبهما إلى جانبه بشدّة. وبعد ذلك عرفت أنه طلب من الشرطيين المرافقين أن يعرّجا على مدينة «قم» في الطريق من خراسان إلى جيرفت، واتفق معهما على أن يمضي أياما بين أهله، ثم يلتقي بهما بعد ذلك ليتوجّهوا إلى جيرفت. وتمّ له ذلك! ولابدّ أن أذكر هنا أن أهالي «قم» بخفة دمهم وشطارتهم خدموا الثورة كثيرا، حتى علماء الدين الذين أمضوا ردحا طويلا من عمرهم في الإقامة بهذه المدينة اكتسبوا هذه الصفة بدرجة وأخرى.

بعد أن اكتمل عددنا بدأنا بإقامة جلسات في المسجد الجامع. كان شيخ المنفيين سنا الرباني الشيرازي نقدّمه أمامنا ونمشي نحن خلفه. وكان الجمع يتكون من سبعة علماء وكاسبين وذهابنا بهذه الصورة الجماعية إلى المسجد كان يشكل تظاهرة تلهب عواطف الأهالي. ثم يرتقي أحدنا المنبر كل ليلة ويلقي كلمة تتعالى خلالها الهتافات والشعارات. وكان أول هتاف تصاعد في المسجد من جانب النساء خلف الستار.

طلائع أخبار الصورة وصلتنا ونحن في إيرانشهر. فقد وقعت حادثة «قم» في ١٩ دي ١٣٥٦ هجرية شمسية (٢٩ محرم ١٣٩٨ ه.ق). ثم توالت الأحداث. وبمناسبة أربعين شهداء قم وقعت حادثة تبريز، وبمناسبة أربعين شهداء تبريز وقعت حادثة يزد وحوادث جسام في مدن أخرى.

حين وصلتنا أخبار قم اتّخذنا منها موقف اندهاش ممزوج بعدم تصديق. فالجوّ السياسي كان خانقا ولا ينبئ بتحرك اجتماعي جماهيري. ثم من غير المتوقّع أن يصعد الموقف إلا حدّ المجابهة والاستشهاد. لم يكن لهذه الواقعة مقدمات تجعلنا نصدّق بوقوعها، بل وقعت مفاجئة. كانت في الواقع حدثا كبيرا بحدّ ذاته، ولد فجأة، دون سابق إرهاص.

بعد أن تتابعت الأحداث أدركنا أن ثمة حادثة عظيمة على وشك الوقوع. ورحت أتابع الأحداث بدقة. وكان هناك من الشباب من يجعلني في صورة كل مايحدث بتفاصيله. منهم الشيخ الصالحي، وهو من قم، وكان آنئذ في مقتبل شبابه ونشطا وفيه خفة حركة.

في خضم تلك الأحداث بعث لي الشيخ الصدوقي من يزد رسالة صغيرة طلب فيها مني أن أراسله بشأن ما يحدث في البلاد. وجدت الفرصة سانحة لأن أخاطب علماء الدين في البلاد من خلال الشيخ الصدوقي، وأعطيهم تحليلا معمقا عما يجري وعمّا يجب أن يتخذوه من مواقف وتدابير، لأن علماء الدين دخلوا بالفعل ساحة قيادة الأمة، وهذه القيادة تحتاج إلى عناصر نضج وعمق وقراءة للأحداث ورسم المستقبل والحذر من المؤامرات، وهي عناصر قلّما تتوفر في العلماء، آنذاك، إذ لم يسبق لأغلبهم أن خاضوا غمار قيادة أحداث سياسية، خاصة وأنها بمثل تلك الضخامة.

كتبت للشيخ الصدوقي رسالة في صفحتين كبيرتين ضمنتها رأيي في الأحداث الجارية من منظور سياسي وإسلامي. كتب لي الشيخ ثانية، وشكرني، وطلب المزيد. فكتبت له ثماني صفحات كبيرة عن «مسؤولية العلماء تجاه الثورة الإسلامية ومقابل مؤامرات الأعداء»، ونشر في كرّاس ووزع بغير اسم في مشهد ويزد ومناطق أخرى.

حين رأيت الآثار الإيجابية لمثل هذه الكتابات وأهميتها في تنضيج الموقف القيادي

من الأحداث واصلت الكتابة. من ذلك أني اغتنمت فرصة وقوع الأحداث الجسيمة في شيراز فكتبت رسالة في ٤، ٥ صفحات إلى «السيد الشهيد دستغيب» خاطبته وكل علماء شيراز. ومن جيرفت كتبت رسالة إلى «السيد شريعتمداري». وسبب كتابتي إلى السيد شريعتمداري تصريح له نشر في الصحف آنذاك أشار فيه إلى من أسماهم «المتطرفين».

وكان دأب السيد شريعتمداري أن يطلق تصريحات يحاول فيها أن يرضي السلطة والجماهير معا.. ولابد أن تكون الكفة الراجحة في هذه التصريحات رضا السلطة، لأنها تفهم معنى التصريحات وتتخذ منها الموقف الحازم. أما الجماهير فيمكن أن تخدع بموقف ضعيف مهزوز. وتعبير «المتطرفين» له خطورته الكبيرة، لأنه لو سرى على الألسن لتحول كل السائرين في خط الثورة إلى متطرفين مدانين. فكتبت إليه وحذرته من مغبة إصدار مثل هذه التصريحات. وقلت له: إن مثل هذا الكلام سيعطي للسلطة العذر لقتل الجماهير الثائرة باسم القضاء على التطرف، وتتحملون وزر كل ذلك. وبعد أن أنهيت كتابة الرسالة ووقعتها، بلغني ـ قبل أن أبعثها ـ نبأ وقوع مجزرة «الجمعة السوداء» (١٧ شهريور ١٣٥٧ ه.ش ـ ٥ شوال ١٣٩٨ ه.ق) في ميدان «جاله» (ميدان الشهداء حاليًا) بطهران، فكتبت على هامش الرسالة: هذه بداية عمليات القضاء على المتطرفين!!

كان وصولي إلى جيرفت مقرونا بعزل «جمشيد آموزجار» عن رئاسة الحكومة ومجيء «شريف إمامي». وهي حادثة آذنت بالإسراع في مسلسل الأحداث. فقد عمّ التوتّر البلاد، واتّجهت الأمور إلى الانفلات من يد السلطة، وخفت الضغوط. والانفلات هذا عمّ المنفيين، فمنهم من ترك جيرفت بدون إذن فنجا بعضهم تماما واعتقل بعضهم في طهران. ومنهم من أبى أن يأتي إلى منفاه الجديد في جيرفت مثل الشيخ محمد

جواد حجتي كرماني، فقد كان منفيا في سنندج ثم نُقل إلى جيرفت، وحينما مرّ على طهران أبى أن يواصل سفره، وبقي في طهران، واعتقل على أثر ذلك لأيام.

أما أنا فقد بقيت في جيرفت كي لايقال عني أنه فرّ أو تعب من المنفى. وما أردت أن يلقى القبض علي فارًا كما ألقي القبض على بعض الإخوة، إذا لا يتناسب ذلك مع شأني، وبقيت حتى يصدر أمر انتهاء نفيي بشكل رسمي، وكنت أعلم أن ذلك لا يطول. وفي ليلة جاء رئيس الشرطة وقال لي: أنت مطلق السراح.

لم أُبدِ أي تعجب أو سرور، وتلقيت الخبر دون اكتراث به. تعجب كثيرا من موقفي. ثم قلت له: أريد أن أبقى في جيرفت. استغرب أكثر وألحّ علي أن أغتنم الفرصة وأترك المدينة. قلت له: لا، سوف أبقى. وكان لي هدف من كلامي، لأني احتملت أن يكون في إطلاق سراحي مؤامرة تستهدف حياتي في الطريق. ولقد سمعت أن بعض المنفيين قد تمت تصفيتهم في طريق عودتهم بواسطة اصطدام مصطنع. استمعت إلى هذا الخبر من إذاعة طهران التي كانت تنقل آنذاك وقائع مجلس الشورى. وجاء هذا الخبر على لسان أحد أعضاء المجلس. وكان المجلس آنئذ يموج بفوضى عجيبة، ويحاول بعض نوابه مَلَقًا أن يدافعوا عن الثوريين. ثم إن إصرار رئيس الشرطة قوّى هذا الاحتمال.

قررت أن يكون خروجي من جيرفت دون علم من السلطة. بعثت لصاحبي سائق الشاحنة في «بم» ولشخص آخر في تلك المدينة من يدعوهما إلى المجيء إلى جيرفت. جاءا وقلت لهما: أريد أن أفرّ من جيرفت وحكيت لهم القصة. قالا: سنذهب بك ليلا، ولتبق سيارتك وأمتعتك في جيرفت كي لا تشعر السلطة بخروجك منها. كان معي في البيت أمتعة كثيرة جاء بها غالبا الأخوان الذين زاروني. أخذت الضروري منها وتركت الباقي، وقلت للأخوان: هذه الأمتعة وقف على المنفيين إلى

جيرفت. ولكن ـ لحسن الحظ ـ لم يستفد منها أحد، فالثورة اندلعت بإذن الله تعالى وانتصرت بفضله ومنّه.

خرجت من جيرفت في السحر وذهبنا إلى بَم. ثم جاء أحدهم بسيارتي إلى بم، بقيت في هذه المدينة يومين التقيت فيهما بالأهالي، ثم اتّجهت إلى مدينة كرمان وكانت سفرة ممتعة مليئة بذكريات جميلة طوينا فيها الطريق ليلا، وكان ثمة أكثر من داع للإحساس بسرور عميق؛ «الحرية»، وتصاعد الحركة الجماهيرية الإسلامية، «وصور المستقبل المشرق»، هذا إلى جانب متعة السفر الليلي في طريق بهيج.

ألقينا العصا في مدرسة من مدارس العلوم الدينية، ثم توجّهت إلى السوق لشراء حذاء وجوارب. لأني كنت أكتفي بالنعال العادي في إيرانشهر وجيرفت دون جورب لشدّة الحرّ فيها، وهذا الوضع لا يناسب كرمان. غير أني وجدت سعر الحذاء لا يتناسب مع ما أملك، فأعرضت عن شرائه واكتفيت بشراء الجورب.

كان من المنفيين في كرمان «الشيخ بورمحمدي» وهو من أهالي رفسنجان من أعمال كرمان، وكان مبعدا إلى «بندر لنجة» ثم نقل بسبب مرضه إلى كرمان للمعالجة. وكان يسكن في بيت كبير مشجّر لأحد تجار كرمان. ولما علم بوجودي في المدينة دعاني إلى ذلك البيت، وأصرّ على أن أقيم فيه، فوافقت، وبقيت يومين في هذه المدينة. وكانت فترة مليئة بالزيارات واللقاءات، فلقد سبق أن عرفني أهل كرمان، فتوافدوا علي، وكنت أستقبل الجماعات الزائرة القادمة إلى البيت منذ الصباح حتى المساء.

وخلال مدة إقامتي القصيرة في كرمان بلغنا نبأ ضغط النظام العراقي على الإمام الخميني في النجف، ومحاصرة بيته.

ذهبت بعد كرمان إلى يزد فرأيت الشيخ الصدوقي قائدا للمدينة بكل ما لكلمة القيادة من معنى. يعين للناس موقفهم وواجبهم في كل الأمور النضالية والسياسية

والاقتصادية، ويعلمهم كل شيء. يعيش ساحة الثورة بكل جرأة، ويخوض المعركة مع النظام كالأسد الهصور لا يخاف شيئا ولا يهاب أحدا. يقطع الشوارع والطرقات في الساعات المتأخّرة من الليل دون حراسة. وفي يزد سمعت أن الإمام اتّجه إلى باريس. ومن يزد سافرت بالطائرة إلى طهران ومنها إلى مشهد.

الفصل الثاني

١: الخريف ١٩٧٧

في الثالث والعشرين من أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٧، وعلى أثر الرحيل المشبوه للسيد مصطفى الخميني، نجل الإمام الخميني المبرّز في النجف، سادت إيران حالة من التوتّر والاضطراب!

عندما وصل الخبر إلى مشهد فُجع السيد علي الخامنئي، البالغ من العمر ٣٨ عامًا، بهذا المصاب أكثر من غيره، إذ كانت تربط بينهما علاقة وطيدة وحميمة:

«كانت تربطنا بالسيد مصطفى صلة وثيقة.» ١٩٨٢

«كنت في مشهد حيث وصلنا الخبر، والحق يُقال إنّه خبرٌ لم يصدّقه البعض من الأصدقاء، وذلك لعظمة الحادثة وفداحتها.» ١٩٩٧/٩/٢٩

بعد أن اطّلع السيد الخامنئي ورفاق دربه على نبأ وفاة السيد مصطفى الخميني المثير لعلامات الاستفهام والذي هو أشبه بالاغتيال، مارسوا مختلف الأنشطة في سبيل تكريمه وإحياء ذكرى قائد النهضة الإسلامية في أذهان الجماهير من جديد وتردُّد اسم الإمام الخميني على الألسن.

ومن هذه الأنشطة إخبار أهالي مشهد عبر الاتصالات الهاتفية والبرقيات، وإقامة

مجالس تأبينية، وتعطيل الحوزة العلمية، وإرسال برقية تعزية إلى النجف الأشرف.

«سماحة آية الله العظمى السيد الخميني متّع الله المسلمين بطول بقائه

النجف ـ العراق.. إنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد أنزل الله الحكيم أشدّ المحن والبلايا، التي قدّرها لأوليائه، على ذلك القلب الواسع. وهذا بدوره جانب آخر من الشبه بالحسين بن علي عليه السلام. إني أُسلّي نفسي على ما لاقته من الحزن والأسى بذكر ما تتسم به تلك الروح الكبيرة من الحلم والصبر والتوكل، سائلًا (من الله) أن يصون ذلك الوجود المبارك.

السيد علي الخامنئي

شارع خاكي زقاق فروغ زقاق فريدون رقم الدار ١٤»

كان للسيد علي الخامنئي ملف ضخم في دائرة السافاك (منظمة الأمن والاستخبارات في إيران)؛ ملف مليء بأخبار الوشاة، والتنصّت على المكالمات الهاتفية، ونصوص المحاضرات، وأحكام الاعتقالات. وكانت برقية تعزية وفاة السيد مصطفى وثيقة جديدة وصلت بيد السافاك وأضافت صفحة جديدة إلى الملف.

إنّ اعتقال المجاهدين من الطراز الأول ومن ذوي السوابق، كان أول ردة فعلٍ للحكومة البهلوية تجاه ما يجري من أحداث؛ أولئك الذين كانوا يلعبون دورًا أساسيًا في إنارة أفكار الناس.

وبما أنّ البلاء كان يحلّ أولًا بأصحاب الهمم العالية، كان السيد الخامنئي معرّضًا لاعتقال جديد أكثر من أي وقت مضى، وقد تم اعتقاله بسهولة!

لم يكن الاعتقال بواسطة السافاك شيئًا جديدًا، بل كانت تكفي لرجال السافاك أدنى ذريعة ليهجموا ويضربوا ويعتقلوا، ولكن رغم كلّ هذا كان اعتقال ١٤ ديسمبر/ كانون

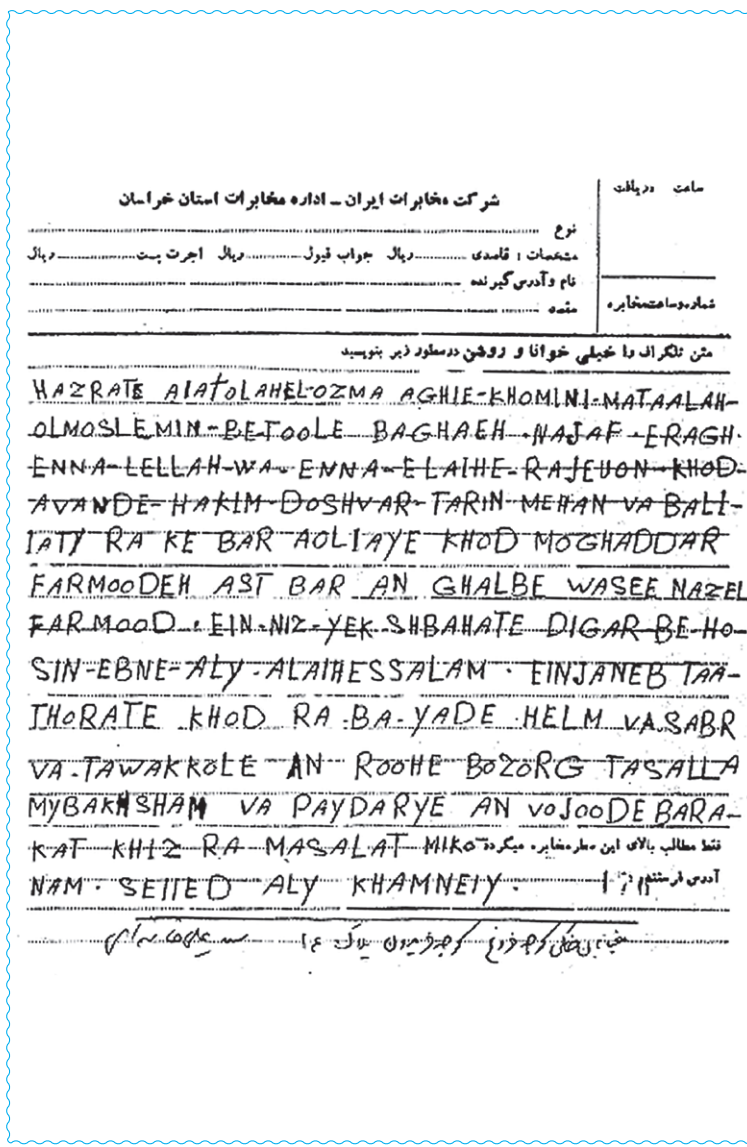

شرکت مخابرات ایران ـ اداره مخابرات استان خراسان

ساعت دریافت

نوع

مشخصات : قاعدی ..... ریال جواب قبول ..... ریال اجرت پست ..... ریال

نام وآدرس گیرنده

متن

شماره دوسامت مخابره

متن تلگراف را خیلی خوانا و روشن درسطور زیر بنویسید

HAZRATE AIATOLAHEL-OZMA AGHIE-KHOMINI-MATAALAH-OLMOSLEMIN-PETOOLE BAGHAEH-NAJAF-ERAGH ENNA-LELLAH-WA-ENNA-ELAIHE-RAJEUON-KHOD-AVANDE-HAKIM-DOSHVAR-TARIN-MEHAN-VA BALI-IATY RA KE BAR AOLIAYE KHOD MOGHADDAR FARMOODEH AST BAR AN GHALBE WASEE NAZEL FARMOOD. EIN-NIZ-YEK-SHBAHATE DIGAR-BE-HO-SIN-EBNE-ALY-ALAIHESSALAM. EINJANEB TAA-THORATE KHOD RA BA-YADE HELM VASABR VA TAWAKKOLE AN ROOHE BOZORG TASALLA MYBAKHSHAM VA PAYDARYE AN VOJOODE BARA-KAT KHIZ RA MASALAT MIKO

فقط مطالب بالای این سطر مخابره میگردد

آدرس فرستنده

NAM. SEIIED ALY KHAMNEIY.

أكتوبر/تشرين الأول ١٩٧٧، برقية تعزية السيد الخامنئي إلى الإمام الخميني بمناسبة رحيل السيد مصطفى الخميني.

الثاني في منتصف الليل أشدّ وحشية من سابقاته. وكان من المرارة لدرجة سطّر إحدى الذكريات التي لا تقلع عن ذاكرة زوجة السيد الخامنئي؛ الزوجة القوية والمقاومة التي واكبت زوجها المجاهد في مسيرته وشاطرته في أفكاره منذ عام ١٩٦٣ حيث كان لها من العمر سبعة عشر عامًا، دون أن يعتريها الريب في هذا الطريق الصعب. وكان السيد علي الخامنئي قد أدرك مقاومة شريكة حياته السيدة خجستة ورباطة جأشها في المسائل السياسية منذ الأيام الأولى من حياتهم الزوجية:

«في بداية الزواج، ومنذ الأيام الأولى أو لربما الأسابيع الأولى من الحياة الزوجية، أي قبل أن نعيش تحت سقف واحد، كنتُ أطرح عليها المسائل السياسية. ولربما كانت تعلم قبل ذلك باهتمامي بالمسائل السياسية، إلا أنها تعرفني أكثر بصفتي طالب علمٍ عاد من قم، ويحضر درس السيد الميلاني الذي يعرف هذا الطالب ـ فإنه هو الذي أجرى خطبة عقد نكاحنا ـ ويحظى باهتمام هؤلاء الأساتذة والأعلام ومحبتهم.. كانت تنظر إليّ بهذه النظرة. وفي الأسابيع الأولى من زواجنا تمّ نفي الإمام (الخميني) إلى تركيا. وفي اليوم التالي من نفي الإمام، عُقد اجتماع هام جدًا في مشهد وفي دار السيد القمي، اجتمع فيه رجال الدين في مشهد قاطبة. وكان قد طلب السيد القمي مني ومن الشيخ (واعظ) طبسي ومن شخص أو شخصين آخرَين أن نشارك في هذا المجلس، كي نقوم، من خلال الحماس والحرارة التي نولّدها، بتحريض علماء مشهد على القيام بحركة عامة، كالإضراب وعدم المشاركة في الصلاة ولربما الاعتصام في مسجد كوهرشاد. وكان ذلك اليوم يصادف اليوم الذي غالبًا ما كنتُ أذهب فيه إلى دارهم (دار والد زوجتي). فذهبت إلى هناك وأخبرتُ زوجتي بمجريات الحدث، وقلتُ لها عليّ أن أذهب، ولعلي لا أعود بعد، ولربما أُسجَن، أو أُقتَل، أو

يُفعَل بي ما يُفعَل. فوجدتها ثابتة الجأش ومستعدة لتقبّل هذه الأحداث.» ١٩٨٢

وكلما تقادم الزمن وتتالت الأحداث المختلفة، كلما ازداد إيمان السيد علي بزوجته:

«شهدتُ بعد ذلك أحداثًا كثيرة، فدخلتُ السجن لعدة مرات، واختبأتُ لفترة طويلة ولأكثر من سنة. وفي طهران كنّا لفترةٍ مشرّدين، نعيش في سكوت وعزلة. ومرّت بنا خلال فترة حياتنا الكثير من الحوادث المرة والحلوة، حيث شهدتُ الفقر والإعواز، وكانت حياتي لا تسير عجلتها في كثير من الأوقات، فواجهت هذه السيدة كل هذه الأحداث برحابة صدر ورغبة، دون أن تُعرب عن قلقها وتبرّمها من أوضاعنا لحظة واحدة، بل كانت هي المشجّع لي في قضايا عديدة. وفي بعض الأحيان كانت زُمرٌ من الجماعات السرية ومن الشخصيات الهامة ذات المستوى الرفيع، تتردّد على دارنا، علمًا بأني لا أخبر زوجتي عن حالهم، ولكنها كانت تدرك حساسية هؤلاء الأشخاص وأهميتهم من طريقة تردّدهم وأمثالها، دون أن تسألني عنهم، فإنها لم تكن تحاول أن تمطرني بالأسئلة، إلا أنها تشعر بذلك، وفي الوقت ذاته لم تكن تُبدِ أية مخالفة، بل كانت تساعدني أيضًا.» ١٩٨٢

رغم كلّ هذا، فإنّ الهجوم الوحشي لرجال السافاك في تلك الليلة على الدار، آلم السيدة خجستة كثيرًا، مع ما تتسم به من روحِ مقاومة وصمود منقطع النظير:

زوجة الإمام الخامنئي: «لديّ ذكرى من ديسمبر / كانون الثاني ١٩٧٧ لا تقلع عن ذهني أبدًا. هذه هي المرة الأخيرة التي اعتُقل فيها سماحته. كانوا قد حاصروا دارنا منذ الساعة السابعة من الليل. لم يكن السيد الخامنئي في الدار، وجاء في الساعة الثانية عشرة. وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، أدخل رجال السافاك أسلحتهم من فوهة الباب وهدّدوا السيد، فقاومهم وأغلق الباب.

كنتُ نائمة، فاستيقظتُ على صوت تهشّم زجاج الباب وصراخ رجال السافاك الذين كانوا يقولون: «اِستسلِم وإلا أطلقنا النار»، ورأيتُ ولدي الكبير مصطفى جالسًا على سريره وهو يقول مذعورًا: «أماه! قتلوا أبي».

فعرفتُ عندها ما الخبر. ومن خلف زجاجة الباب رأيتُ رجال السافاك قد قيّدوا يديه، وانهال عدد منهم عليه ضربًا، وكان، وهو في ذلك الحال، يدافع عن نفسه.

لبستُ العباءة على الفور، فدخل أحد الرجال إلى الفناء الذي كنّا نائمين فيه، ووجّه سلاحه نحوي ولم يسمح لي بالحركة. وفي هذا الحال، فزع أخي، الذي كان في دارنا تلك الليلة، من النوم وهرع إلى داخل الفناء وقال: ما الخبر؟

قلتُ له: لا شيء، هذا هو ديدنهم!

فاغتاظ السافاكي من كلامي.

كان ميثم يبكي في المهد..

بعد مضيّ فترة ذهبت إلى غرفة المكتبة التي كان السيد ورجال السافاك فيها، وكانوا يفتّشون في الكتب. وخلال تردّدي لعدة مرات، أخرجتُ الأوراق والمدوّنات، التي كان السيد قد تعب عليها كثيرًا، من الغرفة.

دخل وقت صلاة الصبح. أراد السيد أداء الصلاة، فتوضّأ وصلّى تحت رقابة رجال السافاك، ثم تهيأ للرحيل. أيقظتُ سائر الأولاد الذين كانوا في نوم، ولئلا يتألّموا كثيرًا قلتُ لهم: أبوكم عازم على سفر. غير أنهم حين شاهدوا رجال السافاك بأسلحتهم عرفوا الأمر. ودّعنا السيد الخامنئي ورحل مع رجال الأمن. ولما أسفر الصباح رأيتُ دمًا متساقطًا على الأرض دون أن أعرف السبب، حتى التقينا سماحته مساء نفس ذلك اليوم، وعرفتُ هناك بأنّ

قدمه قد جُرحت على أثر الضرب الذي تلقّاه بواسطة أزلام النظام.»[١]

لقد تخلّدت ذكرى ليلة الاعتقال هذه، في ذهن السيد علي أيضًا بمرارة:

«ذات يوم في مدينة مشهد هذه، كانوا يعتقلوننا ويضربوننا ويحلقون لحانا.. داهموا دارنا في منتصف الليل، وانهالوا عليّ ضربًا على مرأى ومنظرٍ من زوجتي وأولادي، حيث كانوا ينظرون إلى هذه المشهد من خلف الزجاج. ولقد ضربوني برؤوس أحذيتهم على ساقي لدرجة، بقيت بعد النفي أيضًا مجروحة لربما إلى شهر أو أكثر.» ١٩٩٥/٨/١٧

لعدة مرات طالب رئيس السافاك في خراسان بالموافقة على نفي السيد علي الحسيني الخامنئي، إلا أنّ المركز كان مخالفًا لذلك. وفي ديسمبر / كانون الثاني من سنة ١٩٧٧، انعكس الأمر على ما يبدو! حيث عزم السافاك في خراسان، قبل الاعتقال السابع، على أن يزجّ السيد الخامنئي في السجن، ولكن صدر أمرٌ من المركز بنفيه إلى مدينة إيرانشهر! ومما لا شك فيه أن السافاك لو كان يعلم بتداعيات هذا النفي على النظام، لرجّح حرية السيد علي ونشاطه في مشهد على هذه العقوبة.

احتجزوا السيد الخامنئي لعدة أيام في الدرك بدلًا من مقرّ الشرطة ومنظمة الأمن. منذ عام ١٩٦٣، وعلى مدى سبعة اعتقالات، كان السيد الخامنئي، وللمرة الأولى، يرى مخفر الدرك في مشهد عن قرب. وبما أنّ الدرك لم يكن منظمة استخباراتية ورئيس قوات الدرك لم يكن من رجال السافاك، تعامل رئيس المخفر مع السيد علي باحترام، وفُسح المجال لأصدقائه بزيارته:

«تم اعتقالي في مشهد عام ١٩٧٧، وكانوا يريدون نفيي إلى نقطة (معينة).

---

١. الأقوال المنقولة عن زوجة الإمام الخامنئي في الكتاب، تعود إلى مقابلتها مع صحيفة الجمهورية الإسلامية بتاريخ ١٩٨٣/٦/٢٦.

فذهبوا بي إلى مخفر الدرك في مشهد بغية احتجازي لعدة أيام. لقد كان التعامل بادئ الأمر يتسم بقليل من الشدّة، ثم بدأ التردّد لزيارتي. سوى أن الذين كانوا يأتون لزيارتي، من الأصدقاء والمقربين الذين لم يكونوا من عامة الناس وإنما كانوا من أهل النبل والفهم في أوساط المجتمع، لم يكونوا على معرفة بمخفر الدرك، وكان بالنسبة لهم شيئًا مجهولًا. ولا يعرفون من الدرك إلّا ذلك الأخ الدركي الذي يُرى أحيانًا، وهو يحمل أسلحته، في وسط الجادة أو أمام مخفر الدرك.. هذا ما كانوا يعرفونه عن الدرك.

وأساسًا لم يكن الناس على معرفة بالدرك وبهذه التشكيلات. إذ لم يكن للناس شأن في الدرك، ولم يكن للدرك أيضًا شأن في الناس، ولا علاقة لأحدهما بالآخر. كما ولم يكن للأجهزة شأن يربط بينها.» ١٩٨٨/٢/١٨

وقوله: «لم يكن للأجهزة شأن يربط بينها»، كان مشهودًا بالكامل في قضية اعتقال السيد الخامنئي أيضًا. ففي صبيحة اليوم الخامس عشر من ديسمبر/ كانون الثاني، قصد رجال الشرطة دار السيد علي لاعتقاله فورًا وجلبه إلى دائرة استخبارات الشرطة، ولكنهم عرفوا بأن رجال السافاك سبقوهم إلى ذلك، ونالوا هم وسام شرف اعتقاله! حيث سمعوا من زوجة السيد الخامنئي قولها: في الساعة الخامسة صباحًا، هاجمت دارنا دورية مسلّحة واعتقلوه وأخذوه معهم.

لقد سُمح لزوجة السيد وأولاده أيضًا بزيارته.

زوجة الإمام الخامنئي: «في عصر نفس ذلك اليوم الذي اعتُقل فيه سماحته، اتّصلوا هاتفيًا من مخفر الدرك قائلين: يريدون الذهاب بالسيد، فلو كنتم ترغبون في لقائه أسرعوا للمجيء إلى هنا. فقصدنا مقر الدرك مع الأولاد وأحد أصدقائه ووُفّقنا لزيارته، كما والتقيناه في اليوم الثاني أيضًا فقال لنا:

حُكم عليَّ بالنفي إلى إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام.»

لقد كان النفي يمثل حلّ النظام الأخير لكبح نشاطات السيد الخامنئي. ستة مرات من الاعتقال والسجن والتحقيق والتعذيب، لا أنها لم تحجّم من أنشطة السيد، بل صنعت منه مناضلًا بكل ما في الكلمة من معنى؛ مناضلٌ كان يسدّد أقسى ضرباته صوب نظام الظلم والجور، بيد أنّ النظام لم يكن يعلم من أين ومن قِبَل أيّ أحد تلقّى هذه الضربات. فقد كان سماحته، وبأسلوبه الخاص، يمارس نضاله بطريقة لا يُعطي للنظام ذريعة ولا يمكّنه من العثور على وثيقة وشهادة ضدّه، غير أنّ هذا يمثّل جانبًا من القضية! والجانب الآخر هو أنّ النظام كان واثقًا من أن نشاطات السيد بأسرها كانت هدّامة ومناهضة للسلطة، بل وحتى لو اهتزّ ماءٌ في المدينة، فمن المحتمل أن تكون يده قد لامست ذلك الماء!

حين تم اعتقال السيد علي للمرة السابعة، بادر النظام الطاغوتي إلى عقوبته بالنفي بدلًا من السجن.. النفي إلى أين؟ إلى منطقة ينسى هذا العالم المجاهد الثوري فيها الجهاد ويتبدّد في ذهنه حُلُم الثورة! إلى منطقةٍ أشعة الشمس فيها أشدّ حرقة من سائر مناطق البلد والحرارة أساسًا ستحول دون ممارسة نشاطاته.. إلى منطقة غالبية أهلها من أبناء السنة، لئلا يرحّب أحدٌ بهذا العالم الشيعي المنفيّ.. النفي إلى مدينة إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام!

عندما وصل قرار النظام إلى مخفر الدرك وشاهده السيد الخامنئي، كتب في أسفل الصفحة:

«معترض على الرأي الصادر»

لا تخفيضًا في الحكم أو أملًا في إلغائه، بل لربما للتسجيل في صحيفة التأريخ.

وزارة الداخلية
محافظة خراسان
بلدية مشهد

السيد علي الخامنئي

طبقًا للرأي الصادر عن لجنة الأمن الاجتماعي في مدينة مشهد، إنك محكومٌ بالإقامة الجبرية في مدينة إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام، فإن كان لديك اعتراض على الرأي الصادر، يمكنك من هذا التأريخ ولمدة عشرة أيام أن تعلن اعتراضك لمحكمة محافظة خراسان وتطلب التحري في الأمر.

فرح انكيز باليزبان
رئيس بلدية مدينة مشهد

«معترض على الرأي الصادر»
السيد علي الخامنئي
١٩٧٧/١٢/١٧

وزارت کشور
استانداری خراسان
فرمانداری شهرستان مشهد

شماره ۳۰۹۰
تاریخ ۵۶/۹/۲۶
پیوست

آقای سید یحیی خامنه‌ای

برابر رای کمیسیون امنیت اجتماعی شهرستان مشهد
شما بمدت شش ماه محکوم به اقامت اجباری در شهرستان
ایرانشهر شده اید چنانچه اعتراضی برای صادره دارید میتوانید
از این تاریخ ظرف دهروز اعتراض خود را بدادگاه استان خراسان
اعلام و پژوهش خواهی نمائید ۰ الف

فرح انگیز پالیزبان
فرماندار شهرستان مشهد

بهای تمبر اعتراض
سید یحیی خامنه‌ای
۵۶/۹/۲۶

دیسمبر/كانون الأول ۱۹۷۷، اعتراض السيد الخامنئي المكتوب في أسفل حكم النفي.

الروتين الإداري لصدور حكم النفي بدوره كان ملفتًا! فإن لجنة الأمن الاجتماعي في مشهد هي التي كان ينبغي لها، وفق القانون، إصدار حكم النفي، إلا أنّ هذه اللجنة تشكّلت في الوقت الذي كان قد اعتُقل السيد الخامنئي!

في يوم ١٢ ديسمبر / كانون الثاني، أصدر السافاك في طهران أمرًا بنفي السيد الخامنئي، خلال رسالة بعثها إلى السافاك في خراسان كتب فيها: «يتعيّن عليكم فورًا، عبر تشكيل لجنة صيانة الأمن الاجتماعي، اتخاذ إجراء لنفي رجل الدين المشار إليه إلى مدينة سيئة الطقس لمدة ثلاثة أعوام.» سوى أنّ السافاك في خراسان كان على عجالة باعتقال السيد وتقييده لدرجة بادر إلى اعتقاله قبل تشكيل اللجنة! وبعد أن بات شيخان، رئيس السافاك في خراسان، مطمئن البال من اعتقال السيد الخامنئي، قام في الساعة التاسعة صباحًا من يوم ١٤ ديسمبر / كانون الثاني، بتشكيل لجنة الأمن الاجتماعي، ليتم عبر اجتماع شكلي وصوري اتخاذ القرار في نفي السيد إلى إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام.

في صبيحة يوم ١٨ ديسمبر / كانون الثاني، أركبوا السيد الخامنئي حافلة تحت رقابة عدد من الرجال الأقوياء المدرَّبين، قاصدة مدينة زاهدان.

حكم النفي رغم مرارة الاعتقال وشدّته كان يتسم للسيد علي بشيء من الحلاوة أيضًا. فالنفي لا فيه أثر من حالات تعذيب السافاك الشديدة، ولا أثرٌ من الاعتقال والسجن الانفرادي، وهو رغم مشقاته أسهل من السجن. ومن جانب آخر، كان السيد على علم بأن الشيخ محمد جواد حجتي كرماني[1]، وهو من المناضلين الجيّدين والناشطين ومن الطراز الأول في النهضة الإسلامية، قد نُفي قبله بأسبوع إلى إيرانشهر. فقد كانت تربط بين السيد علي والشيخ محمد جواد علاقة قديمة وحميمة، وحضور

١. قسم الملحقات، الهامش في ص١٨٩

الشيخ في إيرانشهر يحدّ من ألم النفي بطبيعة الحال.

قبل وصول السيد الخامنئي إلى محافظة سيستان وبلوشستان، وصلت رسالة برويز ثابتي السرية للغاية والمشفّرة إلى هناك. كان ثابتي مدير عام دائرة السافاك الثالثة (الأمن الداخلي)، وكان عمليًا هو الآمر والناهي في منظمة الأمن. وهو الذي كان على معرفة جيّدة بالسيد علي الخامنئي، كتب رسالة إلى أعوانه في سيستان وبلوشستان، يأمرهم فيها بأن يراقبوا هذا العالم الممتعض والمتطرّف:

«علي الحسيني الخامنئي، أحد رجال الدين الممتعضين والمتطرفين في مشهد، بسبب تحريضاته الضارة وتمهيد الأرضية للإخلال بالنظم العام، حُكم عليه، طبقًا لرأي لجنة الأمن الاجتماعي في المدينة المذكورة، بالإقامة الجبرية في إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام، ومن المقرر إيفاده إلى تلك المنطقة، فعليكم بممارسة الرقابة اللازمة تجاهه وإبلاغي بنتائج الأمر.»

لم يكن السيد علي غريبًا على محافظة سيستان وبلوشستان. ففي شتاء ١٩٦٤، قصد مدينة زاهدان للتبليغ في شهر رمضان المبارك، وأقام فيها عشرين يومًا. في ذلك العام، حلّ السيد علي، وهو طالبٌ له من العمر أربعة وعشرون عامًا، ضيفًا على الشيخ الكفعمي الخراساني، العالم الكبير في مدينة زاهدان، وكان في كل ليلة يُلقي خطابًا على الناس في المسجد الجامع. وهو الذي كان قد توجّه إلى زاهدان إحياءًا لذكرى واقعة ١٥ خرداد (١٩٦٣/٦/٥) وإيقاف الناس على جرائم النظام في ذلك اليوم، تم اعتقاله إثر خطابه الناريّ في النصف من شهر رمضان، وبعد أيام من الاحتجاز والتحقيق في زاهدان، نُقل إلى طهران وإلى سجن قزل قلعة.

وبعد أربعة عشر عامًا، تقرر ثانية أن يحلّ السيد الخامنئي ضيفًا على أهالي هذه المحافظة من البلوش، وأن يجالس أهالي مدينة تبعد عن زاهدان ٣٥٠ كيلومترًا: إيرانشهر!

في يوم الإثنين ١٩٧٧/١٢/١٩ المصادف ٨ محرم، دخل عصرًا مدينة إيرانشهر برفقة رجال الأمن، وذُهب به إلى البلدية أولًا ثم إلى مقر الشرطة.

ملفّ السيد الخامنئي الذي تم تشكيله قبل عدة أيام في مخفر الشرطة، كان يحتوي في صفحة بياناته على نقص. فقام أحد الرجال بسؤال السيد عمّا في هذه الصفحة من أسئلة، وأخذ يدوّن الأجوبة بسرعة. بعد هذا التحقيق وبعد التوقيع في سجلّ الحضور والغياب، تركوا السيد لحاله كي يفتّش عن مكانٍ له في إيرانشهر.

«ذهبوا بي إلى مركز الشرطة، سجّلوا اسمي هناك وأخذوا مني توقيعًا وقالوا: اِذهب!

خرجتُ من مركز الشرطة ولا أدري إلى أين.» ٢٠٠٠/٥/١٣

محسن رؤوفي هو الشخص الوحيد الذي كان السيد الخامنئي يعرفه في تلك المدينة الغريبة.

تعود معرفتهما إلى حلقات الدرس التي كان السيد الخامنئي يُقيمها في مشهد لعامة الناس. ففي زيارةٍ لرؤوفي مدينة مشهد، شارك في إحدى هذه الحلقات، وتحدّث مع السيد قليلًا بعد الجلسة.

بعد الاستفسار، عثر السيد الخامنئي على دكّان رؤوفي، ولكن رآه مغلقًا. بقي ينتظر أطراف الدكان كي يلتقيه. فبادر البعض، ممن شاهد السيد، إلى إخبار رؤوفي بأن سيدًا من رجال الدين يبحث عنك، وهو واقف بانتظارك أمام الدكان.

توجّه رؤوفي إلى الدكان مسرعًا، وإذا به وبكل استغراب يرى السيد الخامنئي:

محسن رؤوفي: «تعجّبتُ من ذاكرته الجيدة! لم أعد أصدّقُ بتاتًا أنه يتذكّر اسمي من خلال ذلك اللقاء القصير جدًا والذي تم فيما بيننا لمرة واحدة. منذ عامٍ والسيد صادق حجازي كان منفيًّا من همدان إلى إيرانشهر، وكان قد

نزل عندي مستأجرًا. كنتُ في الصيف غالبًا ما اتّجه لزيارة مشهد. في ذلك العام وعلى أبواب السفر، أعطاني السيد صادق عنوان أخيه السيد جواد كي أزوره. فقصدته وكان موظّفًا في (شركة) الاتصالات في مشهد، وعن طريقه شاركتُ في جلسات السيد الخامنئي. عندما جاء السيد إلى إيرانشهر، كان لديّ محل أدوات رياضية. وكان عصر اليوم الثامن من محرم. فانطلقتُ مسرعًا نحو الدكان، وحين اقتربتُ منه، رأيت السيد في الشارع واقفًا أطراف دكّاني.»[١]

أخبر السيد الخامنئي رؤوفي بقضية نفيه، ثم اتّجها معًا لأداء صلاة المغرب في الفاطمية، وكانت خالية من الجمهور. بعد أداء الصلاة، وبما أن تعب السفر مازال عالقًا على جسده، ذهب السيد إلى حجرة المؤن في الفاطمية كي يستلقي قليلًا ويستريح. وكانت ليلتها ليلة التاسع من محرم.

دخل مدير دائرة الاستخبارات في إيرانشهر إلى الفاطمية، ووجد السيد الخامنئي في حجرة المؤن، فعرف أن محسن رؤوفي هو الذي جاء به إلى هذا المكان، إذ لم يكن فيه سوى رؤوفي والسيد الخامنئي وبضعة أشخاص آخرين. فاتّجه نحو رؤوفي وقال متسائلًا: من هو هذا السيد المستلقي هنا؟ قال رؤوفي: لا أعلم! رجل دينٍ دخل لتوّه! ولم يرتقِ المنبر بعد حتى نعرف من هو.

رفع السافاكي صوته غاضبًا وقال: منبر؟! لا تفكر بهذا الأمر أبدًا! إنه منفيّ ولا يحقّ له ارتقاء المنبر!

مرّت ساعة.. استيقظ السيد الخامنئي، فرأى الناس شيئًا فشيئًا بدأت تتجمّع في الفاطمية لإقامة مراسم العزاء. وبين الجموع الوافدة، قُرّت عيناه برؤية صديقه الحميم

---

١. الأقوال المنقولة عن السيد محسن رؤوفي في الكتاب، تعود إلى مقابلات أجريناها معه في أكتوبر / تشرين الأول ٢٠١٦.

الشيخ محمد جواد حجتي كرماني. فاتّجه لاستقباله بكل شوق وتوق وعانقه.

«ثلاثون عامًا ونحن كتفًا إلى كتف، في المنفى وفي (أيام) النضال وفي تلقّي الصفعات. وصداقتنا مع الشيخ محمد جواد حجتي صداقة قديمة. كان من خيرة المجاهدين ورادتهم على مدى (سنوات) النهضة. وقد أثبت وفاءه للإمام (الخميني) على الدوام. رجلٌ قضى أحد عشر عامًا في السجن، وهو من المناضلين الثوريين المخضرمين القدامى، قاسى من ألم التعذيب وأدى ما عليه من امتحان.» ١٩٨٩/٥/٢٦

إنها لتجربة جديدة أن يرى السيد الخامنئي حضور أبناء السنة في الفاطمية ورثاءهم وبكاءهم في عزاء الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان قد سمع عن محبتهم لأهل البيت، ولكنه لم ير ذلك رأي العين.

«كان أبناء السنة في إيرانشهر، يقيمون العزاء في شهر محرم... لقد رأيت بنفسي أبناء السنة البلوش الذين كانوا يحضرون في حسينية الشيعة من بداية العشرة (الأولى) إلى آخرها، ويجلسون لاستماع المأتم، ويذرفون الدموع أحيانًا.» ١٩٨٣/١١/١٠

بعد انتهاء مراسم العزاء، أخذ محسن رؤوفي هذين العالِمَين المنفيَّين إلى داره لاستضافتهم وإسداء الخدمة لهم. وهذه هي المرة الأولى التي يلتقي حجتي كرماني فيها رؤوفي، وهو الذي كان قد نُفي إلى إيرانشهر قبل السيد الخامنئي بأيام.

حجتي كرماني: «حين وصلتُ إيرانشهر، استقبلني السيد محصل يزدي، وهو عالم مقيم في هذه المدينة، ومن الإخوة والطلبة الناشطين في حوزة قم العلمية. مكثتُ في داره بضعة أيام. ثم نُفي آية الله السيد الخامنئي أيضًا إلى إيرانشهر. كانت تربطني بالسيد الخامنئي علاقة وصداقة منذ أن كنتُ طالبًا

في قم. فقد كان سماحته ولايزال يتلطّف عليَّ كثيرًا، وكنتُ ولا أزال أُكنّ له حبًا وافرًا، وأفتخر أني كنتُ ولا أزال صديقًا ورفيقًا حميمًا له.

ذات ليلة، وحين مشاركتي مجلس عزاء في إيرانشهر، رأيت السيد فانقلبت أحوالي! وشعرتُ بأنّ الله قد وهب لي الدنيا. فتعانقنا بكل حرارة، والحاضرون في المجلس ورجال الحكومة كانوا يشهدون هذا اللقاء الحارّ.

بعد مجلس العزاء ذهبنا معًا إلى دار السيد رؤوفي. وتحدّث سماحته لي كيف أن رجال السافاك داهموا دارهم ليلًا على حين غرة وهشّموا الباب والزجاج، وكيف وجّهوا أسلحتهم نحوه وضربوه و....»[1]

وبالطبع حتى لو لم يحدّث السيد علي أحدًا بما جرى في تلك الليلة، فإن حالة مشيه بذاتها تنبئ عن كل شيء! ذلك إنّ أوضاع ساقيه بلغت درجة تحتاج إلى تبديل الضماد باستمرار.

محسن رؤوفي: «عندما ذهبنا مع السيد إلى الدار، عرفتُ بأنّ قدميه قد جُرحتا بشدة على أثر التعذيب والضرب. وحين ألقيتُ نظرة على قدميه وجدت كلا القدمين مدماة، وقد تخثّر الدم فيهما. فاشتريتُ له رباطًا (طبيًا) وضمادة نظيفة ولاسقًا ليقوم بتضميد قدميه في الحمام وتبديل الضماد في كل يوم. فقد فعل رجال السافاك الأنذال بقدمي السيد الخامنئي فِعلة، لم يعد يتمكّن من المشي الطبيعي ما يقرب من شهرين.»

---

١. الأقوال المنقولة عن الشيخ حجتي كرماني في الكتاب، تم اقتباسها من كتاب «عشق و تلاش» (العشق والجهاد) (مذكرات حجة الإسلام محمد جواد حجتي كرماني).

٢: الشتاء ١٩٧٧ و١٩٧٨

كان محسن رؤوفي[١]، وبالإضافة إلى اليومين الأخيرين من فصل الخريف، قد استضاف السيد الخامنئي والشيخ حجتي كرماني في الأيام الأولى من الشتاء لعام ١٩٧٧ أيضًا. وكان له صديق في غاية النشاط والحيوية، له من العمر خمسة وعشرون عامًا، يُدعى محمدحسين كريم‌بور. فرأى أنه ليس من الإنصاف، على مدى هذه الضيافة، ألّا يخبره بأنه قد تشرّف باستضافة السيد الخامنئي. اتّصل به هاتفيًا عصر اليوم الأول من الشتاء وقبل تعطيل دائرة التجارة في زاهدان، التي كان كريم‌بور موظّفًا فيها، وأخبره بمجيء السيد الخامنئي إلى مدينة إيرانشهر. فور سماع هذا الخبر، ترك محمدحسين عمله وخرج مسرعًا للبحث عن سيارة توصله إلى إيرانشهر. وفي منتصف الليل، وصل إلى دار رؤوفي. فأخذ يسترق النظر ليرى هل أهل الدار نيام أم يَقِظون؟ حين وجد بعض مصابيح الدار وهّاجة، طرق الباب وحلّ ضيفًا عند المنفيّين. فأضحى هذا اللقاء الليلي طليعة لعلاقة حميمة ومتواصلة بين محمدحسين كريم‌بور والسيد علي الخامنئي؛ علاقة بقيت قائمة دون انقطاع حتى استشهاد كريم‌بور.

---

١. قسم الملحقات، الصور في ص ٢٠٥ و٢٠٦.

«التعرّف على الشهيد كريم‌بور، حدث خلال نفيي في مدينة إيرانشهر. حيث تعرّفتُ عليه في الأيام الأولى من نزولي في تلك المنطقة. ففي ليلة من الليالي، إذ كنت أنا والشيخ حجتي كرماني ـ الذي كان منفيًّا معي ـ قد تهيّأنا للخلود إلى النوم والراحة في وقت متأخّر من الليل، سمعنا باب الدار تُطرَق، فبادر الشيخ حجتي لفتح الباب، وإذا بنا نرى شابًّا بادَرَنا بإظهار الودّ والمحبة بحرارة بالغة. بيد أني لم أكن أعرفه، كما لم يكن يعرفه الشيخ حجتي أيضًا. فعرّف نفسه، وتبيّن أنه من أقرباء صاحب الدار، يعمل في دائرة التجارة في زاهدان. وهو شابٌّ يُبدي اهتمامًا وافرًا ويتّسم بإحساسٍ مُرهف.

في تلك الأيام التي تعرّفنا فيها على السيد كريم‌بور، كنّا حالّين ضيفًا على دار أحد الإخوة الصالحين المجاهدين في مدينة إيرانشهر. وكان صاحب الدار هذا، إلى جانب إخوته وعدد من أصدقائه وأقربائه، قد شكّلوا مجموعة، كانت تربطهم بالمنفيين صلة حسنة رغم الجهاز (الحاكم)، وكانوا يتمتّعون بوعي سياسي، ويعدّون في بيئة إيرانشهر يومذاك من المجاهدين.

وقد تبيّن أن صاحب دارنا هو الذي أبلغ هذا الشابّ العزيز للغاية بأني ضيفه ومنفيٌّ في إيرانشهر. فترك (الشابّ) مدينة زاهدان، قاطعًا هذه المسافة الطويلة، وجاء إلى إيرانشهر بغية أن يراني.

وبالتالي تعرّفنا عليه ووجدناه شابًا حيويًا جذّابًا ودودًا جدًا ومستعدًا لممارسة النشاطات. وبما أنّ اللقاءات الأولى، بطبيعة الحال، قلما تُساق إلى الخوض في المباحث السياسية والثورية، مرّت الجلسة الأولى بالتعارف وقليل من الأحاديث الطبيعية. غير أنه لم يترك الاتصال بنا، ورغم سكناه في زاهدان، كان بين الحين والآخر يأتي إلى إيرانشهر للقائنا والاستفسار عن بعض المسائل.

أخذت ثقتنا به تزداد شيئًا فشيئًا، وبدأنا نحدّثه بما كنّا نحدّث به الشباب في تلك الأيام، وهيّأناه لأن يجمع الإخوة الجيّدين والناشطين في إيرانشهر وزاهدان لممارسة سلسلة من النشاطات. كان هذا في عام ١٩٧٨، حيث النضال الجماهيري العام لم ينطلق بعد، وأحداث قم وتبريز ويزد والمدن الأخرى لم تحدث.

قمنا بحثّ السيد كريم‌بور على مزاولة الأنشطة الإعلامية والإسلامية والثورية في زاهدان؛ الأنشطة التي كانت لتوّها قد شاعت تلك الأيام في بعض المدن أو في الكثير منها. وهو بدوره كان يؤدي عمله، وفق الخطة التي رسمناها، بدقة وجودة. فقد كان شابًا في منتهى الإيمان والشجاعة والنقاء والتوادد والإخلاص. ولِما كان يتمتع به من حيوية وجاذبية كبيرة وطيب لسان وقدرة على إقامة الصداقة، سرعان ما استطاع أن يقيم علاقات وثيقة مع المرحوم الشيخ الكفعمي، العالم الشهير في زاهدان يومذاك، بحيث جعل (الأخير) مسجده مقرًا للإعلام الثوري. وكان العمل هذا في زاهدان آنذاك يعدّ كبير الأهمية. حيث عمدوا إلى دعوة خطيب أو خطباء، وتبلورت أحداث زاهدان في الحقيقة على يد هذا الأخ وفي مقرّ مسجد زاهدان الجامع؛ مسجد المرحوم الكفعمي، حتى آلت إلى الأحداث الدموية في الأشهر الأخيرة من الثورة، وبالطبع فقد قوبلت أحداث زاهدان، أي تياراتها الثورية، كسائر المدن، بمقاومة الجهاز (الحاكم) الشديدة، واندلعت بعض المواجهات. فإن حَمَلة الهراوات التابعين للجهاز من جانب، وأزلام النظام الرسميين من جانب آخر، كانوا يفرضون الضغوط على الناس، بيد أن الأرضية التي تهيّأت، أرضية ملائمة جدًا. ولقد كان هنالك بالطبع عدد من الشباب الجيدين الآخرين

في زاهدان أيضًا، سواء في بيئات الكسب والتجارة، أو في البيئات الطلابية للمدارس والجامعات، وبدورهم كانوا من العناصر الجيّدة جدًا، وسرعان ما استطاع المرحوم كريم‌بور أن يقيم علاقات وطيدة مع كل هذه الأوساط المسلمة والمناضلة. فانطلقت في زاهدان حركة، يسعني القول بأن المؤسس والرائد الأول لهذه الحركة هو المرحوم كريم‌بور، الذي عمد بجهوده إلى حثّ الآخرين، الذين كانوا يمارسون أنشطة سرية، على جرّ الأنشطة الثورية إلى ساحة النضال السافر.

ولابد لي من القول بأنه نذر نفسه بعد الثورة لإسداء الخدمة. ولعلي لا أستطيع استعراض قائمة من خدمات هذا الشهيد لأنه كان يعيش في مدينة (أخرى) وكانت تجري فيها قضايا جزئية قد لا نكون على اطلاع بها بشكل دقيق. وهو أيضًا لم يكن من أهل التظاهر حتى يبوح بها. وكانت حياته تمرّ بمنتهى الفقر والبساطة والقناعة، وكان قد انقطع لخدمة الثورة. ولذا يصعب على المرء حقًا أن يستعرض خدمات مثل هذا الشخص الذي نذر حياته للخدمة، واحدة تلو الأخرى. سوى أني أعلم أنّ أيًا من الجاه والمنصب أو القيادة (العسكرية) أو المسائل المالية بعد الثورة لم تتمكن من الاستحواذ على قلبه. وأيما عملٍ لدينا كانت له صلته بمحافظة بلوشستان، بل وحتى قبل الثورة حيث قمنا بتشكيل لجنة إغاثة للمنكوبين بالسيول، كان الشهيد كريم‌بور في جميع هذه المهام التي أنا على اطلاع بها، يعدّ أحد العناصر الفاعلة والمفصلية والمؤثرة للغاية.

يمثّل هذا الشهيد العزيز أحد المصاديق التامة لما قلته ذات مرة وهو أن الشهادة أجرٌ يمنحه الله سبحانه وتعالى لجهاد المخلصين، ويختم هذه الحياة

المنيرة والمشرقة والعامرة بالإخلاص والهياج والحيوية الثورية بمثل هذه النهاية المباركة وهذه العاقبة الزاخرة بالفخر والاعتزاز، ألا وهي الشهادة، وقد غمره الله بلطفه حتى فاز بالشهادة.»[١] ١٩٨٨/٣/٣

ومن بين الشباب والمراهقين من أهالي إيرانشهر أيضًا، كان أوّل من أقام علاقات حميمة مع السيد الخامنئي، طالبٌ في الثانوية يدعى أحمد آتش‌دست. وكان مراهقًا عطوفًا نشيطًا شجاعًا حيويًا، وبعد تعرّفه على السيد علي، تحوّل إلى ثوري فاعل بكل معنى الكلمة.

بقي آتش‌دست ملازمًا للسيد الخامنئي منذ أن رآه في اللقاء الأول وانجذب إليه، بحيث لم يمضِ يومًا إلا وكان يزوره في داره. ففي البداية كان يصل بخدمة السيد بذريعة ملء الفانوس بالنفط، ولكنه بعد فترة وجيزة أخذ يتردّد عليه لتلقّي الدروس والمعارف.

وبدوره عندما شاهد السيد الخامنئي ما يتسم به أحمد آتش‌دست من استعداد وموهبة، حسب له حسابًا خاصًا. فاحتلّ هذا الشاب لدى سماحته مكانة مرموقة، وراح تحت تربيته يسير في مسير الرقيّ والتعالي والكمال ويزدهر.

بعد مدة قصيرة جمع أحمد عددًا من أهالي إيرانشهر الشباب وشكّل مجموعة. فأخذت هذه المجموعة تقيم الجلسات تلو الجلسات مع السيد الخامنئي وتأخذ الدروس على يديه. ولقد تجلّت أولى مظاهر تأثير سماحته على هؤلاء الشباب في نفس ذلك الشتاء لعام ١٩٧٨. حيث بادر شباب المجموعة بريادة أحمد آتش‌دست، في ليلة من الليالي، إلى كتابة الشعارات على الكثير من معابر المدينة. الحدث الذي كان من الصعب تصديقه لا للعسكريين وحسب، بل لسكّان المدينة أيضًا.

---

١. قسم الملحقات، الصورة في ص ٢٠٩.

حتى آل الأمر رويدًا رويدًا إلى أن تصطبغ مجالس العزاء حتى بصبغة أخرى وتتحوّل على أثر اللطميات الثورية التي كان يُلقيها آتش‌دست، حيث كان يتمتع بصوتٍ رائعٍ جدًا.

إضافة إلى أنه، وفي برنامجٍ متواصلٍ، كان يأخذ الكتب من السيد الخامنئي ويُطالعها بدقة. وكان في أغلب الأوقات يشارك في جلسات مختلفة، ويتحدث إلى المستمعين ويُلقي عليهم محاضرة مقتبسة من موضوعات الكتب التي طالعها[1].

ذات مرة أهدى السيد الخامنئي له كتاب صلح الإمام الحسن ـ وهو كتابٌ للشيخ راضي آل ياسين قد ترجمه سماحته إلى الفارسية ـ وكتب في الصفحة الأولى منه: أقدّمه لقرّة عيني العزيز أحمد آتش‌دست.

فغدا هذا الكتاب بالنسبة له كالكنز الذي لا يُثمّن. وأخذ لا يفارقه عن نفسه، وكلما أراد قراءة الإهداء لأحدٍ اختنق بعبرته واغرورقت عيناه بالدموع قائلًا: انظر كيف خاطبني السيد الخامنئي...

في صيف ١٩٧٨، قُبِل أحمد آتش‌دست في فرع الطبية بجامعة أصفهان. حتى ذلك الحين لم يسبق أن يُقبل أحدٌ من أهالي إيرانشهر في الجامعة، وذلك في فرع الطبية، إلا ما يُعدّ بالأصابع.

عندما أبلغ أحمد السيد الخامنئي بقبوله، فرح السيد كثيرًا وأهداه مبلغًا لا يستهان به من المال كجائزة ومنحة دراسية.

حافظ آتش‌دست على صلته بالسيد الخامنئي بعد الثورة أيضًا، كما هو الحال بالنسبة إلى كريم‌بور. واللقاء الأخير الذي جمع بينهما، يعود إلى حفلة زواج أحمد التي أقيمت بالضبط قبل أربعين يومًا من شهادته في سرداب مبنى رئاسة الجمهورية.

---

١. قسم الملحقات، الصور في ص ٢١٠ و٢١١.

آتش‌دست الذي قضى جُلّ أيامه ولياليه في الجبهات منذ اندلاع نيرانها، استشهد في التاسع من فبراير / شباط ١٩٨٢، في منطقة عمليات فكة، وكان له من العمر اثنان وعشرون عامًا.

بعد عروجه كتب السيد الخامنئي، الذي كان رئيسًا للجمهورية، مكتوبًا نابعًا من قلبه، حول هذا الشهيد وفي حال متأثر:

«بسم الله الرحمن الرحيم

في إيرانشهر وبين كل أولئك المراهقين والأطفال، لم يكن إلا شخصًا واحدًا يحمل روح الجهاد والنضال، وهو أحمد آتش‌دست، وقد عقدتُ أملي على هذا الشخص الواحد الذي كان يجمع الأطفال ويُحيي المسجد بحضورهم الحيويّ الفاعل. وكان يأخذ الكتاب مني ويوزّعه ويُلقي المحاضرات. انتقل والده المكرّم بعد السيل إلى بيرجند، إلا أنه كان يودّ البقاء في إيرانشهر والاستزادة مني. وإنه كان الممثّل الوحيد عن جيله المتصف بروح الجهاد في تلك المدينة. ولم يقطع صلته بي بعد ذلك أبدًا. سمعتُ بأنه غدا شابًا وطالبًا جامعيًا، وشكرت الله على أنه بقي ثابتًا على نزعته الولائية، وكان يحترق قلبي أن أرى هذه الثمرة الوحيدة في المدينة قد افتقدناها، والله على هذا أشكر أننا لم نفتقده أبدًا...

قبل بضعة أشهر أجريتُ خطبة عقد قرانه واليوم سمعتُ بخبر عروجه.. يا ربّ الشهداء! اِرحم قلب أبيه وأمه وآباء جميع الشهداء، واحشُر هذا العزيز مع شهداء الإسلام العظام! تراب أقدام جميع الشهداء والمتأمّل بلوغ مقامهم.»

التوقيع

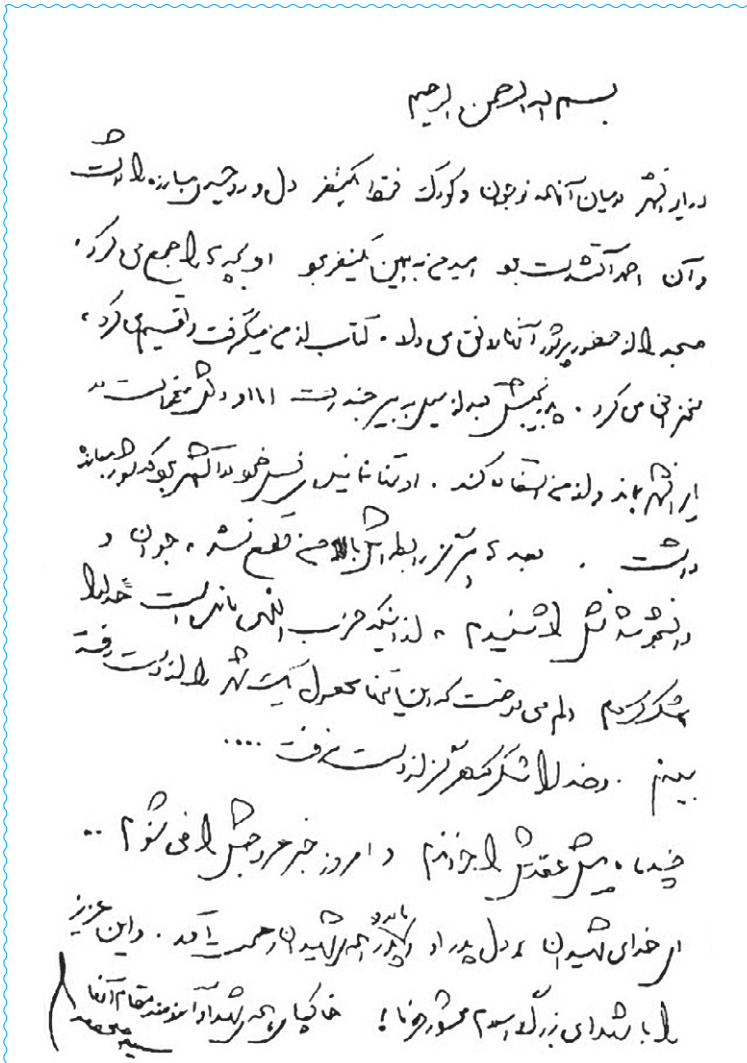

المكتوب الذي كتبه الإمام الخامنئي في فبراير / شباط ١٩٨٢ بمناسبة عروج الشهيد أحمد آتش‌دست

رغم إصرار محسن رؤوفي الشديد، قرّر السيد الخامنئي على أن يستأجر دارًا في إيرانشهر، ووافقه الشيخ حجتي كرماني على ذلك. علمًا بأن الشيخ كان يمهّد السبيل لمجيء زوجته إلى إيرانشهر، وكان قد عزم على أن يستأجر دارًا منفصلة متى ما وصلت زوجته.

الدار الجديدة كانت دارًا واسعة ذات أربعة غرف وساحة، وهي تعود إلى برويز فاضلي أحد أهالي إيرانشهر. في معمعة الانتقال إلى الدار الجديدة، وصل الشيخ محمد معين الغرباء بمعية أربعين شخصًا من الشباب المؤمن. وهو أحد رجال الدين من أهالي نيشابور وله من العمر أربعون عامًا ونيّف. قبل سنوات هاجر إلى مدينة زاهدان للتبليغ وأقام فيها. وحين سمع بنبأ نفي السيد الخامنئي إلى إيرانشهر، شكّل على الفور قافلة وانطلق بها نحو هذه المدينة.

فوصل إلى دار رؤوفي في وقتٍ كان السيد الخامنئي والشيخ حجتي كرماني قد تهيّئا للانتقال إلى المنزل الجديد. وكان هذا اللقاء طليعة للتعارف بين حجتي كرماني ومعين الغرباء.

حجتي كرماني: «كنّا أنا والسيد الخامنئي حالّين ضيفًا في أحد المنازل، وما أن عزمنا على استئجار دار جديدة حتى زارنا أحد رجال الدين المتسمين بالحيوية والنشاط، وهو الشيخ معين الغرباء مع عدد من الأشخاص. ورغم أنه كان أكبر سنًّا من السيد الخامنئي، ولكنه كان يتصرف بطريقة وكأنه من مريديه القدامى. جاؤوا وساعدونا على البحث عن المكان وتنظيف الدار والانتقال.»

بعد الاستقرار في المنزل الجديد، زارهم الحاج علي شمقدري[1]، وكان من روّاد منبر السيد الخامنئي لسنوات طوال في مشهد، ومن ملازميه في الأنشطة الثورية.

---

١. قسم الملحقات، الصور في ص ٢١٤ و٢١٥.

الحاج علي شمقدري الذي كان يكبر السيد علي خمس سنوات، ويعدّ دومًا من أمنائه وملازميه، كان أوّل من بادر إلى زيارة السيد الخامنئي من مشهد، وذلك بعد تجشّم عناء ومشقة كبيرة!

علي شمقدري: «عندما سمعت بخبر نفي السيد، انطلقتُ على الفور واستعرتُ سيارة أحد أصدقائي، وكانت من نوع آريا، لاتّجه إلى إيرانشهر مع صديق لي يُدعى السيد ضيافتي. وكانت غايتنا زيارة السيد من جانب، والذهاب إلى تلك المنطقة من أجل توفير إمكانيات العيش لسماحته من جانب آخر. حيث كنّا نعلم أن النظام إذا ما أراد نفي أحد إلى مدينة، سيتركه فيها لحاله ولا شأن له به أين يبيت وماذا يأكل وما الذي يريد أن يصنع.

وضعنا في السيارة بعض المتطلبات الضرورية كالبطانية وما شابه، وانطلقنا من مشهد في الصباح المبكّر. بعد أن تجاوزنا مدينة كناباد، أصبح الطريق ترابيًا. عند حلول أذان المغرب تقريبًا وصلنا مدينة بيرجند، فبقينا فيها تلك الليلة في مكانٍ متسخٍ للغاية، وكان قد استولى علينا الخوف والرعب. كما وقصدنا فيها مسجدًا كان قد اجتمع الثوريون فيه، مما يتبيّن أنّ ثمة أحداث كانت تجري هناك أيضًا.

تحرّكنا صباحًا باتجاه مدينة زاهدان، ومنها فما بعد كان الطريق مبلّطًا. ثم وصلنا عند المغرب إلى مدينة خاش، وهي تبعد عن إيرانشهر ساعتين. ولقد واجهنا أذىً كبيرًا حتى وصولنا إلى خاش. فالطريق من مشهد إلى زاهدان وخاش وإيرانشهر كان طويلًا جدًا. وكانت سيارتنا عالية، ونحن أيضًا راكبين في الأمام بحيث كنّا نهتزّ كثيرًا!

في طريق خاش إلى إيرانشهر، وفي ظلمة تلك الليلة، أركبنا اثنين أو ثلاثة من

الشبّان، وخلال الحديث معهم عرفنا أنهم من الثوريين، ولكنهم كانوا من أبناء السنة ومن اليساريين أيضًا! وصلنا إيرانشهر في وقتٍ متأخّرٍ من الليل، ونزلنا ضيوفًا في دار نفس هؤلاء الشبّان الذين كان أبوهم وأمهم من أهالي إيرانشهر. ورغم حياتهم المتواضعة جدًا، إلا أنهم أكرمونا بالضيافة، وبقينا عندهم تلك الليلة.

توجّهتُ في الصباح إلى مركز الشرطة واتّجه ضيافتي إلى أهالي المدينة. إذ كنتُ قد سمعتُ بأنّ على كل شخص منفيّ أن يذهب إلى مركز الشرطة ويوقّع في كل صباح. فقلتُ (في نفسي) لأراقب مركز الشرطة من بعيد، ومتى ما يأتي السيد أتّجه إليه. وكان من المقرّر أن يقوم ضيافتي باستفسار الناس، علّه يعثر على عنوان دار السيد. مكثتُ ساعة في أطراف مركز الشرطة حتى جاء ضيافتي وقال: عثرتُ على السيد. قلتُ له: كيف؟ قال: بينما أنا أسير في الطريق، رأيت رجل دين، فسألته عن السيد، فقال: امشِ خلفي. ركبنا السيارة جميعًا وذهبنا إلى زيارة السيد للمرة الأولى، ففرح كثيرًا وقال: أنت أول من زارني من مشهد.

مكثنا في هذا السفر لمدة أسبوع. والسيد في الأيام الأولى من إقامته قبل وصولنا كان قد نزل في دار رؤوفي. وهو وعائلته كانوا في غاية الطيب. والحاصل أننا خلال ذلك الأسبوع أعددنا للسيد باقي الأدوات من إيرانشهر، ثم رجعنا إلى مشهد.»[١]

ومن الأشخاص الذين بادروا إلى زيارة السيد الخامنئي في شتاء ١٩٧٨ هو الشيخ

١. مقابلة مركز وثائق الثورة الإسلامية مع السيد علي شمقدري.

محمدجواد باهنر الذي كان أحد المجاهدين من الطراز الأول في النهضة الإسلامية، حيث توجّه إلى سماحته بملء يديه.

«في عام ١٩٧٧، كان من المقرر أن ندوّن رؤية الإسلام الكونية بمعية جمع من الأصدقاء. ولكن بعد نفيي إلى إيرانشهر و(نفي واعتقال) عدد آخر من الأصدقاء، تبدّد هذا الجمع تقريبًا. بيد أننا عقدنا العزم على إنجاز هذه المهمة. وكان المرحوم الشهيد باهنر أحد أفراد هذه المجموعة.» ٢٠٠٤/٧/٥

«بينما كنّا أنا والشيخ حجتي كرماني في إيرانشهر إذ قَدِم الشيخ باهنر إلى هناك ووضع أمامنا نظامًا أساسيًا وقال: هذا ما نحن أعددناه، وبإمكانكما أن تُدلِيا برأيكما حوله، وتُخبرانا بالأمر. وكان ينطوي على مشروع بشأن الحكم في الإسلام وبضعة مشاريع أخرى لا أتذكرها. وضعها في متناول أيدينا وقال أنتم الآن في فراغ، وقد أتيحت لكم فرصة كبيرة، فتداولوا هذا المشروع فكرًا وبحثًا ودراسة، ثم ابعثوا به إلى طهران فهو يمثّل رأيكم من جانب وتكونوا قد قطعتم بعملنا خطوة إلى الأمام من جانب آخر. فانبعثت الحياة فينا حقًا، إذ شعرنا بأن العمل بدأ يواصل مسيره من جديد.» ١٩٨١/١٢/١٥

«زارني الشيخ باهنر وقدّم لي كهديةٍ عدة أجزاء من كتب التعليمات الدينية التي كانت قد ظهرت لتوها آنذاك. وهي كتبٌ تولّى تأليفها يومئذٍ الشهيد باهنر والشهيد بهشتي (رحمة الله عليهما) والسيد جلال الدين فارسي وأمثالهم. وفي الحقيقة كان على المرحوم السيد بهشتي التخطيط والتصنيف وعلى المرحوم باهنر والسيد فارسي من بعده التدوين والتأليف.

والسهم الأوفر كان على عاتق المرحوم الدكتور باهنر. إنه جاء بهذه الكتب ووضعها بين يديّ وقال طالعها، فهي تمثّل مستوى المعارف التي نقدّمه

لطلاب الثانوية. ولو أردتَ أنتَ أن تقدّم شيئًا، فلابد أن يكون أرقى من هذا المستوى.» ١٩٩٢/٣/٣

بعد حضور السيد الخامنئي في إيرانشهر، تضاعف التردّد إلى تلك المدينة. لم يمضِ يومًا إلا وكان مسافرٌ يفد إلى المدينة ويستفسر أهاليها عن دار السيد علي. وبسبب استضافة السيد وكرمه كان أغلب الضيوف يشعرون في داره بالراحة ويمكثون عنده عدة أيام.

قام سافاك إيرانشهر بمكاتبة سافاك سيستان وبلوشستان وعبّر عن قلقه تجاه هذا الموضوع: «بات عدد الزائرين يزداد في كل يوم، ومن الصعب مراقبة هؤلاء الأشخاص.» كان سافاك إيرانشهر متأملًا، عبر هذا التقرير الذي رفعه إلى المسؤول الأعلى، أن يتسلّم أمر حظر اللقاء بالمنفيين، غير أنّ الأمر الذي تم إبلاغه من قِبَل رضواني، رئيس السافاك في سيستان وبلوشستان هو كما يلي:

«نظرًا إلى أن عددًا من رجال الدين وطلبة العلوم الدينية والأشخاص العاديين المتعصبين مذهبيًا الساكنين في مختلف أنحاء البلاد ولاسيما في مشهد وقم، يدخلون إلى الحدود الإدارية لتلك المنظمة باستمرار في سبيل اللقاء برجال الدين المحكوم عليهم بالإقامة الجبرية، وقد يحملون معهم رسائل سيئة وبيانات ونشرات وكتب ضارة، لذا فليتم اكتشافهم بصورة خفيّة ولتخضع أعمالهم وتصرفاتهم للمراقبة ما أمكن، وليتم إبلاغ هذه المنظمة بالنتيجة في كل مورد. ومن البديهي أن مراقبة المحكوم عليهم أنفسهم، تقع في الدرجة الأولى من الأهمية.»

بناءًا على الأمر الصادر من السلطات العليا، ضاعفت منظمة الأمن والشرطة حساسيتهم أكثر من ذي قبل. حيث قاموا بإعداد لائحة دقيقة من أسماء الزائرين ومِهَنهم، وتاريخ دخولهم إلى المدينة وخروجهم منها، وتاريخ لقائهم بالسيد الخامنئي، ورقم سياراتهم،

وإرسال هذه اللوائح إلى رضواني، رئيس السافاك في سيستان وبلوشستان، وبدوره كان رضواني يرسلها إلى ثابتي، مدير عام دائرة الاستخبارات الثالثة.

بيد أن سافاك إيرانشهر لم يكتفِ بتسجيل معلومات الذين يلتقون بالمنفيّين، بل كان يضع العيون والجواسيس في أماكن مختلفة، لئلا يفوته أيّ زائر. فمطار زاهدان على سبيل المثال كان من الأماكن الخاضعة دومًا لمراقبة رجال السافاك. وسوّاق السيارات في طريق مطار زاهدان إلى إيرانشهر، كان معظمهم من عمّال منظمة الاستخبارات، وكانوا يُنزلون ركّابهم أمام مخفر الشرطة في إيرانشهر! وفي مخفر الشرطة، وبعد التحقيق والاستجواب، يُسمَح للمسافرين بالذهاب إلى لقاء السيد الخامنئي. وبالطبع لم تجرِ الأمور على هذا النحو دائمًا بحيث يذهب الزائرون إلى لقاء المنفيين بسهولة ويعودون إلى مُدنهم وديارهم بسهولة. بل في كثير من الأحيان كان الأمر يؤول إلى الاعتقال والملاحقة والفرار.

> **السيد إبراهيم رئيسي:** «في فترة دراستنا للعلوم الدينية في خراسان، ورغم الإعواز وضنك العيش، كنّا نجمع الأموال كي يتسنى لنا، بمعية الأصدقاء من طلبة العلوم الدينية، تقديم المساعدات للمنفيين. وأحيانًا ما كنّا نشدّ الرحال للقاء بهم. وفي إحدى المرات خرجنا من خراسان قاصدين إيرانشهر لزيارة المنفيين. كنّا أربعة طلبة واثنان منا كانوا يتزيّون بزيّ رجال الدين. في منتصف الطريق تم اعتقال المعمَّمَين من قِبَل الشرطة، ولكنهم غفلوا عنا أنا وصديقي إذ كنّا نرتدي زيًّا عاديًا فهربنا. واستطعنا (بالتالي) الوصول إلى دار السيد الخامنئي، ومكثنا عنده يومًا. وفي اليوم التالي من الليلة التي وصلنا فيها إلى داره، قال السيد لنا: منذ ليلة أمس وحتى هذه اللحظة جاء رجال السافاك لعدة مرات بحثًا عنكم وهم يفتّشون عنكم بكل جدّ! ثم دلّنا على طريقٍ يمرّ

من خلف الدار للهروب، فهربنا وعُدنا إلى زاهدان ومنها إلى مشهد.»[١]

كان الزقاق، الذي فيه دار السيد الخامنئي، تحت رقابة رجال الشرطة. ففي كثير من الأحيان كان يقف فيه شرطي أو أكثر من أجل رصد الذهاب والإياب وأحيانًا عدم السماح لكل أحد بزيارة المنفيين.

محسن رؤوفي: «أولئك الذين كانوا يفدون من المدن لزيارة السيد ـ وأغلبهم إما من طلاب الجامعات أو من الناشطين السياسيين ـ كانوا بادئ الأمر يأتون إلى دكّاني. وكان لي في تلك الأيام ولدان، أحدهما له من العمر سبع سنوات والآخر عشر سنوات. وكانت لهما درّاجة هوائية. فكنتُ أطلب من أحدهما أن يذهب ليرى هل يوجد أحد في أطراف دار السيد أم لا. إذ كثيرًا ما يحدث أن يكون هناك واحد من الشرطة. حيث كانوا في بعض الأيام يتردّدون على الزقاق عدة مرات، وفي كثير من الأوقات يستقرون هناك لمراقبة حالات الذهاب والإياب. كان ولدي يذهب ويُلقي نظرة إلى داخل الزقاق ويعود. فإن قال لا يوجد أحد، أرشدتُ الضيوف إلى دار السيد الخامنئي.»

ماعدا مراقبة حالات التردّد، كان رجال الشرطة أحيانًا يقفون خلف نوافذ دار المنفيين الكبيرة في سبيل التنصّت لما يجري في داخل الغرف من حديث، إلا أنّ هذا التنصّت لم يستدم كثيرًا. فإن الأستاذ عبدالحسين برونسي الذي جاء من مشهد لزيارة السيد علي، سرعان ما رفع هذا البساط من تحت أرجلهم! عبد الحسين برونسي معمار كادح متدين مجاهد يعتبر نفسه من تلامذة السيد الخامنئي ويقول: الكل يعلم بأنني منذ ذلك اليوم الذي تعرّفتُ فيه على حبيبي السيد الخامنئي، عرفتُ الدين جيدًا.

«كان هؤلاء (الشهيد برونسي ورفاقه) يأتون إلى مسجد الإمام الحسن... ثم

---

١. مذكرات حجة الإسلام السيد إبراهيم رئيسي في أبريل / نيسان ٢٠١٧.

جاؤوا إلى إيرانشهر. وفي إيرانشهر، كانت غرف الدار التي نسكنها ذات ثلاث أو أربع نوافذ، وفي كل غرفة نافذة مطلّة على الزقاق. فكان أولًا ضوضاء الزقاق يتسرّب من خلف هذه النافذة، وثانيًا كنّا إذا تحدثنا مع الضيوف يتنصّت رجال الشرطة من خلف النافذة لسماع حديثنا.[١] وعندما جاء هؤلاء السادة قلنا لهم لابد من إغلاق هذه النافذة. فقالوا: الآن! ثم انطلقوا وأعدّوا الآجر والجص، وخلال فترة قصيرة رفعوا جدارًا في الغرفة حتى أُغلقت بسهولة! النافذة موجودة من جهة الزقاق، ولكن بُني جدار من الداخل بسمك ٣٠ سنتيمتر.

لم يمارس الشهيد برونسي دراساته إلا في مرحلة الابتدائية. غير أنّ من رآه في الجبهات يقول بأنه إذا قام خطيبًا بين المجاهدين، كان لكلامه من التأثير ما يفوق كلام الدارسين بكثير، وكان يبهر التعبويين بنفوذ كلمته. ومن جملة هؤلاء السيد حسن خجسته الذي كان قد شاهد الشهيد برونسي في الجبهة. فإن سألتموه مرة أجابكم كيف كان يخطب هذا الشهيد. فإنه كان يترك بكلامه من الأثر وكان يحفّه بالمنطق والاستدلال لدرجة وكأنه كان يحمل دراسات عليا. حيث كانت المسألة تجري من ذهنه على لسانه كالماء الجاري فيبيّنها لأولئك الشباب. نسأل الله أن يرفع درجاته.

أظنّ أن السيد حسن، نقل عن الشهيد برونسي أنه (ذات مرة) أخذ في الجبهة يتحدث مع الشباب التعبويين عن مقام التوكل على الله قائلًا: كنتُ أنا في الجبهة وأطفالي الصغار والكبار في البيت، ثم أخذتُ إجازة، وفي يوم وصولي (إلى الدار) بمشهد، سقط أحد الأطفال الصغار وكُسِرت يده. فقلتُ هذا درس

---

١. قسم الملحقات، الصور في ص ٢١٧ و٢١٨.

علّمنا الله إياه. أي إنك إن لم تكن موجودًا نحن نحافظ على أطفالك، واليوم حيث أتيتَ كُسرت يده! فإن وجودك لا يترك أي أثر على حفظ هؤلاء الأطفال. لاحظوا! هذا هو البيان القوي الذي يفهمه الجميع.»[١]

كان الأصدقاء والرفاق إذا جاؤوا لزيارة السيد الخامنئي، نقلوا له مستجدّات الأنباء. ولكن رغم هذا، فإنه سمع بخبر انتفاضة أهالي قم في ١٩٧٨/١/٩ للمرة الأولى من لسان سائق شاحنة عابر.

«في تلك الأيام حيث كنتُ في إيرانشهر، دخل المدينة سائق شاحنة يحمل فيها البضائع. فرآني معممًا وعرف أني منفيٌّ هنا، وأني على غير اطلاع بالأحداث، وهو كذلك. فقال: لقد حدث في قم كذا وكذا. قلت: كيف هي معنويات الناس؟ قال: الناس في سرور. أولئك الذين يضحّون بأنفسهم في بهجة وسرور.» ١٩٨٣/١/٩

انتفاضة أهالي قم الدموية في ١٩٧٨/١/٩ ضدّ النظام الملكي البهلوي الذي كان في ذروة سطوته الشيطانية، لم تكن للسيد الخامنئي بالحدث الذي يمكن تصديقه.

«عندما جاء الخبر بأن قم قد انتفضت ونزل الناس إلى الشوارع وقُتل عدد منهم، لم نصدّق بالأمر. وكنا نقول أفهل يمكن ذلك! ولكن تواترت الأنباء لدرجة أوصلتنا إلى اليقين. ثم جاء أصدقاؤنا من قم وحدّثونا بالقضية.. لقد كانت حادثة عظيمة.» ١٩٨٨/٨/١١

في ١٩٧٨/٢/١، دخل الشيخ عباس واعظ طبسي والسيد عبدالكريم هاشمي‌نجاد[٢] إيرانشهر بمعية عدة أشخاص آخرين والتقوا بالسيد الخامنئي. وكان للقاء هذين

١. لدى لقائه عائلة الشهيد عبدالحسين برونسي في مشهد المقدسة، ١٩٩٦/٣/٢٤.

٢. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٧ و١٨٩.

الشخصين بالسيد الخامنئي من الأهمية بمكان من منظار السافاك. إذ كانوا هم المخططون الرئيسيون للحركة النضالية في مشهد وهم المسيّرون عجلة الحراك الثوري فيها عبر تبادل الآراء والأفكار. ومن هنا فإن منظمة الأمن في مشهد، أخبرت سافاك طهران وسافاك سيستان وبلوشستان بحركة طبسي وهاشمي نجاد منذ لحظة انطلاقهم من مشهد طالبة مراقبتهم بشكل خاص:

«عبدالكريم هاشمي نجاد وعباس واعظ طبسي، من رجال الدين المتطرّفين في مشهد، سافرا في ٣٠ يناير / كانون الثاني بالطائرة إلى زاهدان ومنها إلى إيرانشهر، يريدان اللقاء بالسيد علي الخامنئي الذي تم نفيه إلى إيرانشهر. فاطلبوا أن يجعلوا أعمال وتصرفات المشار إليهما خلال مدة الإقامة في تلك المنطقة تحت الرقابة وأن يبلغونا بالنتيجة.»

بقي السادة هاشمي نجاد وطبسي بضعة أيام عند السيد الخامنئي. وفي الليلة الأولى من وصولهما، التحق الشيخ حجتي كرماني أيضًا بالضيوف. فإنه منذ عدة أسابيع كان قد استأجر دارًا منفصلة بسبب مجيء زوجته. وفي الوقت الذي ترك داره للقاء هاشمي نجاد وطبسي، همّ بعض المجهولين بمداهمة داره، ولكنهم وبسبب كياسة زوجته فشلوا في الأمر.

حجتي كرماني: «تقع دارنا في مكان يعدّ آخر ما في المدينة. كانت زوجتي تلك الليلة وحيدة في الدار. حاول بعض الأشخاص مداهمة الدار، فأغلقت زوجتي الباب بوجههم وأقفلتها من الخلف. يُحتمل أنهم كانوا من رجال السافاك أو من اللصوص. عندما جاء السيد الخامنئي إلى دارنا في وقت متأخّر من تلك الليلة وعرف بالأمر، قال: لا ينبغي لكم البقاء هنا بعد، ويجب عليكم الرحيل من الدار في هذه الليلة، فإنها لم تعد مكانًا آمنًا لكم. ولابد أن نفتّش عن دار لكم في مركز المدينة.

بقي عدد من الأصدقاء في منزلنا تلك الليلة. وفي اليوم التالي عثر سماحته على دار جيدة وسيعة لنا في مركز المدينة. فجمعنا أثاث المنزل وانتقلنا إلى الدار الجديدة، ولكنها كانت متربة ومتّسخة للغاية. فأخذ كل واحد منا بيده مِكنسة لكنس جزء من الدار. وأتذكّر جيّدًا أن السيد الخامنئي راح يكنس المطبخ، واعتلت الغبرة رأسه ووجهه لدرجة أصحبت لحيته السوداء تمامًا رمادية اللون.

في كثير من الأحيان كانت تقع استضافة الضيوف الذين يفدون لزيارتي وزيارة السيد الخامنئي على عاتق زوجتي. فقد كان يأتي للقائنا في تلك الأيام عدد كبير من مشهد وقم وكرمان ويزد ومدن أخرى. وكان السيد الخامنئي يقول: المنفي الحقيقي لا أنا ولا أنت! المنفيّ الحقيقي هي زوجتك التي تستضيف ضيوفنا صباحًا ومساءًا. وهو كذلك حقًا. لقد كانت زوجتي تُجيد الطبخ، وتطبخ مرق السبيناغ بشكل لذيذ جدًا بحيث مازال السيد الخامنئي يذكره.»

في الفترة ما بين ٢/٢٠ و٣/٢٠، جاء عدد كبير من الضيوف لزيارة المنفيين. ومن جملتهم جمعٌ من الأصدقاء المقرّبين للسيد الخامنئي في مشهد.. الحاج سررشته‌دار والحاج غنيان والحاج حيدر رحيم‌بور وآخرون. وكان الرفاق المشهديون قد جلبوا معهم أموالًا كثيرة بغية أن يقدّموها للسيد الخامنئي من أجل إنفاقها في طريق النضال، ولكنه امتنع عن ذلك وقال: لا حاجة لنا بها هنا، أوصلوا الأموال إلى المنفيين في المدن الأخرى.

أما الحاج حيدر رحيم‌بور، فكان قد جلب معه حُليّ زوجته بدلًا من المال. فوضعه بين يدي السيد الخامنئي قائلًا: «زوجتي أبلغت سلامها وأرسلت هذا لصرفه في طريق النضال بما ترونه مناسبًا.» وكان وزن الحليّ التي هي من الذهب القديم يصل إلى كيلوغرام تقريبًا! لقد كان السيد الخامنئي على معرفة جيدة بالحاج حيدر وزوجته

فاطمة فكور يحيائي، حيث كانا من كبار المجاهدين في مشهد.

حركة السيدة يحيائي أبهجت السيد علي وجعلته يسطّر على الورقة رسالة شكر وتقدير. ولكنه كتبها بطريقة ذكية دون الإشارة إلى اسمها، مخافة أن تقع بيد رجال السافاك وتتسبّب في مضايقتها.

«الأخت الكريمة! أتشرّف أن أقدّم تحياتي وتبريكاتي الجديرة لكم أيتها السيدة المسلمة، حيث قطعتم بمبادرتكم الحكيمة خطوةً قيمةً في سبيل العمل بتعاليم الإسلام والتشبّه بقادة الدين الحقيقيين أكثر فأكثر.

في الوقت الذي نجد فيه سفاسف الحياة والأفراح الصغيرة والأتراح الحقيرة قد احتلّت جُلّ فضاء الإدراك والشعور والفكر والعمل لدى نساء ورجال مجتمعنا المستضعف، وذهبت أسس الحياة وأصولها، على أثر التربية السيئة والتحميق الصادر من المتربّعين على كرسيّ الإدارة والتدبير والإرشاد للمجتمع، في غياهب النسيان، وحلّ الحرص والطمع والاهتمام بالمظاهر والتجمّل والأرستقراطية محلّ النوايا والرغبات الصادقة، تعتبر المبادرة إلى إبعاد الحُليّ الفارغة والتافهة ماديًا مبادرة حكيمة وشجاعة حقًا.

الحلية الحقيقية للمرأة، هي ذلك الشيء الذي زيّن الوجه المثالي والمشرق للمرأة في صدر الإسلام وجعل شخصيات عظيمة من أمثال بنت النبي وأخت الحسين تضيء كالجوهرة المتألقة في أفق الإنسانية.

أقدّم لكم تحياتي ثانية على أمل أن توصلوا هذه الخطوة إلى الكمال عبر خطوات أعلى تقطعونها في نفس هذا الاتجاه وهذا الطريق وأن تأخذوا في هذا السبيل بأيدي سائر الأخوات المسلمات أكثر فأكثر.

التوقيع ١٩٧٨/٣/١»

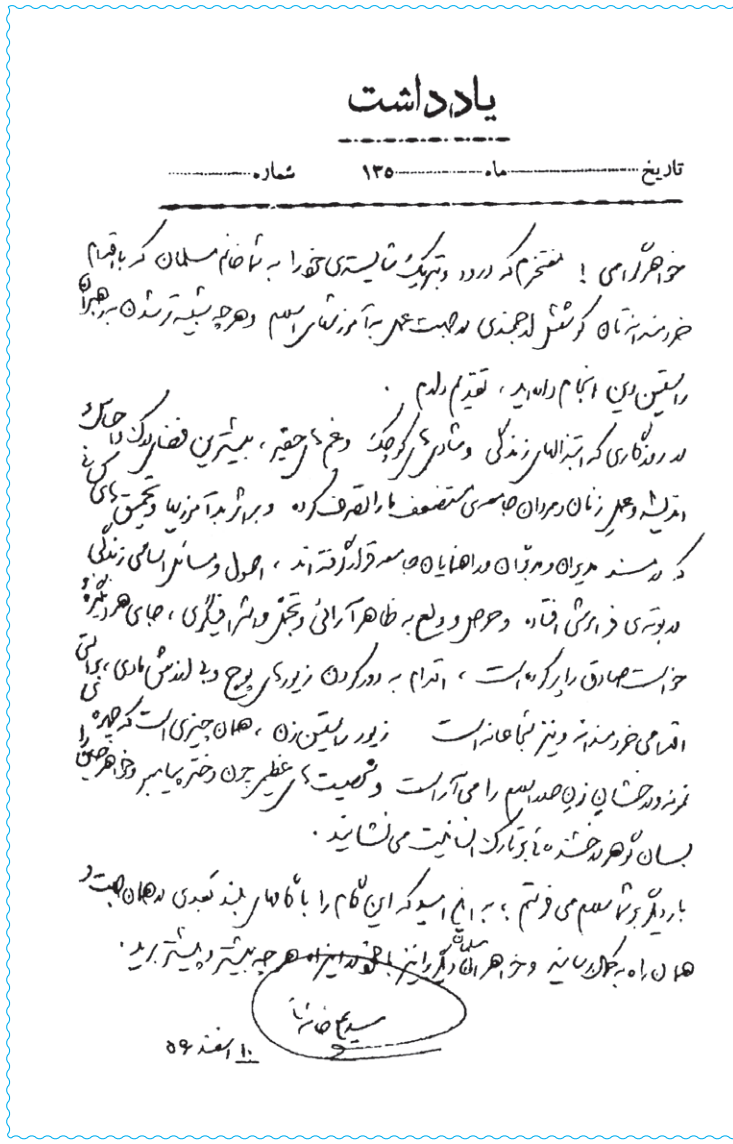

یادداشت

تاریخ ..... ماه ..... ۱۳۵۵ شماره .....

خواهر گرامی! مفتخرم که درود و تبریک شایسته‌ی خود را به شما خانم مسلمان که با قیام خردمندانه‌تان کوشش لایقی در جهت عمل به آموزش اسلام و هرچه شیفته‌تر شدن به قرآن راستین دین انجام داده‌اید، تقدیم دارم.

در روزگاری که اشتغالهای زندگی و مشاغل کوچک و خرد و حقیر، بیشترین فشار را بر حال و آینده‌ی زنان و مردان جامعه‌ی مستضعف ما تحمیل کرده و در برابر آموزه‌ها و تحریف‌های کثیفی که در مسند مدیریت و مربیان و رهنمایان جامعه قرار گرفته‌اند، اصول و مسائل اساسی زندگی در بوته‌ی فراموشی افتاده و حرص و ولع به ظاهرآرائی و تجمل و اشرافیگری، جای هر ارزش خواست صادق را گرفته است، اقدام به دور کردن زیورهای پرزرق و برق و لذتهای مادی، یک اقدام خردمندانه و نیز شجاعانه است. زیور راستین زن، همان چیزی است که چهره‌ی نمونه و درخشان زن صدر اسلام را می‌آراست و نصیحت‌های گرانقدر چون دختر پیامبر و خواهر حسین بسان گوهرهای درخشنده‌ای بر تارک این ملت می‌نشاند.

بار دیگر به شما سلام می‌فرستم؛ به امید اینکه این گام را با گامهای بلندتر و محکمتر در راه به کمال رسانید و خواهران دیگر را نیز [illegible] هرچه بیشتر و بیشتر برید.

مسیح خامنه‌ای

۱۰ اسفند ۵۶

مارس / آذار ۱۹۷۸، رسالة شكر السيد الخامنئي للسيدة يحيائي على إهدائها حُليّها في طريق النضال

لم تبق إلا أيام قلائل حتى وصول الربيع، وإذا بآية الله الشيخ محمد صدوقي[١] من يزد وعدد من الأشخاص يدخلون إيرانشهر.

«في أواخر عام ١٣٥٦ (الفارسي). ذهبتُ غروب أحد الأيام إلى دار أخينا الشيخ محمدجواد حجتي كرماني لأداء الصلاة. فوجدتُ الشيخ صدوقي مع عدد من علماء يزد المكرّمين ومنهم الشيخ راشد يزدي قد وقفوا للصلاة، فالتحقتُ بهم في أداء الصلاة. وبعد الفراغ منها استفسرتُ عن الأمر، فتبيّن أنّ سماحته رغم كِبَر سنّه ورغم حالة الكبت والخناق التي كانت سائدة آنذاك، انطلق من يزد لزيارة المنفيين كافة، وجاء إلى إيرانشهر أيضًا. وأنتم تعلمون بأنّ طريق إيرانشهر طريق صعب، والحياة في إيرانشهر لمثل سماحته، حتى ولو لليلة أو ليلتين، عسيرة. ولكنه جاء إلى هنا ومكث فيها ليلة أو ليلتين، ثم اتّجه إلى جابهار، لزيارة بعض الأشخاص الذين كانوا قد نُفوا إليها. وعاد ثانية إلى إيرانشهر، وبقي فيها أيضًا يومًا أو يومين.» ١٩٨٢/٧/٣

«إن مجيء سماحته كان يمثّل بالنسبة لنا في ذلك اليوم دعمًا روحيًا كبيرًا جدًا.» ١٩٨٢/٧/٢

الشيخ كاظم راشد يزدي[٢] الذي كان مرافقًا لآية الله صدوقي في هذا السفر، ورغم انشداده إلى السيد الخامنئي وتمنّيه بأن يُنفى يومًا إلى إيرانشهر، إلا أنه انبهر بما وجده من وَلَهٍ وشَغَفٍ لدى الشيخ صدوقي تجاه السيد!

راشد يزدي: «أخبروا الشيخ صدوقي بأن السيد علي الخامنئي أيضًا قد تم نفيه. كان الشيخ على معرفة جيدة بآية الله السيد جواد الخامنئي والد السيد

---

١. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٧.

٢. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٩٠.

الخامنئي، وكان يكنّ له الودّ والحب. وقد زاره في مشهد مرة أو مرتين. ولكن لم يكن يعرف السيد علي الخامنئي كما ينبغي.

سأل الشيخ صدوقي: أين هو السيد الخامنئي؟ لنذهب إلى زيارته.

انطلقنا إلى بم ومنها إلى إيرانشهر، ووصلنا عند الغروب. فنزلنا في دار الشيخ حجتي كرماني وأقمنا صلاتي المغرب والعشاء بإمامة آية الله صدوقي. ثم جلس السيد الخامنئي وأخذ يتباحث مع الشيخ صدوقي. فقلنا بما أنّ السادة قد شرعا بالبحث، لنذهب إلى السوق، إذ يُقال إن البضائع هنا تُستَورد من الخارج وهي رخيصة. انطلقنا فوجدنا أنّ (في هذه المدينة) سوق عامرة، وأناس في غاية الطيب أيضًا. والحاصل عندما رأينا أن عملنا في السوق قد يطول، بعثنا برسالة إلى الدار أنه لو أراد الشيخ صدوقي أن يتناول طعام العشاء فليتناول مع السيد الخامنئي وليضعوا (مقدارًا منه) لنا!

عُدنا إلى الدار في الساعة الحادية عشرة والنصف. فوجدنا بأن الشيخ صدوقي والسيد الخامنئي الذَين شرعا بالحديث بعد صلاة المغرب، مازالا يتحادثان.

أتذكر أننا عندما وقفنا على باب الغرفة، قام الشيخ صدوقي ليذهب إلى بيت الخلاء، وحينما وصل إليّ قال: ما شاء الله، ما شاء الله، ما شاء الله! السيد علي هذا طويل الباع، ما كنتُ أعرف، ما كنتُ أعرف!

ولقد دار البحث بينهما حول مختلف الموضوعات، من القضايا المتعلقة بالثورة إلى المسائل العلمية. والشيخ صدوقي عندما عرف أن السيد الخامنئي عالم كبير، وَلِه به وانشدّ إليه!

في صبيحة اليوم التالي، اتّجهنا صوب جابهار لزيارة الشيخ ناصر مكارم

الذي كان قد نُفي إليها. ركبنا السيارة وكان الطريق يبعد ستين فرسخًا، أي ما يقرب من ثلاثمئة كيلومتر. وفي الطريق ما انفكّ الشيخ صدوقي يُثني على السيد الخامنئي ويُشيد به! فقد ملأ السيد عينيه، وهذا بالنسبة لي كان أمرًا مذهلًا! لأني كنت أعرف أن الشيخ صدوقي لم يكن ممّن يصبّ بالغ اهتمامه بشخص.

بعد جابهار، قال الشيخ صدوقي: «لابد لنا أن ننطلق من هنا باتجاه إيرانشهر. أريد أن أذهب لزيارة السيد علي!» فانظروا كيف أخذ السيد الخامنئي بمجامع قلب الشيخ صدوقي! وصلنا إلى إيرانشهر. وفي تلك الليلة، استغرق البحث بينهما أربع ساعات كاملة. وبعد هذا اللقاء، تبدّل الشيخ صدوقي إلى شخص آخر. فقد كان آنذاك مجتهدًا وثوريًا كذلك، ولكنه وببركة أنفاس السيد الخامنئي تحوّل فجأة. فأصبح لا إمام يزد وحسب، بل إمام المنطقة وترك أثره في أصفهان وكرمان وبندرعباس ومناطق أخرى.

خلال لقائنا بالسيد حدثت حادثة ملفتة دلّتنا على إعراض سماحته عن حطام الدنيا. إذ كان الذين يفدون لزيارة المنفيين في ذلك الوقت غالبًا ما يجلبون معهم مبلغًا من المال كهدية للشخص المنفي. وبدوره كان الشيخ صدوقي قد جلب معه أموالًا طائلة، والحق يقال إنه كان مالًا باهظًا. بيد أن السيد لم يتقبّل تلك الهدية، فألحّ عليه إلحاحًا شديدًا ولكن دون جدوى. وبعد ذلك حينما نُفيت أنا أيضًا إلى إيرانشهر ونزلتُ في دار السيد، وجدته يرفض الأموال التي يقدّمها له كل من يصل بخدمته كهدية شخصية. والله يشهد على أنه لم يأخذ منها حتى فلسًا واحدًا. ذات مرة قلتُ له ممازحًا: «سيدنا! عدم استلامك يؤدي إلى ألّا أستلم أنا أيضًا. وبذلك فإننا نتجرّع

المرارة من أجلكم!» ولكن بعد مضي فترة قصيرة، أُعجبتُ شيئًا فشيئًا بهذا الأمر. فكنتُ أمتنع (عن تقاضي الأموال) وألتذّ جرّاء ذلك.»[١]

قَدِمت مجموعة أخرى من مدينة يزد أيضًا، فآل قدومها إلى دهشة السيد الخامنئي وخجله وبهجته وتعزيز معنوياته؛ مجموعة يتزعّمها آية الله السيد روح الله خاتمي[٢] البالغ من العمر سبعين عامًا.

«يودّ الإنسان المنفيّ كثيرًا في أن يأتي لزيارته بعض الأشخاص، لأنه وحيد ولا يوجد لديه أحد في منفاه. ولقد جاء البعض، ولربما في الأشهر الأولى قَدِم السيد خاتمي، فذُهلت كثيرًا وشعرت بخجل بليغ.. شيخ كبير يجتاز كل هذا الطريق من أردكان! وتعلمون أن الطريق هذا لم يكن طريقًا جوّيًا. وأساسًا لم يكن في إيرانشهر يومذاك مطار، بل لم تكن إمكانيته متاحة. فلا يوجد فيها مطار ولا طائرة حتى يأتي بها. وإنما انطلق من يزد وأردكان بالسيارة مع عدد من أصدقائه وجاء لزيارتي. فمكثوا عدة ساعات ثم عادوا. ولا أعلم أساسًا هل باتوا في الليل هناك أم لا؟ لا أتذكر ذلك، أحتمل أنهم باتوا في الليل ثم عادوا. إن قدوم سماحته قد أنعشنا وعزّز من معنوياتنا وأبهجنا لدرجة لا نعتبر بعدُ تلك الزاوية الواقعة في نهاية البلد وهي بلوشستان، مكانًا (غريبًا) لا نعرف فيه أحدًا، فإن القلوب الزاكية لأحباء عظامٍ من أمثال سماحته كانت تذكرنا.» ١٩٨٨/١١/٢٧

ومن الأحداث الأخرى التي حدثت في أواخر سنة ١٣٥٦ (الفارسية)، زيارة أتباع آية

١. الأقوال المنقولة عن حجة الإسلام راشد يزدي في الكتاب، تعود إلى مقابلته مع مركز وثائق الثورة الإسلامية.
٢. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٨.

الله السيد شريعتمداري للمنفيين. آية الله شريعتمداري هو أحد العلماء المعروفين في قم الذي انحرف عن خطّ الإمام الخميني في مسيرة النهضة الإسلامية. وأتباعه الذين دخلوا إلى إيرانشهر بغية استقطاب المنفيين، سمعوا من السيد الخامنئي في قِبال طلبهم، ردًا قاطعًا حاسمًا بحيث ولّوا أدبارهم ولم يعودوا إليه بعد.

«المهمة التي كان السيد شريعتمداري آنذاك يسعى وراء إنجازها بكل جدّ، هي تأسيس حزب. نحن كنّا في إيرانشهر، إذ جاء عدد من أتباعه من رجال الدين ـ وأتذكّر أسماء بعضهم ـ وقالوا بأن السيد شريعتمداري يريد تأسيس حزب، طالبين منا ـ أنا والشيخ حجتي كرماني حيث كنّا منفيّين في إيرانشهر ـ أن نتعاون معهم.

كان ذلك في أواخر سنة ١٣٥٦ (الفارسية). فتحدّثتُ إليهم هناك قائلًا: (تأسيس) حزبٍ باسم رجال الدين جيّد، ولكن لابد أن يقوم الحزب على أساس مقارعة هذا الجهاز، وأن يقع بيد أناسٍ هم من أهل الجهاد. إنه لو أراد حقًا إنجاز مهمة جادة فهذا هو السبيل. وأما أن يجمع أربعة من رجال الدين المحيطين به والواضحة مقاصدهم للنهوض بعمل يقوم على أساس إضفاء الديمقراطية للأحداث واتّخاذها طابعًا تنويريًا، فإن هذا لا يعدّ بالعمل الجاد ولا ينبثق ولا يُجدي نفعًا. ثم ذهب هؤلاء كي يعودوا لإخبارنا بالأمر! ولكنهم لم يعودوا بالخبر أبدًا. وهذا هو الذي ظهر فيما بعد على نحو (حزب) الخلق المسلم[١].» ١٩٨٢

١. تبلور هذا الحزب بمحورية آية الله شريعتمداري، وكانت غايته تأجيج فتنة في محافظة أذربيجان عبر استغلال الفوارق القومية. ولكن تبدّدت هذه الفتنة بفطنة أهالي المنطقة الثوريين وبصيرتهم.

٣: الربيع ١٩٧٨

حلّ الربيع لعام ١٩٧٨؛ الربيع الذي أعلنه الإمام الخميني من المنفى حدادًا عامًا. وكان سبب مقاطعة عيد الربيع من قِبَل الإمام يعود إلى ما ارتكبه النظام من مجزرة مروّعة في مدينتي قم وتبريز.[١]

في طليعة حلول الربيع، قصد أزلام النظام البهلوي دار المنفيين في إيرانشهر لإبلاغهم بحكم جديد. وكان الحكم بشأن الشيخ محمدجواد حجتي كرماني: تغيير مكان النفي من إيرانشهر إلى سنندج.

حجتي كرماني: «أبلغوني بأنني نُقِلتُ إلى سنندج. ولعل هذا الانتقال يعود سببه إلى المسافة القريبة بين مدينتي كرمان وإيرانشهر، ما أدى إلى أن يتردّد عليّ أصدقائي وأقربائي.

في صباح اليوم السادس والعشرين من مارس / آذار ١٩٧٨، تهيّأتُ للرحيل إلى منفاي الجديد. وقد ساعدنا السيد الخامنئي في لمّ الأثاث. وتركتُ بعض الأغراض التي لا أريدها أو لا يمكنني أخذها للمنفيين الجُدُد. وأرسلتُ زوجتي

---

١. مجزرة أهالي قم في ١٩٧٨/١/٩ ومجزرة أهالي تبريز بعد أربعين يومًا في ١٩٧٨/٢/١٨.

بمعية أقربائها إلى كرمان. وكنتُ حزينًا مكتئبًا لفراق السيد الخامنئي، وبعد وداعٍ مقرون بالدموع، ركبتُ السيارة مع ضابطين واتّجهنا صوب زاهدان. وكان كلٌّ منا أنا والسيد الخامنئي قد اعتلاه الحزن والغم، حيث كان مصيرنا مجهولًا. وفي لحظة الفراق كان كلّ واحد منا حزينٌ على الآخر، وقَلِقٌ على مصير الآخر.»

في آخر الشهر الثالث من عام ١٩٧٨، شاءت يد التقدير أن تأتي بالشيخ كاظم راشد يزدي ثانية إلى إيرانشهر، ولكن في هذه المرة قهرًا وقسرًا! فقد اقتضت الحكمة الإلهية ألّا يبقى السيد الخامنئي وحيدًا دون جليس إلا بضعة أيام، حيث ذهب الشيخ حجتي كرماني وجاء الشيخ راشد يزدي.

كان الشيخ راشد، وللمرة الأولى، قد جاء لزيارة السيد الخامنئي بمعية آية الله الشيخ صدوقي في بدايات الشهر الثالث من عام ١٩٧٨. وقد انشدّ في هذا السفر إلى السيد بحيث قال له: أتمنى أن أُنفى أنا أيضًا إلى إيرانشهر، في سبيل أن أكون صاحبًا وجليسًا لكم!

ولم يمضِ شهرٌواحدٌ حتى حقق النظام الطاغوتي أمنية الشيخ، وفي الحادي والثلاثين من مارس / آذار ١٩٧٨ نفاه إلى إيرانشهر. والسبب من وراء اعتقاله ونفيه يعود إلى الخطاب الناري الذي ألقاه في ١٩٧٨/٣/٣٠. ففي ذلك اليوم، حيث كان أهالي يزد قد تجمهروا في مسجد حظيرة إحياءًا لأربعينية ذكرى شهداء تبريز، ألقى الشيخ راشد يزدي ـ وكان ممنوعًا من ارتقاء المنبر آنذاك ـ خطابًا قال فيه:

«يا تُرى ماذا كان يريد أهالي تبريز حتى أجابوهم بالرصاصات الحارة؟! وأيّ مالٍ طالبوا به حتى حصدوهم بالرشّاش؟ ماذا كانوا يريدون؟ كانوا يطالبون

بالحرية! كانوا يطالبون بتطبيق القوانين الواردة في دستوركم! نحن هنا وفي هذا المكان المقدس نطالب بما طالب به أهل تبريز، ونريد ما يريده مرجعنا الواعي والبصير، سماحة آية الله العظمى الخميني.»[١]

بعد انتهاء المراسم، شارك أهالي يزد في مظاهرة حاشدة آلت إلى مواجهة النظام وتضرّج الناس بالدماء. هذا وقد تم اعتقال حجة الإسلام راشد يزدي لساعته، وحُكم عليه بالنفي والإقامة الجبرية في إيرانشهر لمدة ثلاثة أعوام، وأُرسل فورًا إلى إيرانشهر بأول سيارة حكومية عثروا عليها، وكانت سيارة إسعاف.

وقد أضحى نفي الشيخ راشد إلى إيرانشهر طليعة لتعرّف السيد الخامنئي على أهالي يزد عن كثب:

«بعد فترة قصيرة تم نفي الشيخ راشد إلى إيرانشهر. أي بعد عشرين يومًا ـ على ما أظن ـ من ذلك السفر الذي جاء فيه لزيارتنا، وعلى أثر أحداث يزد والمجزرة التي ارتُكبت في مارس / آذار، حيث كان الخطيب في ذلك الاجتماع المهم بيزد والذي آل إلى تلك الأحداث الكبرى هو الشيخ راشد يزدي؛ الشيخ الحاج محمدكاظم راشد يزدي، قاموا باعتقاله ونفيه إلى إيرانشهر. فتسبب نفيه إلى هذه المدينة في أن يتردّد عليها أهالي يزد كثيرًا.» ١٩٨٢/٧/٤

«كانت إيرانشهر طليعة لتعرّفنا على أهالي يزد عن كثب. حيث كان الشيخ راشد، بلا تشبيه، كملكة النحل أينما يضعوها يجتمع النحل حولها من كل حدب وصوب، إذ كان قد نُفي معنا إلى إيرانشهر. والشباب اليزديّون بدورهم كانوا، وبكل شوق، يتردّدون دومًا على إيرانشهر، ما أدى إلى أن نتعرّف

---

١. نقلًا عن كتاب «درباره قيام حماسه‌آفرينان قم و تبريز و ديگر شهداى ايران» (نهضة المسطّرين للملاحم في قم وتبريز وسائر شهداء إيران) منشورات نهضة الحرية في إيران.

عليهم. وإنّ لي مع هؤلاء الشباب اليزديين ذكريات طيبة جدًا.» ١٩٨٧/١١/٢٩

لقاء السيد الخامنئي بالشباب الذين كانوا يفدون إلى زيارته من مختلف المدن، كان له من التأثير ما أدى إلى التحوّل والتغيير.

راشد يزدي: «في كل زيارة لهؤلاء اليزديين بغية اللقاء بالسيد، كان سماحته يُقيم لهم درسًا، وبعد الاستماع إلى أحاديثه، كانوا يتشبّعون بصورة مذهلة ويعودون. والبرنامج هذا لا يختص باليزديين، بل كان يقام لغيرهم من الوافدين من مختلف المدن أيضًا. وإن أغلب الذين دخلوا بعد ذلك في عداد الثوريين، كانوا قد انتفعوا كثيرًا من نصائح السيد وإرشاداته.»

في الثامن من أبريل / نيسان، وصلت رسالة من يزد باسم آية الله الشيخ صدوقي وعنوانه. حيث كان قد طلب في رسالته من السيد الخامنئي أن يكاتبه فيما يخص قضايا الثورة. فاغتنم السيد هذه الفرصة وقدّم للشيخ في رسالةٍ تحليلًا بشأن قضايا البلد والثورة. بيد أنّ الرسالة هذه لم تصل إلى آية الله صدوقي وحسب، بل وصلت أيضًا إلى الكثير من طلبة العلوم الدينية والعلماء الذين كانت تربطهم صلة بالشيخ صدوقي في جميع أقطار البلد. هذا مضافًا إلى أنّ معظم طلاب الجامعات الذين جاؤوا إلى إيرانشهر، أخذوا نسخة من هذه الرسالة إلى مدنهم ووزّعوها على نطاق واسع. حتى آل المطاف إلى أن يقوم عدد من مراكز السافاك بمكاتبة السافاك المركزي والاقتراح عليه باعتقال السيد الخامنئي والذين ساهموا في تكثير الرسالة وتوزيعها سريعًا وإحالتهم إلى المحكمة العسكرية.

جاء في مستهلّ رسالة السيد الخامنئي الأدبية والبسيطة في الوقت ذاته إلى آية الله الشيخ صدوقي:

«باسمه تعالى

سماحة المستطاب آية الله الحاج الشيخ محمد صدوقي دامت بركاته

بمنتهى الأسى بلغنا أن الشدة والعنف الذي مارسه الشرطة والرجال المجهولون ـ الذين يعتبرون أنفسهم خدّامًا للناس ـ في يزد، آل إلى قتل وجرح المسلمين، وأنّ الجراح العميق المشحون بالدم الذي حلّ بجسد الشعب إثر فاجعتي قم وتبريز، ازداد عمقًا ودموية بتسديد ضربة أخرى في يزد وجهرم وبضعة مدن أخرى. وحقيقٌ بنا أن نتقدّم بالتعازي لسماحتكم ولكافة العلماء الملتزمين الذين يدخلون في زمرة معلّمي الأخلاق والإنسانية، على هذه الهمجية المأساوية.

لا يخفى على سماحتكم أن الأحداث المذكورة التي وقعت بفواصل أربعين يومًا وبصورة متواصلة ومتتابعة وأخذت شيئًا فشيئًا تنتشر في جميع أرجاء البلد وتتخذ أبعادًا أوسع، تكشف عن موضوعين أساسيين وتميط اللثام عن قرارين حاسمين:

الموضوع الأول سخط الحكومة الإيرانية من وعي أبناء الشعب وعزمه على قمع الناس وسيما العناصر التي تساعدهم على هذا الوعي وإدراك الموقف. والموضوع الثاني سخط الشعب من هذا الجهاز المتجبر والجائر وعزمه على فيصلة أمره وقطع الحبل الذي بات في كل لحظة يشتدّ على رقبته ويضغط عنقه أكثر. والحق في هذه المواجهة ـ كما هو حال كل المواجهات التي تندلع بين الحكّام وبين الشعوب ـ مع الشعب، والقوة الحاكمة في موقف البطلان والغطرسة....»

بعد أن تسلّم الشيخ صدوقي هذه الرسالة الغنية والثرية التي أدخلت في قلبه البهجة والسرور، أرسل إلى إيرانشهر رسالة ثانية أدت إلى أن يزداد السيد علي عزيمة وحيوية. في هذه الرسالة الثانية، وبعد أن عبّر آية الله صدوقي عن شكره الوافر على إجابة السيد الخامنئي لرسالته الأولى، طلب منه كتابة المزيد من التفصيل. فلبّى السيد سُؤله وكتب له في الرسالة الثانية جوابًا أكثر تفصيلًا تحت عنوان «مسؤولية العلماء تجاه الثورة الإسلامية ومواجهة مخططات الأعداء»، فانتشرت هذه المرة دون ذكر اسم الكاتب:

«إن للناس ثقتهم برجال الدين. ولذا فإن حضور رجال الدين في كل حركة يعني حضور الشعب قاطبة، وعدم حضور رجال الدين يعني عدم حضور الشعب قاطبة. ولو أن زعماء تلك النهضة وتلك الحركة كانوا يتسمون بسياسة وحنكة فائقة، لكان بمقدورهم جرّ فئة من الناس معهم على أعلى التقادير، لا أبناء الشعب برمتهم. وفي تلك المواطن التي يتواجد فيها رجال الدين وأبناء الشعب قاطبة، ستؤول حركتهم ونهضتهم بطبيعة الحال إلى النصر، إذ ما من حركة يتواجد فيها الناس بصورة جماعية إلا وكان النصر حليفها عاجلًا أم آجلًا، ولا استثناء في ذلك.»

وبهذا فُتحت بابٌ جديدة من العلاقة بين الشيخ صدوقي وبين الخامنئي الشاب. وماعدا المكاتبات بالطبع، كانت تتبادل بينهم رسائل شفهية أيضًا.

«بعد أن ترك سماحته إيرانشهر، كتب لي رسالة بيّن فيها بعض ما جرى من أحداث في يزد. فكتبتُ له في الجواب رسالة مُسهَبة مفصّلة تنطوي على تحليل واسع من أوضاع إيران وأوضاع الثورة وأوضاع الجماعات المناضلة وأوضاع رجال الدين، وقد طُبعت تلك الرسالة في ذلك الوقت ووُزّعت

بكمية عشرات الآلاف من النسخ. كما وبيّنتُ فيها دور العلماء وتحسّس الأجهزة الاستكبارية منهم. واستشهاده خير شاهد على صحة الموضوعات التي ذُكرت في تلك الرسالة.» ١٩٨٢/٧/٢

«كان اليزديّون يتردّدون على إيرانشهر كثيرًا، وكانوا دومًا ما يأتون من قِبَل الشيخ صدوقي بنداء ومكتوب ورسالة شفهية، وكنتُ أجيب عليها.» ١٩٨٢/٧/٤

لم تكن التيارات اليسارية وأتباعها راغبة في وصول رسائل السيد الخامنئي إلى الناس، فقد كشف فيها عن حقائق كانوا يقارعونها. كانت التيارات تولي اهتمامًا بليغًا بعدم وصول رسائل السيد الخامنئي إلى الناس، وتخطّط للحدّ من توزيعها! فقد كان أعضاء التيارات يقصدون مدينة إيرانشهر بصفتهم أتباع النهضة الإسلامية ويعرّفون أنفسهم على أنهم من محبي الإمام الخميني، ثم يأخذون الرسائل التي كتبها السيد الخامنئي، ويتعهّدون بتكثيرها وتوزيعها في مدنهم.

«لقد تم حظر هذه الرسالة يومذاك ومقاطعتها بواسطة التيارات التي كان لها، في جميع أرجاء البلد، نفوذها المسيء في صفوف المجاهدين والثوريين. وحالوا دون (انتشارها). وأينما وجدوها أخذوها وتكتّموا عليها. وأنا بنفسي سلّمتُ تلك الرسالة شابًا كي يقوم بتوزيعها في مكان ما، فعرفتُ بعد مدة أنه مزّق تلك الورقة أساسًا ونبذها، وتبيّن أنه من أتباع التيارات. حيث كان للتيارات تحسّسها المستمر تجاه هذه القضية.» ١٩٨٧/١٢/٢

وبالجملة فإن الأيديولوجية بالنسبة لهذه التيارات تتسم بأهمية فائقة. حيث كانوا من جانب يولون اهتمامهم بالحيلولة دون انتشار الأيديولوجية الإسلامية الصحيحة، ومن جانب آخر يحاولون ترويج أيديولوجيتهم.

«كانت هنالك في هذه الجامعة (جامعة زاهدان) قبل الثورة دوافع مختلفة مناوئة للإسلام ومعادية للثورة في الأعم الأغلب. حيث كان يأتي بعض الأيديولوجيين والمنظّرين للأفكار اليسارية من طهران إلى هذه الجامعة للتدريس! ففي أيام النفي، كان بعض الشباب المتدينين الولائيين القلائل والمعدودين جدًا جدًا، يجمعون كراسات هؤلاء ويأتون بها إلى إيرانشهر لأرى ماذا يدرّسون. حيث كانوا يأتون من طهران إلى هنا لتدريس هذه المسائل!» ١٩٨٦/٤/٣٠

إن أغلب الرسائل التي كان السيد الخامنئي يكتبها لبعض العلماء من المنفى، نجد فيها التركيز على موضوع الحكومة الإسلامية وتدخّل العلماء في الشؤون السياسية وإدارة البلد.

«عقدنا في مشهد جلسة مع المرحوم العلامة الطباطبائي (رضوان الله تعالى عليه) في حدود سنة ١٩٦٧ أو ١٩٦٨، استمرت لمدة يومين تقريبًا. وكان موضوعها النضال وحركة الإمام (الخميني) الجليل الذي كان آنذاك في النجف. وقد دارت بيننا وبين المرحوم العلامة خلال هذين اليومين مسائل متنوعة. وفي مرحلة من البحث، أشار سماحته إلى نقطة دوّنتها بنفسي، وأودعتها حتى في الرسائل التي أرسلتها إلى بعض الأماكن يوم كنت في المنفى سنة ١٩٧٧ و١٩٧٨، دون ذكر اسم العلامة المبارك. وهذه النقطة التي ذكرها بعد ساعات طويلة من البحث هي: لا شكّ في أن هنالك تقصير كبير، وهو التخلّي عن شؤون السياسة وإدارة البلاد وقضية النظام الاجتماعي والحكومة وغيرها.» ١٩٩٧/٣/٨

مسجد آل الرسول في إيرانشهر، رغم أنه مسجد كبير جميل فريد في نوعه، ولكنه

متروك تقريبًا ولم يحظ بإقبال الأهالي كما ينبغي. شُيِّد هذا المسجد في أواخر حياة آية الله البروجردي، بدعمٍ من سماحته وتحت إشراف الشيخ أحمد محصل يزدي بصفته ممثلًا عن السيد البروجردي، وهو الذي كان يسكن مدينة يزد، أصبح متوليًا على هذا المسجد.

كان المسجد معطّلًا ليس فيه إمام جماعة، ولا يوجد فيه نشاط إلا في العشرة الأولى من شهر محرم، حيث كان الشيخ محصل يزدي يأتي إلى إيرانشهر ويُلقي فيه المحاضرات. وبما أن تعطيل مسجد آل الرسول لم يكن بالأمر المحبّذ لدى السيد الخامنئي، قرّر على إحيائه وإنعاشه مهما كلّف الأمر.

إقامة صلاة الجماعة كانت تمثل الخطوة الأولى في هذا الطريق، ثم أضيف إليها محاضرات قصيرة لمدة عشر دقائق. وبعد فترة قليلة، تجاوز عدد المصلّين عن العشرين والثلاثين والخمسين والمئة ووصل إلى ما يربو على مئتي مصلّي. حتى آل الأمر إلى أن يحضر أبناء السنة أيضًا في محاضراته. فإن اهتمام السيد بإقامة صلاة الجماعة من جانب، ودويّ صوته الجميل والنافذ الذي كان يخرج من مكبّرات صوت المسجد أثناء قراءة السور وأذكار الصلاة باللهجة العربية من جانب آخر، أدى بأبناء السنة بعد إقامة الصلاة في مساجدهم، إلى أن ينطلقوا نحو مسجد آل الرسول في سبيل الاستماع إلى كلمة السيد الخامنئي.

«ذهبوا بي إلى إيرانشهر في (محافظة) بلوشستان، وبقيتُ فيها عدة أشهر. فتعرّفتُ هناك على الناس، وأنِستُ بهم. وكنتُ أذهب إلى المسجد لإقامة الصلاة وإلقاء المحاضرات على الناس. علمًا بأن إخواننا من أهل الشيعة كانوا يشاركون في الصلاة، وأما في المحاضرات فكان إخواننا من أبناء السنة أيضًا ولاسيما شبّانهم يحضرون ويعبّرون عن حُبّهم.» ١٩٨١/١١/١١

لقد كان لمحاضرات السيد الخامنئي في مسجد آل الرسول من الصراحة والحسم ما أثارت السافاك في المنطقة لئلا يقفوا مكتوفي الأيدي، وأن يُبدوا ردة فعلٍ تجاهها. كالمحاضرة التي ألقاها في الرابع عشر من أبريل / نيسان:

«أيها الناس! لا تخلدوا إلى النوم! البعض من إخوانكم في الدين يموت جوعًا، والبعض الآخر مُتخَمٌ من البِطنة! لماذا تسير الأوضاع على هذا المنوال؟ لماذا؟ ألسنا مسلمين؟ لِمَ لا تتكلمون؟ مهما توغّل المرء في الشدة والعُسر، عليه أن يدافع عن أخيه في الإنسانية وألّا يندم على عمله أبدًا.»

أول إجراء اتّخذه السافاك، إرساله تقريرًا إلى المركز لمعرفة ما يجب أداؤه.

ففي أواسط الشهر الرابع، أعدّ السافاك في محافظة سيستان وبلوشستان تقريرًا، عن إحدى صلوات الجماعة التي يقيمها السيد الخامنئي في مسجد آل الرسول، لمديرية الاستخبارات الثالثة في طهران. جاء فيه:

«رجل الدين المنفي علي الحسيني الخامنئي، يقيم الصلاة في مسجد آل الرسول، ويأتمّ خلفه نحو ١٥٠ إلى ٢٠٠ شخص، وبعد الفراغ من الصلاة يقدّم النصائح للمشاركين في المسائل الدينية. في السابع عشر من أبريل / نيسان، قام المشار إليه بتوزيع عدد من الكتب المؤلَّفة حول الصلاة بين المشاركين.»

وجاء في تتمة التقرير أيضًا: «عدد الحاضرين في مسجد آل الرسول يزداد يومًا بعد يوم، والبعض يزوره في داره كذلك.»

بعد عدة أيام، وصل أمرٌ من طهران ومن قِبَل برويز ثابتي، ردًّا على التقرير المبعوث:

«نظرًا إلى التقرير المبعوث أعلاه، يرجى الأمر بمراقبة أعمال المشار إليه وتصرفاته بما هو المقتضى، ومعرفة الأشخاص الذين يذهبون للقائه ومراقبتهم بما ينبغي، وإعلام المديرية العامة بالنتيجة.»

وفي هذا المضمار، أرسل شيخان في التاسع عشر من أبريل / نيسان رسالة إلى منظمة الأمن والاستخبارات في زاهدان. شيخان الذي كان رئيسًا للسافاك في خراسان وعلى معرفة جيدة بالسيد الخامنئي، كتب في رسالته:

«ليس من المصلحة تعزيز مكانة السيد علي الخامنئي في المنفى! والأصلح بالنظر إلى الأوامر الصادرة فرض بعض القيود عليه.»

رغم التوصيات والأوامر الصادرة إلى القيادات العسكرية والأمنية في إيرانشهر، كانت نشاطات السيد الخامنئي تتوسّع يومًا بعد آخر. فبعد إقامة صلاة الجماعة وإلقاء المحاضرات اليومية، وصل الدور إلى إقامة صلاة الجمعة أيضًا.

«بقيتُ قبل (انتصار) الثورة في إيرانشهر ما بين أواخر عام ١٩٧٧ وقسطًا من عام ١٩٧٨. وكان يبلغ أبناء السنة من أهاليها خمسين إلى ستين بالمئة. وكانت لهم صلوات جمع متعددة؛ ذلك إنهم لا يذهبون إلى إقامة صلاة جمعة واحدة. فإن كانت في مدينةٍ عشرة مساجد، أقيمت عشرة صلوات جمع. (وفي إيرانشهر) كانوا يقيمون صلاة الجمعة هنا وهناك. ورأينا أنّ مسجد الشيعة خاليًا من صلاة الجمعة وثمّة ضرورة لإقامتها، فبادرنا إلى ذلك.

ذهبتُ إلى المسجد في أول صلاة جمعة، ورأيتُ في ذلك اليوم حشودًا لم يشهد المسجد نظيرًا لها منذ عشرين عامًا من تشييده. حيث كان للمسجد رواق كبير، وقد اكتظّ نصفه أو أكثر من نصفه بجمهور المصلين. والمسجد هذا، وفي هذه الزاوية الغريبة النائية من العالم، لم يشهد قطّ مثل هذه الجماهير.

شرعتُ بأداء الخطبة، فأجهش الذين كانوا يستمعون إليها بالبكاء. حيث كان الأمر بالنسبة لهم عظيمًا ومُهيّجًا، إذ يرون أن لسائر المسلمين صلاة

جمعة، دون أن يكون لهم ذلك. ولذا انهمرت دموعهم بكاءًا على هذه النعمة التي أُنعمت عليهم.» ١٩٨٣/٨/١٦

كلمات السيد الخامنئي في خطب الجمعة بالنسبة إلى الناس كانت لها جاذبيّتها الكبيرة، وكانت تزيدهم معرفة وبصيرة. ولكل خطبة بالطبع مختصاتها وحلاوتها الخاصة. ففي الخطبة الأولى على سبيل المثال كان يتناول قضية التقوى، ويغيّر بذلك فيها نظرة الناس التي غالبًا ما كانت مصحوبة بالتقوى الفردية وهي بمعنى الخوف من الله:

«سألوا أحد الأعلام ـ ولعله حديثٌ ـ ما هي التقوى؟ فأجاب: إذا مررتَ بأرض شائكة يمكنك أن تفهم وتدرك معنى التقوى. فمن يمشي في أرض شائكة عليه أن يراقب ثوبه وقدمه في كل خطوة يخطوها. ولو قطع خطوة غير مدروسة، ستجرح الأشواك قدمه أو تمزّق ثوبه. والحياة هي الأرض الشائكة ذاتها. فأشواك الأهواء النفسانية، وأشواك الميول البشرية والحيوانية، وأشواك الرغبات القلبية، تجرح الإنسان وتشلّ قدمه. وإن أغلب أولئك الذين انحرفوا عن سبيل الله وحُرموا من إدراك فضيلة الجهاد في سبيل الله والسعي والجدّ في سبيل الله، هم الذين لم يتمكّنوا من التغلّب على رغباتهم النفسانية.

كيف يتأتى للمرء أن يتغلّب على نزواته النفسانية؟

حين يتحلّى بالتقوى، وتكون فيه حالة الحيطة والحذر والتوقي المستمرة حية، ولا يكون كالغافل الذي أطبق عينيه وهو يسير في طريق، بل يكون كالبصير الذي يحتمل في كل خطوة وجود بئر أو حجر أو شوك. فالأشواك في حياتنا وفي طريق تجارتنا وفي جميع جهودنا كثيرة. وإن أهواءنا النفسية وحبّنا للجاه والمال والسلطة واللذة تشلّ أقدامنا وأعمالنا. فلنراجع حياتنا لنجد كم

هي الذنوب التي نجترحها، سواء تلك الذنوب التي تختص بأبداننا، أو تلك الذنوب التي ترتبط بعقولنا، أو تلك الذنوب التي تتعلق بحيثيتنا وشخصيتنا، وإذا ما راقبناها، سنرى أي دور كبير يتسنى للتقوى أن تلعبه في هدايتنا. يقول أمير المؤمنين للناس اتّقوا، أي احذروا وتحسّسوا، وانظروا إلى العمل الذي تمارسونه بعين دقيقة ثاقبة ونظرة ناقدة، وخطِّئوا أنفسكم، ولا تكونوا لأنفسكم شاكرين وعنها راضين أبدًا.. هذه هي تقوى الفرد، وهنالك تقوى في دائرة الاجتماع أيضًا. فكما أن الإنسان إذا ما أراد ألّا يتيه في الطريق، عليه أن يقف أمام العقبات والمعرقلين وقطّاع الطرق، كذلك المجتمع إذا أراد ألّا يُضيّع سبيل الله، أو أن يعثر عليه إذا ضيّعه، عليه أن يكون حَذِرًا حسّاسًا، وأن يعرف الأعداء وحالات العِداء.

كثيرًا ما تقع في العالم أحداثٌ لها صلتها بمجتمع ما، دون أن يطّلع عليها أفراد ذلك المجتمع. ففي زاوية من زوايا العالم تندلع حرب، وفي بقعة من بقاع العالم تُبرَم اتفاقية، وفي منطقة من المناطق تُنجز معاملة، ويُخطَّأ أشخاص من قِبل العتاة، ويُعاقَب أناس بواسطة المتغطرسين، ونحن نزعم أن هذا كله لا يمتّ إلينا بصلة، بيد أنّ الإنسان الواعي والمتحلّي بالتقوى الاجتماعية يستنبط من كل واحدة من هذه الأحداث قضية ويُدرك موقفًا. فإن من الواجبات التي تقع في عنق كل مسلم هي الوقوف على مجريات الأحداث المعاصرة. ولو أن مجتمعًا تابع جميع حوادث العالم ووقائعه بعين معرفته ورؤيته الثاقبة، وعَلِم أن الحدث الذي يحدث في نقطة نائية من العالم قد يتعلّق به، وراح يفتّش عن علاقة ذلك الحدث به وبمجتمعه وبحياته وبمصيره، لا مراء في أنّ المجتمع هذا سوف لا يشهد الذلّ والهلاك.

ففي الحقبة التي كان المسلمون يتمتّعون بالوعي واليقظة، ويعلمون ماذا يجري في الدنيا، ويعرفون ما هو واجبهم تجاه مجريات العالم، كانوا أسيادًا مرفوعي الرأس....»[١]

والخطبة الثانية بدورها كانت زاخرة بالمسائل السياسية الحديثة والمعاصرة التي لم يكن على اطلاع بها حتى نُزلاء العاصمة أيضًا. والسيد الخامنئي بكلامه وأسلوبه الصريح وخطابه الناريّ، كان يكشف للناس عن الكثير من الحقائق المعاصرة في المجتمع والعالم، ويعلّمهم كيف يشعرون بالمسؤولية تجاه ما يجري من أحداث في أطراف العالم وأكنافه.

وعلى سبيل المثال، يقول في الخطبة الثانية من نفس صلاة الجمعة التي كان قد تحدّث في خطبتها الأولى عن التقوى الفردية والاجتماعية:

«إن الله تعالى يدعو الناس إلى الشعور بالمسؤولية واليقظة والتقوى الفردية والاجتماعية.

... مَثَل المؤمنين والإخوة المسلمين كمَثَل البنيان الذي يحافظ بعض أجزائه على البعض الآخر. فالآجر في القصر يحفظ بعضه بعضًا، والحديد يحفظ الآجر، والأعمدة تحفضها جميعًا، والكل يحفظ بعضه بعضًا.

والمؤمنون والمسلمون الذين اعتنقوا دين الإسلام المقدس، في أي بقعة من بقاع العالم كانوا، يمثّلون أجزاء البنيان الواحد. وبما أنهم كذلك، فالمسلم الذي يعيش في أي بلد من بلدان العالم، يعدّ عضوًا في جسد المجتمع الإسلامي المقدس. ولذا يجب على المسلمين أن يطّلعوا على أحوال بعضهم الآخر.

---

١. تم تدوين الخطبة من على شريط صوتي، ولكن التأريخ الدقيق لصلاة الجمعة مجهول للأسف.

لا يحق لي أن أفكّر بمصالحي الشخصية دون أن أطّلع على مصالح المسلمين..
لا يحق لي أن أتجاهل مصير جاري..
لا يحق لأهل مدينةٍ ألّا يأبهوا بمصير المسلمين في المدن الأخرى..
لا يحق لأهل بلدٍ إسلامي ألّا يكترثوا بمصير المسلمين في البلدان الأخرى..
«من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين» وبالمجتمع الإسلامي والبلدان الإسلامية «فليس بمسلم».

لو واظبنا على الصلاة والصيام وأداء الحقوق المالية الواجبة، وارتدعنا عن الكذب والغيبة وأكل أموال الناس، ولكن رغم امتناعنا عن المحرمات الشرعية وأدائنا للواجبات الشرعية، لم نقف على أحوال المسلمين ولم نعبأ بمصيرهم، لا يمكن إطلاق اسم المسلم علينا وفق هذا الحديث. فالنبي لم يمزح، ولم يتحدث مجازًا، ولم يُبالغ! «من أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».

يجب على الجميع أن يكون لهم اهتمامهم ونشاطهم تجاه مصير المسلمين في العالم وحيال ما يجري عليهم وما تُحاك ضدّهم من مؤامرات. أي يجب علينا اليوم، ونحن جالسون في إيرانشهر، أن نفكّر بمصير المسلمين في لبنان؛ أولئك الذين (يُظلمون) على يد الظلم والجور للمتآمرين العالميين والمستعمرين الدوليين في الشرق والغرب، ويُسحقون تحت وطأة الجلادين الصهاينة، وأن نتحسّر عليهم، وأن نعلم بأنّ قضيتهم لا تنفصل عن قضيتنا.»

شهدت إيرانشهر يومذاك خطيب جمعة، أصبح يومًا وبحكم إمام الأمة خطيبًا للجمعة في أم القرى الإسلامية، وأثبت للعالم مفهوم إمام الجمعة الحقيقي الذي يرقى إلى مستوى الحكومة الإسلامية.

أبوالقاسم صدّيقي، سائق شاحنة من مدينة بم، هو الآخر الذي توجّه في شهر مارس / آذار إلى إيرانشهر وأُعجب بالسيد الخامنئي وأحكم علاقته به شيئًا فشيئًا.

أبوالقاسم صدّيقي: «في أوائل سنة ١٩٧٨، تم نفي رجلٍ يُدعى السيد جواديان إلى مدينة بم، وذلك لإقامته مراسم أربعينية (ذكرى استشهاد) السيد مصطفى الخميني في مدينة مهاباد. وكنتُ أنا ونفر من الأصدقاء والمحبين للإمام (الخميني) بخدمته. وفي عيد الربيع، أخبرنا جواديان بأن أحد العلماء الثوريين، واسمه السيد الخامنئي، قد تم نفيه إلى إيرانشهر، وأخذ بالثناء عليه، فرغبنا في لقائه. وفي الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين من مارس / آذار توجّهنا، مع اثنين أو ثلاثة من الإخوة، إلى إيرانشهر لزيارة السيد الخامنئي. وبعد الاستفسار عثرنا على داره، حيث كان الناس يحتاطون في إعطاء العنوان. تشرّفنا هناك بخدمة السيد وكان الشيخ راشد موجودًا أيضًا. وكانت هذه أولى زيارتي لسماحته. ولقد كان للسيد من الجاذبية ما لا تذرني أشبع من رؤيته أبدًا، ولم يعد بمقدوري مفارقته. ورغم أن المسافة الفاصلة بين بم وإيرانشهر نحو ٣٥٠ كيلومترًا ترابيًا، كنتُ في كل أسبوع أذهب لزيارة السيد وأبقى عنده يومًا أو يومين.»[١]

وبدوره كان السيد الخامنئي أيضًا يحبّ أباالقاسم صدّيقي[٢]، ويعتبره نموذجًا من خواص فريق الحق؛ الخواص الذين لا يحملون في الظاهر علمًا جمًا، ولكنهم يفهمون أكثر وأفضل من كثير من العلماء الدارسين.

«في فترة ما قبل انتصار الثورة كنت منفيًا في إيرانشهر، وكان في إحدى

---

١. الأقوال المنقولة عن السيد أبي القاسم صدّيقي في هذا الكتاب، تعود إلى مقابلات أجريناها معه في سبتمبر / أيلول ٢٠١٦.
٢. قسم الملحقات، الصور في ص ٢١٢ و٢١٣.

المدن القريبة منها عدّة أشخاص نعرفهم من بينهم سائق ومن بينهم صاحب عمل حرّ، ولم يكن هؤلاء بالتالي من ذوي الثقافة والمعرفة بمعناها الخاص، ويُصنَّفون ظاهريًا في صنف العوام، ولكنهم رغم ذلك كانوا من الخواص. وكانوا يأتون للقائنا في إيرانشهر بشكل منتظم، ويتحدثون عن حوارٍ لهم مع رجل الدين في مدينتهم، وكان رجلًا طيّبًا إلّا أنه يدخل في عداد العوام. التفتوا! سائق الشاحنة من الخواص، بينما ذلك العالم المبجّل وإمام الجماعة من العوام! إذ كان يقول على سبيل المثال: لماذا حين يذكر اسم النبي تصلّون عليه مرّة واحدة، في حين إذا ذكر اسم الإمام (الخميني) تصلّون على النبي ثلاث مرّات؟!

لم يكن ليفهم ذلك. وكان السائق يرد عليه بالقول: يوم نفرغ من المواجهة، ويسود الإسلام كلّ الأرجاء، وتنتصر الثورة، نحن لا نَدَع الصلاة ثلاثًا وحسب، بل نَدَعها مرة واحدة كذلك! فإن هذه الصلوات الثلاث تعدّ اليوم مواجهة! السائق يفهم ورجل الدين لا يفهم!» ١٩٩٦/٦/٩

لم تكن أنشطة السيد الخامنئي قد تلخّصت في إيرانشهر، بل كان أحيانًا ما يترك هذه المدينة قاصدًا المدن الأخرى متى ما أتيحت له الفرصة. وكان غالبًا ما يسافر إلى سائر مدن المحافظة بالسيارة التي اشتراها له بعض رفاقه وأرسلوها إلى إيرانشهر.

أبوالقاسم صدّيقي: «الحاج أحمد قديريان[١]، وهو أحد أصدقاء السيد الخامنئي في طهران، اشترى له سيارة بيجو ٤٠٤ بيضاء[٢]، وأرسلها إلى إيرانشهر. حيث

١. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٩٠.

٢. قسم الملحقات، الصورة في ص ١٩٨.

كان السيد كثيرًا ما يتردّد إلى أطراف المدينة، وهذا بالنسبة له كان شاقًّا من دون سيارة.. السيارة كانت رائعة، والسيد بدوره كان حاذقًا في السياقة، ما تسبّب هذان الأمران في ارتياحه.[١]»

مدينة بَزمان ـ التي تبعد عن إيرانشهر مئة كيلومتر ـ هي من المدن التي كان السيد الخامنئي يتردّد عليها كثيرًا. وكان في الأغلب يذهب إليها في أيام الإثنين لإلقاء محاضرة على أهل المدينة. وقد بدأ السيد برحلته إليها منذ عام ١٩٧٧ وبدعوة من أهاليها.

حجتي كرماني: «أتذكر يومًا سافرتُ مع زوجتي وبمعية السيد إلى بزمان وكان هو السائق. أقمنا هناك صلاة الجماعة، ثم ألقى السيد محاضرة. وكان شيعة بزمان، وهم من السادة السجادية، يُكرمون ضيافتنا. ولقد حافظوا على صلتهم بي وبآية الله الخامنئي أيضًا.

وفي اللقاء الذي جمعنا معهم أخيرًا، ذكّرونا قائلين: هل تتذكر في تلك السفرة كنّا نتلو آياتٍ من القرآن قد حفظناها، وكلٌّ منّا كان يُذكّر الآخر بالمنسيّ منها؟»

وفي هذا البين، فقد أقام كلٌّ من السادة رودين بامري والسيد موسى سجادي والسيد عبدالرحمن سجادي، وهم من كبار مدينة بزمان، علاقة حميمة ووثيقة مع السيد الخامنئي. وفي أغلب الأوقات كان أحدهم يأتي إلى إيرانشهر ليذهب بالسيد علي إلى بزمان ويُعيده، وهذا ما جرّهم أحيانًا إلى مخفر الشرطة والاستجواب والاعتقال. وفي إحدى استجوابات مخفر الشرطة، وردًّا على سؤال: ما هو سبب الارتباط بالسيد الخامنئي، قال السيد عبدالرحمن: إنه رجل ديننا! نحن نطرح عليه أسئلتنا، واحترامه واجبٌ علينا.

---

١. فيما يخص العلاقة الحميمة بين السيد أبي القاسم صديقي وبين سماحة الإمام القائد، راجع كتاب «مؤمن انقلابي (المؤمن الثوري) ـ أبوالقاسم صديقي» من مجموعة صهبا.

وقال رودين بامري للسيد علي أيضًا: لو ألحق هؤلاء الشرطة الأذى بك، مُرني حتى أواجههم. فقال له السيد: إنهم يقتلوك. أجاب رودين: في المقابل أنا أيضًا أقتل رجلين منهم!

كان أهالي بزمان يعيشون في عُسر من الناحية الاقتصادية، وبدوره كان السيد الخامنئي يسعى لأن يعمل على تحسين أوضاع معاشهم.

محسن رؤوفي: «كان في بزمان مسجد مصنوع من التبن والطين، وفي وسطه عدة نخيل. وكان السيد يقول: حين أشاهد هذا المسجد، أتذكّر المسجد النبوي في المدينة.

ومن أجمل ما كان السيد يقوم به في بزمان، إهداؤه عنزًا باكستانية ـ وهي عنز حلوب ـ للعوائل المستضعفة ويقول لهم: لو حافظتم على هذه العنز إلى السنة القادمة حتى تلد وتتكاثر، ستستلمون هدية أخرى. والنقطة (الهامة) تكمن في قول أهالي بزمان بأن هذا ما قدّمه السيد الخامنئي، وهو ممثّل الإمام الخميني. فإن التردّد العائلي والقبائلي في تلك المنطقة كثير. وحين يأتي الأقرباء ويشاهدون العنز، يسألون: من أين هذا ومن الذي أعطاه؟ وإذا ما حافظوا عليها سنة، تلد لهم مرتين، وفي كل مرة توأم! وهذا العمل من جانب يُزيل الفقر المدقع في بزمان، ومن جانب آخر يؤدي إلى انتشار اسم الإمام الخميني المبارك.

علمًا بأن مساعدات السيد المالية لا تختص بأهالي بزمان، بل كان يساعد الكثير من العوائل في إيرانشهر أيضًا ويسدّ حاجاتهم. حيث كانت تصل إليه في إيرانشهر أموالٌ كثيرة لإنفاقها في خدمة الناس. والجهاز أيضًا لم يكن ليتشدّد، إذ كان يرى أنّ التردد هذا إنما هو في سبيل المساعدات المالية ولا

شأن له بالسياسة. وبالطبع فإن مساعدة رجل دينٍ منفيٍّ وتلطّفه وزيارته للعوائل الضعيفة إلى جانب عدم اهتمام النظام البهلوي والسلالة الملكية وعدم اكتراثهم بالناس، كم كان له دورٌ مذهلٌ في إقبال الناس على الثورة.»

وفي بزمان، طرق للمرة الأولى مسامع السيد الخامنئي اسم مدينة بشاكرد والشيعة المظلومين والمخلصين في تلك المنطقة المحرومة:

«كنت أعرف الإخوان في بشاكرد منذ عام ١٩٧٨ ومنذ ما قبل انتصار الثورة. والسبب في ذلك يعود إلى أن الإخوة في بزمان ودلكان الذين كانت ترتبطهم صلة ببشاكرد وكانوا يترددون عليها، كثيرًا ما كانوا يتحدثون معنا عن أهاليها. وكنتُ أرغب في الذهاب يومًا إلى تلك المناطق في تلك السنين، ولكنه لم يكن ميسورًا لأني كنتُ منفيًا في إيرانشهر. علمًا بأني كنتُ أذهب إلى بزمان، ولكن لم يكن بمقدورنا الذهاب إلى ما بعد بزمان، وكان حقًا عمل عسير، لأنهم كانوا يحولون دون ذلك.» ١٩٨٥/١٠/١٢

«كنتُ أعرف المنطقة أيضًا، وعلى حدّ تعبيرهم بَشكَرد. يوم كنّا في إيرانشهر، كان بعض أصدقائنا ومعارفنا من مناطق دلكان وبشاكرد وميناب ـ حيث تقع دلكان في طريق بشاكرد إيرانشهر، والثلاثة في طريق ميناب ـ يتجشّمون عناء هذا الطريق الصعب والطويل لزيارتنا، وأحيانًا ما كانوا يأتون من بشاكرد للّقاء بنا. وذات يوم جاء من تلك المنطقة شيخ كبير قد تزيّا بزيّ رجال الدين ـ لم يكن من أهل العلم ولكنه كان قد لفّ على رأسه قطعة من قماش أبيض ـ لا أتذكر اسمه. جاء وشكى من فقر أهالي تلك المنطقة، واستخدم عبارة راقت في عيني كثيرًا ولذلك مازلتُ أتذكّرها بعد مضيّ ثلاثين عامًا ونيّف، حيث قال: ويح لكثرة الخبز وويل لشحّة الماء!

فالماء كثير في أطراف دلكان، ولكن لا أرض فيها وبالتالي لا خبز فيها. وكأنّ تلك المناطق لم يكن لها وجود خارجي قبل الثورة! أي إن الأجهزة الحكومية لم تكن تكترث بها أبدًا.» ٢٠١٢/٥/٢٩

استمرّت رحلات السيد الخامنئي إلى بزمان[١]، حتى طالب السافاك في المنطقة مركز الشرطة أن يحول دون خروج رجال الدين المنفيين، وأن يستدعيهم وينبّههم بشدة، إذا ما واصلوا بثّ السموم في الأذهان وإظهار المسائل الضارة، ستيم وفق القانون اتخاذ إجراءات أشد حدّة! كما وأعلن السافاك لمخفر الدرك أيضًا أنه إذا شاهد المنفيين في خارج إيرانشهر، أن يبادر إلى اعتقالهم وتسليمهم لمركز الشرطة. اتّخذ السافاك هذه الإجراءات بعد آخر تواجدٍ للسيد الخامنئي في بزمان، يوم الإثنين، الرابع والعشرين من أبريل / نيسان.

كان السيد علي الخامنئي دومًا ما يُجالس الناس العاديين في الأزقة والأسواق، ويجلس على مائدتهم الخالية، بل كان هو وعائلته من نفس هذه الطبقات لا من الأثرياء والأغنياء. وقد وصل الفقر به وبعائلته إلى درجة، أرغمته مرات ومرات، في أيام الطفولة والمراهقة والشباب، على أن يضع رأسه على الوسادة جائعًا للضيق والإعواز. ولكن رغم كل هذا وفي فترة نفيه إلى إيرانشهر، ازدادت معرفته بآلام الناس التي لا تُحصى أكثر فأكثر، ورأى في إيرانشهر من الفقر ما لا رأته فيما مضى عيناه ولا سمعت به أذناه.

مشاهدة آلام الناس ومحنهم، زادت من عزيمة السيد على مقارعة حكومة الطاغوت واستئصال شأفتها إنقاذًا للناس:

---

١. قسم الملحقات، الصورة في ص ٢٠٣.

«كان طعام الكثير من الناس حينذاك عبارة عن خبز يُصنَع من دقيق مطحون من نواة التمر المسحوق! أساسًا من ذا الذي يصدّق أن يسحقوا نواة التمر في بلوشستان ويصنعوا منه الدقيق والخبز ويأكلوه؟! هذا ما شاهدناه في فترة النفي.» ١٩٩٧/١٢/٢٩

«لا أنسى في إيرانشهر ذلك اليوم الذي نزلتُ فيه إلى الشارع، فرأيت مشهدًا من امرأة مع أطفالها، وبقيت (حائرًا) ماذا أصنع في الشارع، لشدة ما أدّى إلى اعتصار قلبي. علمًا بأن الفقر بالإمكان أن يُرى في كل مكان، وحين كنّا في مشهد، كان بوسعك أن ترى الفقر. ولكني رأيت في إيرانشهر أوضاعًا، زادت نفس هذه الرؤية من عزمي وإرادتي على ضرورة اقتلاع جذور هذا الجهاز الذي تسبّب في نشوب هذه الأوضاع بأي طريقة كانت. وإني حقًا لو كنت أفترض هناك أن الموت سيحلّ بي سريعًا إثر حركة أنطلق بها، لما توانيت عن هذه الحركة أبدًا، حيث كنتُ أحمل مثل هذا الدافع والمحفّز.» ١٩٨٢/٥/٧

لا فقر أهالي المنطقة وحسب، بل الجهل والفساد والرقّيّة والأمّية والبطالة وعشرات المظالم الأخرى التي فرضتها الحكومة على البلوش، كلها كانت تُحرق قلب السيد علي:

«لقد فرض النظام الملكي الجائر على شعبنا الجهل والفساد والرقّيّة والفقر مع بعض. وكان هذا هو الوضع السائد في كل مكان، دون أن يختص بـ(محافظة) سيستان وبلوشستان. بيد أنّ ذلك المكان الذي كان يحرق القلوب ويُسيل الدموع، هو هذه الأرض الحارة والحارقة، وهذا ما تلمّستُه بنفسي؛ مرة في سنة ١٩٦٣ وفي مدينة زاهدان، حيث شاهدتُ مشاهد من فقر الناس لا يسعني رميها في بقعة النسيان، ومرة في سنتي ١٩٦٧ و ١٩٦٨[١]، (ومرة في

١. إشارة إلى زيارته لتلك المناطق جراء الزلزال الذي ضرب مدينة فرودس عام ١٩٦٨.

سنتي) ١٩٧٧ و١٩٧٨ وفي فترة نفيي إلى إيرانشهر. فقد رأيت هذه المشاهد عن كثب، وشاهدت حياة هؤلاء الناس وذلك البلاء الذي فرضه ذلك النظام على هذا الشعب. وهذا ما أحسسته وتلمّسته، وجالستُ أهالي هذه المنطقة، و(شاهدتُ) آلامهم عن قرب لا عن بعد، ومن خلال مشاهدة حياتهم، لا عن طريق كتاب أو مجلة أو ما ينقله الآخرون، بل سمعته وشعرت به من لسانهم ومن لسان حالهم ومن لسان قلبهم. وهذه أوضاعٌ كان النظام الملكي الجائر قد فرضها على أبناء الشعب الإيراني برمته وعلى هذه المنطقة.» ١٩٨٦/٤/٢٨

«إيرانشهر التي شاهدتها في سنوات الكبت وتضييق الخناق، لم تكن لتعاني من الفقر وحسب، بل ماعدا الفقر، كان قد فرض على أهالي هذه المدينة كل المشاكل التي يمكن تصوّرها أن تحلّ بمجتمعٍ ما.» ١٩٨٦/٤/٢٩

السيد علي الخامنئي؛ الرجل الذي لا يطيق أن يضع طفلٌ رأسه على الوسادة وهو جائع، أحيانًا ما كان يجهش بالبكاء حين يشاهد بعض المشاهد التي لا تطاق:

«لا أنسى يوم كنتُ في المنفى، قصدتُ سدّ بمبور لمشاهدته، وكانت هناك على ما يبدو قلعة، لا أتذكّر الآن مواصفاتها، وهي تعود إلى فترة الخوانين السابقة. وبينما أنا أنظر، وإذا أرى اثنين أو ثلاثة من المراهقين البلوش، كانوا يمشون هناك عاطلين، فرغبتُ أن أتحدّث إليهم. توجّهتُ نحوهم وشرعتُ بالحديث معهم، وسألتهم عن وضع حياتهم، وعن أنهم يذهبون إلى المدرسة أم لا، ويدرسون أم لا، وعن أحاسيسهم الإسلامية، وعن أمور كثيرة أخرى، وسمعت أجوبة منهم.

فخيّم الحزن على قلبي، وذلك لأني رأيتُ شبابًا ومراهقين في منتهى الذكاء،

ولكن دون أن تتوافر إمكانية استثمار هذا الرصيد الإلهي. لا مدرسة ولا حياة مناسبة.. إنسان يريد أن يعمل ويدرس، ولكن لا يمتلك أي واحدة من مواهب الحياة، فنُحِتَ هذا في سجلّ ذكريات ذهني حتى اللحظة، وسيبقى منحوتًا إلى الأبد. ذات يوم دخلتُ كوخًا في (منطقة) محمدآباد، فوجدت عائلة كانت تعاني من وضع مأساويّ فضيع، لا رضيعها يملك لبنًا ولا أمه تملك الطعام. فهاج بي الحزن، وأجهشتُ بالبكاء أمام أنظارهم بلا إرادة. وبدأتُ أسأل عن وضعهم، فرأيتُ حالهم حال مئات الآلاف من البلوش الآخرين في هذه المنطقة، يرزحون تحت وطأة وغيظ وجور الجهاز البهلوي المتجبر وأياديه في المنطقة.» ١٩٨٦/٥/٤

عندما حلّ الشهر الثاني من السنة الفارسية (١٩٧٨/٤/٢١-١٩٧٨/٥/٢٠)، بلغ عدد رجال الدين المنفيين إلى إيرانشهر أربعة أشخاص. السيد فخرالدين رحيمي[١] من خرم آباد، والسيد محمدعلي موسوي[٢] من كرمسار، دخلا إلى هذه المدينة في هذا الشهر. وقد حُكم على رحيمي ثلاثة سنوات وعلى موسوى سنة واحدة بالنفي في إيرانشهر.

في نفس هذا الشهر، ركّز السيد الخامنئي خلال خطابه أمام المصلين في مسجد آل الرسول على موضوع النبوة. وعندما حلّت أربعينة شهداء يزد ـ في العاشر من مايو / أيار ـ خصّ السيد مستهلّ كلامه بواقعة الثلاثين من مارس / آذار في يزد:

«بسم الله الرحمن الرحيم

قبل البدء بالحديث، ليقرأ الجميع الفاتحة على روح إخواننا المسلمين الذين

---

١. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٧.

٢. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٩٠.

استُشهدوا قبل أربعين يومًا في يزد.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، احشر جميع إخواننا وكل شهداء طريق الحق مع أوليائك.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، تقبّل منا نوايانا القاصرة وأعمالنا الناقصة بفضلك وكرمك.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، اجعل موتنا شهادة في سبيلك.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، اجعل موتنا ـ الذي يعدّ حدثًا طبيعيًا لا مفر منه، ولا يتأتى لأحد أن يكون في مأمن منه ـ على يد أقوى أعدائك. وطلب موتٍ كهذا في الحقيقة طلب التجار!

وحيث وصل الحديث إلى الموت، حريّ بنا أن نتكلم باختصار وفي بضع كلمات بهذا الشأن، ومن الملفت أنه حديث ليس ببعيد عن بحث النبوة. إنني غالبًا ما أقارن في ذهني بين رؤيتين، بل بين ثلاث رؤى وثلاث عقائد في باب الموت. الأولى عقيدة عبّاد الدنيا وطلّابها الذين أخلدوا إليها بشدة. فالموت في نظر هؤلاء مصيرٌ بمنتهى المرارة. قد يكون الإنسان متديّنًا مؤمنًا في الظاهر، ولكنه يكره الموت ويفرّ منه بشدة. وهذا الكره والفرار لا ينتجان عن العقيدة الإيمانية والدينية بالتأكيد، وإنما ينبعان عن العقيدة المادية. فالإنسان المادي هو الذي لابد وأن يحمل تجاه الموت كل هذا الكره والنفرة. إنّ من لا يؤمن بالعالم الآخر، ولا يعتقد بنشأةٍ بعد هذه النشأة، يكون الموت في نظره نهايةً لكل شيء، فإن مات المرء، ينتهي معه كل شيء! هذه رؤية. وهناك رؤية أخرى ليست مادية، ولكنها ناجمة عن العصبية. وهي رؤية (أمثال الشاعر) نظامي كنجوي. ولقد سمعتم بيته المعروف:

لو عمّرتَ يومًا أو مائة عام
لابد من الرحيل عن هذه الأرض الخلّابة

حيث يجب بالتالي الرحيل.. حيث لا مفرّ بالتالي من الرحيل، هلمّوا لنعمّر هذه الحياة ـ وله توصيات في تتمة هذا البيت ـ بما أن المقرّر أن نرحل عن هذه الأرض.. بما أن المقرر ألّا نبقى فيها.. بما أن المقرر أن نترك كل هذه المحاسن والمناظر الجميلة، تعالوا لنُحسن العيش في هذه الدنيا. هذا أسلوب قائم على الحكمة.. هذا أسلوب الحكيم نظامي كنجوي.. هذا أسلوب جميع عقلاء العالم؛ أسلوبٌ لا ينظر إلى الموت على أنه أمرٌ محبوب، ولكنه في الوقت ذاته يتقبّل حقيقة حتمية الموت ويُرتِّب عليها نتيجة. هذه هي الرؤية الثانية، وأنا أسمّيها: رؤية عاقلة حكيمة، وهي رؤية لا يرفضها الدين.

أما الرؤية الثالثة، فهي رؤية العشّاق والعرفاء والأنبياء، وهي تفوق كلّ الرؤى. إنها رؤية أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه)، فإنه حين ينظر إلى الموت لا يهابه أبدًا، ولا يختلف الأمر لديه. «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه». يقول علي إني أحبّ الموت. الموت في سبيل الله عند علي ليس حدثًا يبعث على الأسى، وإنما ينتهي به إلى الراحة. والدنيا عنده دار كمال، لو طلبها فإنه يطلبها لنيل المزيد من الكمال والزاد، ولكن الموت عنده لقاء الله. قالوا له ابقَ في هذا المتجر وتزوّد منه بل وأكثر من تحصيل الزاد، فإنك سترحل للقاء المحبوب.. تزوّد ما استطعتَ، واملأ الأجربة والجيوب، واشدد الأمتعة بقوة، فالسفر سفر عاشقٍ نحو المعشوق.

صحيح أنه يبذل الجهود في هذا المتجر.. صحيح أنه يعرف قدر كل ساعة وكل لحظة في هذا المتجر ليملأ الأجربة والأمتعة أكثر فأكثر، ولكنه لحظة

يأتونه ويقولون له: لنرحل، تكون بداية بهجته وسروره، لأنه رحيل صوب المحبوب وصوب المعشوق.. هذه هي رؤية شهداء الإسلام.. هذه هي رؤية الأنبياء العظام.. هذا هو منطق من يرحّب بالموت....»

وفي يوم الجمعة، الثاني عشر من مايو / أيار، تطرّق السيد الخامنئي مرة أخرى لأربعينية شهداء أهالي يزد في الخطبة الثانية من صلاة الجمعة، ولكنه في هذه المرة أرعد وأبرق وأنزل سوط كلامه على جسد حكومة الطاغوت لدرجة، أذهلت الناس وانبهروا بشجاعته.

«إن مجتمعنا ومملكتنا وبيئتنا ـ نحن الذين ندّعي بأننا شيعةٌ وأتباعُ علي ـ كم هي قريبة من الأحكام العلوية؟ كم يحق للإنسان المفكّر الواعي أن يُفكِّر، وهل يُسمح له بأن يتكلم؟ هذا ما يقوله اليوم علماؤنا الكبار ومراجعنا العظام في داخل إيران وخارجها، وهذا هو قولهم اليوم أمام الطغمة الحاكمة في إيران. لقد سمعتم بالأحداث الأخيرة.. إنها أحداثٌ لابد وأن تُطرح في صلاة الجمعة، وهي من الفرائض التي يجب على الخطيب تبيانها، وينبغي له إطلاع الرأي العام عليها. لا أحمل قولًا جديدًا في هذا الشأن، ولا خبرًا جديدًا لم تسمعوا به. والذي أعلمه هو نفسه الذي تعلمونه جميعًا: ضوضاء، واتحاد، وكلام عن سخط الناس واحتجاجاتهم وأقوالهم. وعلى المسلمين كافة إن لم يكونوا من المحتجين أن يعلموا ماذا يقولون؟ نحن نريد أن نعلم ماذا يقول المحتجون؟ يجب عليّ بالتأكيد أن أطرح هنا نقطتين، وعليكم أيها المسلمون من الإخوة والأخوات أن تستمعوا.

النقطة الأولى هي أن هذه الاحتجاجات عمّت جميع أرجاء البلد ـ على خلاف ما تنشره الصحف ووسائل الإعلام العامة التي تعدّ بأسرها مأجورة

للأسف ـ والمحتجون لا يشكلون أقلية بل يشكّلون الأكثرية. أيما حركة تنطلق في إيران بريادة العلماء يتبعها الناس. فإن علماء الشيعة هم مظهر توجّهات الناس ومطاليبهم ومحفزاتهم. وأنتم الذين تعيشون في هذه المدينة تقلِّدون، حالكم حال سائر المسلمين في هذه المملكة البالغ تعدادهم خمسة وثلاثون مليون نسمة. ولكن ماذا يعني التقليد؟ يعني اتّباع عالم دين. وهذا ما يُثبته الوقوف على بنية حياة الفرد الإيراني. فالإنسان الإيراني لا يعيش من دون تقليد، ولكنه من يقلِّد؟ هل يقلّد المتنوّر الفلاني؟ أم يقلّد المهندس الفلاني؟ أم يقلّد السياسيّ الفلاني؟ أبدًا.. إنه يقلّد عالمًا ومرجعًا ورجل دين. فمن أراد أن يعرف أن هذه الحركة وهذه النهضة وهذا الاحتجاج وهذا السكوت، وأي شيء (آخر)، وأي حادثة تشبّ في إيران، هل تعود إلى الأقلية أم الأكثرية؟ عليه أن يرى هل العلماء روّاد هذه الحركة أم لا؟ فإن أية حركة تنطلق بريادة العلماء تعود إلى أكثرية الناس. والسبب في ذلك هو أنهم متى ما صدّروا بيانًا أو نداءً أو وجّهوا دعوة، زحفت جماهير كبيرة من الناس تلبية لندائهم واستجابة لهم. ما هذا الكلام الذي يقوله البعض وتكرّره الصحف أنّ هؤلاء يشكلون أقلية يبلغ عددهم عدة آلاف شخص؟! هذا كذب وافتراء. إنهم يشكلون أكثرية مليونية.. إنهم مسلمو هذه المملكة وشيعتها. أية أقلية؟! أولئك الذين يخالفونهم هم الأقلية.. أولئك الذين لا يطيقونهم ولا يطيقون كلامهم هم الأقلية. وهؤلاء أكثرية.. هذه هي النقطة الأولى.

والنقطة الثانية هي أنه ما هو الباعث على هذه الحركات، وهذه المظاهرات، وهذه التجمّعات، وهذه المنابر لرجال الدين والفضلاء والمدرّسين والمراجع والعلماء الكبار وخطاباتهم وبياناتهم وأقوالهم؟ ما هو الدافع لكل هذه الأمور؟

هذا ما يجب أن يُسأَلوا هم عنه. ولقد أوضحوا لنا هذا في نداءاتهم وشعاراتهم وكلماتهم وخطاباتهم ومحاضراتهم. إنهم يقولون: يجب أن يسود الإسلام في هذه المملكة. يجب أن يحكم القرآن في هذه المملكة. يجب أن يُسمَح للناس في هذه المملكة أن يكونوا مسلمين.. هذا هو الباعث. لا يُسمَح لأحدٍ بأن يبقى على إسلامه! فالإعلام وبهارج (الحياة) والفحشاء القسري والفساد الإجباري لا تسمح بأن يبقى الناس على ما يريده الإسلام. أخذوا يسوقون فتياتنا وفتياننا نحو الغرق في مستنقع الفساد. هذه القنوات التلفزيونية قنوات فساد في قعر دارنا. هذه الروايات المثيرة، وهذه الصحف الملوّنة والمُنفِّرة، وهذا الإعلام المزيّف، وهذه الوسائل الكمالية وأدوات التجميل التي تدخل إلى هذه المملكة كالسيل، وهذه الموضات التي تُفرض على أولادنا وبناتنا بكل حرية، وهذه الألسن المِهذارة التي تُطلَق كل يوم أكثر من اليوم السابق، وهذه الأقاويل الكاذبة التي تُشاع كالماء بسهولة، هذه كلها لا تسمح للإنسان أن يبقى مسلمًا. (وعلى حدّ قول الشاعر:) «إذا زاد الطين زلّت الفِيَلة»، وها هم يتسبّبون في زلة الشيوخ والفِيَلة والأبطال، فضلًا عن الشباب!

هذا هو كلّ قولنا، وهذا ما يقوله العلماء، ويقوله الشعب المسلم. يقولون: في هذا المجتمع وفي هذه المملكة التي وضعت اسم الإسلام عليها، لابد وأن يعيش الناس مسلمين، ولابد أن تُطبّق قوانين الإسلام، ولابد أن تتوافر الحرية، ولابد أن يكون الاقتصاد نزيهًا. (يقول الشاعر:) «كثير من القول لا يضاهي قليلًا من العمل». لا يجدي الادّعاء. لا ينفع الإعلام الفارغ. هلمّوا وامشوا في الشوارع وانظروا هل يوجد جوع أم لا؟ سيروا في هذه الأراضي اليابسة في كافة أنحاء إيران وانظروا هل توجد زراعة أم لا؟ امشوا في

الأسواق وانظروا هل الطعام الذي تأكلوه والملبس الذي تلبسوه والوسائل التي تستخدموها، تُصنَع هنا أم لا؟ فإن لم تجدوا في صحاريكم وفي أراضيكم زراعة، وشاهدتم منتوجاتكم كلها أجنبية، والسواد الأعظم من أبناء شعبكم جياع، صدّقوا أنه لا وجود للإصلاحات.

الإعلام الكاذب إلى أي حدّ؟ البهرجة إلى أي مستوى؟ لماذا يجب أن يُخدَع الناس باستمرار؟ لماذا يجب دومًا أن يقال للناس كذبًا؟ هذا هو كلام العلماء، وهذا ما قالوه وبيّنوه للناس. والناس بدورهم تحدثوا وطالبوا بنفس هذا الأمر.

اجتمع الناس في مجلس وفي مسجد، وهتفوا باسم عالم ومرجع تم استدعاؤه. فرُدَّ الشعار بالرصاصة! والناس حيال الحق الذي طالبوا به والقول الذي أرادوا الإفصاح به لم يأمنوا على أرواحهم، ثم اعترض العلماء قائلين: لِمَ تقتلون الناس؟! وهكذا استمر الأمر إلى يومنا هذا.

هذه هي القضية.. القضية ليست أعمال شغب، القضية ليست «جئتم من خارج إيران»، القضية لست أقلية، هذا هو كلام الشعب المسلم في هذه المملكة.

الشابّ والشيخ والسوقي والجامعي ورجل الدين والطالب والواعظ والجميع، حتى الموظفون الحكوميون والعسكريون وغيرهم، سايروا هذا المطلب العام في كل أرجاء البلد. وسار الجميع خلف العلماء. كل من يصلي، وكل من يصوم، وكل من يحج، وكل من يقلّد، واكب العلماء وسايرهم في هذا المسير وشاطرهم الهدف. علمًا بأن البعض بادر (عمليًا) والبعض الآخر لم يبادر، إلا أن قلوبهم مع العلماء. ولذا لا توجد هنا أقلية.. أيّ أقلية؟!»

جاءت بنتا الشيخ كاظم راشد يزدي مع خالهما للقاء الوالد والمنفيين، ومكثوا في إيرانشهر لبضعة أيام. إلا أن خبر ولادة البنت الثالثة للشيخ راشد، أعاد البنتين والخال إلى يزد.

وفي بداية الربيع أيضًا وللمرة الثانية، دخل إيرانشهر أولاد السيد الخامنئي، مصطفى ومجتبى ومسعود وميثم، مع والدتهم وخالهم، وكان أصغرهم ميثم ابن ستة أشهر، وأكبرهم مصطفى ابن ثلاثة عشرة سنة[١]. وفي هذا البين، كان مصطفى ومجتبى قد جاءا للمرة الأولى بغية لقاء الوالد. بيد أن مكان والدَي السيد كان خاليًا جدًا في هذه اللقاءات، حيث كانت تربط بينهما صلة وثيقة، ولكنّ الكهولة حالت دون إمكانية السفر إلى إيرانشهر وتجديد اللقاء.

محسن رؤوفي: «جاءت عائلة السيد مرة في شهر يناير / كانون الثاني، دون أن يلتحق بهم السيد مصطفى والسيد مجتبى في هذا السفر، لأنهما كانا يذهبان إلى المدرسة. وجاؤوا مرة مع كل الأولاد عند حلول عيد الربيع أيضًا.»

حجة الإسلام راشد يزدي، وبما يتسم به من طبيعة هزلية، اغتنم فرصة تواجد بناته في إيرانشهر، وراح ـ ما بين الهزل والجدّ ـ يتباهى ببناته أمام السيد الخامنئي الذي كان أولاده الأربعة كلهم ذكورًا!

راشد يزدي: «قلتُ للسيد إنك لم تشعر بلذة الأولاد! قال: لماذا؟! أجبته: لأنه ليس لديك بنت. أنا أستشعر لذة الأولاد لأن لديّ بنت. ولربما تعجّب سماحته من قولي هذا! بعد سنوات من هذا الكلام، وفي عام ١٩٨٢ حيث كان السيد رئيسًا للجمهورية، رزقه الله بنتًا. وحين التقاني في تلك الأيام قال: راشد! صدقت فيما تقول! تذكّرتُ قولك في إيرانشهر! قبل أن أُرزق

١. قسم الملحقات، الصورة في ص ١٩٦.

بنتًا، ما كنتُ أُدرك لذة الأولاد حقًا! واليوم أتلمّس حلاوة ذلك.»

كان الشيخ راشد يزدي في المنفي دائم النشاط والابتسامة والهزل، وكانت طبيعته الهزلية تحدّ من ألم النفي وتُسهّل تحمّل الصعاب. ذات مرة سأله أحد الأعلام: يا شيخ! يبدو أنك تعرّضت للضرب، ولكن دون أن تتألم لشدة نشاطك وحيويتك!

فأجابه الشيخ: نحن نكتب التبعيد (النفي بالفارسية) على شكل «طبعيد» بالطاء، كي ينسجم مع طبيعتنا ولا يشدّ علينا.

اشترى الشيخ راشد في المنفى سخلة جميلة وكان يهتم بها أيما اهتمام حتى تعلّقت به تعلّقًا عجيبًا. ذات يوم وبينما كانت دار المنفيين قد استقبلت عددًا من الضيوف، دخلت السخلة إلى الغرفة لتبحث عن أنيسها؛ متى؟ بالضبط في الوقت الذي كان الجميع مؤتمّين لصلاة الجماعة. دخلت السخلة بصوتها تبحث بين صفوف المصلين عن صاحبها، ما أدى هذا المشهد إلى أن يضحك الحاضرون ويقطعوا صلاتهم. غير أن السيد الخامنئي الذي كان إمامًا للجماعة، لم تتعثّر صلاته رغم أن السخلة قد مرّت من أمامه لعدة مرات. وحين بيّنوا له بعد الصلاة ماذا جرى، قال بأنه لم يلتفت إلى حضور السخلة وضحك المصلين وبطلان صلاتهم أبدًا.

نشاط السيد الخامنئي المتزايد والمؤثر في إيرانشهر، أوصل الأمر إلى أن تشعر القيادات العسكرية والأمنية في المدينة بالخطر وتبحث عن طريقٍ للحلّ. وفي هذا الخضم، قام رضواني، رئيس منظمة الاستخبارات والأمن في المحافظة، بمكاتبة المديرية العامة للدائرة الثالثة، وقال:

«السيد علي الخامنئي، رجل الدين المنفي، في أغلب الليالي وبعد إقامة الصلاة، يطرح على الحاضرين في مسجد آل الرسول مسائل تحريضية، من

قبيل: «الاعتراض على الدراسة المختلطة بين البنين والبنات في الجامعات»، «قيام عدد من الكفرة والمشركين بالقضاء على المسلمين وإبادتهم ظلمًا وجورًا»، «لو صدح عالم بكلمة الحق لأبادوه»، «فقدان الحرية» وأمثالها. وبما أن عدد الحاضرين في المسجد يزداد يوميًا، والمشار إليه يسعى لجمع أتباع ومناصرين، تم إبلاغ مركز الشرطة بأن يقوموا، عبر تشكيل لجنة التنسيق، باتخاذ الإجراءات اللازمة في هذا الشأن.»

في السادس عشر من مايو / أيار، عقد رؤساء الدرك والسافاك والشرطة اجتماعًا تحت عنوان «لجنة التنسيق في المدينة»، تداولوا فيه كيفية الحيلولة دون أنشطة رجل الدين المنفي، السيد علي الخامنئي. وفي هذا الاجتماع، قال قائد الشرطة، العقيد مهدي زاده: «رجل الدين المنفي، السيد علي الحسيني الخامنئي، وتحت مظلة إقامة الصلاة في المسجد، يطرح على المشاركين في صلاة الجماعة مسائل تحريضية. وليس من المصلحة استمرار هذا الوضع.»

بعد مدة من النقاش والبحث، توصّلت القيادات العسكرية والأمنية في مدينة إيرانشهر إلى ثلاثة طرق؛ ثلاثة طرق وحلول للتخلّص من الوضع الخطير الذي تسبّبه السيد الخامنئي في إيرانشهر:

١ـ تقرر أن يُنبَّه المشار إليه على أن يمتنع من الذهاب إلى المسجد.

٢ـ نظرًا إلى أن رجل الدين هذا، وفي غياب الحاج محصل يزدي، إمام الشيعة في مسجد آل الرسول، قد بادر إلى طرح مسائل تحريضية، لابد من استدعاء الشخص المذكور وتنبيهه على أن يحضر في المسجد باستمرار وأن يتولى إقامة الصلاة بنفسه ويحول دون إقامتها بواسطة رجل الدين المنفي المذكور لدى غيابه.

٣ـ بما أن عددًا كبيرًا من مختلف الأشخاص المجهولين ومن المدن (الأخرى) يراجعون دار رجل الدين هذا باستمرار وعلى مدار الليل والنهار ويحملون معهم أحيانًا بعض العُلَب، وتردّد هؤلاء الأفراد في تزايد، يجب طبقًا للأوامر الصادرة وضع حارسٍ في أطراف داره السكنية، لفرض مزيد من الرقابة على المراجعين وما يحملونه من علب، في سبيل أن يتم عند مراجعتهم، إرسالهم مع ما لديهم من وسائل إلى مخفر الشرطة، وبعد التحقيق والتفتيش يُسمَح لهم باللقاء.

بيد أنّ قرارات لجنة التنسيق بقيت حبرًا على ورق. فإنه لا الحاج محصل يزدي عاد إلى إيرانشهر، ولا استطاع أحد أن يمنع السيد علي من الحضور في مسجد آل الرسول. بل وحتى تصوّر أن بمقدر رجال الأمن صدّ السيد الخامنئي دون اشتباك مع الناس، تصوّر باطل.

محسن رؤوفي: «كان السيد يسير فيما بين منزله وبين مسجد آل الرسول، برفقة سائر السادة، مشيًا على الأقدام ذهابًا وإيابًا. وكنا نحن وعدد من المقرّبين إليه، وجمع من الشباب والمراهقين من أمثال آتش‌دست، نواكب السيد في هذه المسيرة. وقد تبدّلت هذه الحركة إلى مظاهرة صامتة! وكانت تتسم بهيبة مذهلة وتُدخل الرعب في قلوب رجال الشرطة والسافاك.»

من بين القرارات الثلاثة التي اتّخذتها لجنة التنسيق، وضعوا فقط حارسًا أمام الدار لفترة. وهذا أيضًا واجه اعتراضات السيد الخامنئي المتكررة.

بادئ ذي بدء وفي السابع والعشرين من مايو / أيار، وجّه السيد رسالة إلى مركز الشرطة، وفي ذيلها توقيع كلّ المنفيين الأربعة، كتب فيها: «التفتيش والتحقيق من الزائرين الذين يقطعون أحيانًا ألف كيلومتر للوصول إلى إيرانشهر، يعد مخالفًا

للقانون. والحراس حتى يمنعون العمال الذين نحتاج إليهم لبعض الخدمات في داخل المنزل كالتصليح وغيره. وفي حال الاستمرار على هذا العمل، سنقوم من خلال تقديم عريضة شكوى بإبلاغ الأمر للأطراف المعنية في البلد والسلطات الدولية أيضًا.»

لم تحمل الشرطة هذه الرسالة، وكذلك الرسالة التي كتبها بعد بضعة أيام في الأول من يونيو / حزيران، على محمل الجد ولم تكترث بها. وزَعَم رئيس الشرطة أن السيد يقرع بهذه المكاتبات والتهديدات طبلًا خاويًا! ولكن حيث كُتبت الرسالة الثالثة، شاهد أن هذا الطبل، لم يكن خاويًا كما كان يزعم!

كُتبت الرسالة الثالثة ـ التي وقّعها كالأولى والثانية سائر المنفيين أيضًا ـ في الثالث من يونيو / حزيران، وهي تخاطب هذه المرة «اللجنة الإيرانية للدفاع عن الحرية وحقوق الإنسان»؛ اللجنة التي تمارس نشاطها تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة، وكانت لها مراسلاتها مع تلك المنظمة.

«باسمه تعالى

المسؤولون الكرام في اللجنة الإيرانية للدفاع عن حقوق الإنسان دامت توفيقاتهم

مع التحية والاحترام والشكر الجزيل

إن هذه الفرصة الفريدة والفذّة التي أتيحت في أجواء إيران الخانقة والملبّدة بإبداع تلك العناصر الشريفة والشجاعة، وفّرت المجال لنا كي نطرح واحدة من عشرات التصرفات غير القانونية لرجال الحكومة في فترة نفينا اللاقانوني إلى مدينة إيرانشهر الواقعة في قلب بلوشستان والتي تبعد ٢٠٠٠ كيلومتر عن طهران. طالبين طرح هذه المسألة ومتابعتها ضمن إطار أنشطة تلك اللجنة في داخل البلد. كما ونطالب بإصرار عرض هذا التقرير بعينه على السلطات

والأطراف المعنية في العالم من قبيل جمعية الحقوقيين الدولية ولجنة الدفاع عن حقوق الإنسان واللجنة الدولية للصليب الأحمر، وإيقافهم على نقطة صغيرة جدًا وفي الوقت ذاته كبيرة المعنى من التصرفات اللاقانونية للهيئة الحاكمة في إيران مع المحتجين والمعارضين.

وأما أصل الموضوع: منذ ثلاثة أسابيع وعلى أثر إنذار شفهي، بادر مخفر الشرطة في إيرانشهر إلى وضع نقطة مراقبة أمام الدار التي نسكنها. وهذا الحارس العاكف على المراقبة في جميع ساعات الليل والنهار، مكلّف بأن يستجوب أولًا كل المسافرين والزائرين الذين يقصدون هذه المدينة من المدن (الأخرى) ومن كل أنحاء إيران للقاء بنا ويطلب منهم الهوية الشخصية ويسجّل بياناتهم، وفي الأغلب يأخذهم أو يدلّهم على دائرة الشرطة. وبلغنا في بعض الموارد أيضًا بأن الحارس المذكور قد حال دون دخول بعض الزائرين عبر التفوّه بكلمات تهديدية. جدير بالذكر أن الممارسات المشار إليها تختلف بحسب اختلاف الأخلاق والأحاسيس الشخصية للحراس الذين يتبدّلون كل أربع ساعات ويتولّون المهمة المذكورة بالتسلسل، وأحيانًا ما تقترن هذه الممارسات بعنف غير لائق. نحن قمنا مرة في ١٩٧٨/٥/٢٧ وأخرى وإتمامًا للحجة في ١٩٧٨/٦/١ بالاعتراض كتبيًا على هذا العمل المنافي للمنطق والمخالف للدستور والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وقدّمناه لمركز الشرطة في المنطقة، وحيث لم نلمس أيّ تغيير في عمل المسؤولين على هذا المركز، ارتأينا أن نضع تلك اللجنة الموقّرة في الصورة.

(الرسالة هذه) مرفقة بنسخة من الرسالة الاحتجاجية الثانية

والسلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين»

في أواسط الشهر السادس، جاء عالم مدينة رفسنجان الفذ، الحاج الشيخ عباس بورمحمدي، للقاء بالسيد الخامنئي، وكانت تربط بينهما صلة وطيدة، فكلاهما من رجال الدين المجاهدين الثوريين. وقد صنع الشيخ عباس من رفسنجان مدينة قلما يوجد لها مثيل بين المدن الإيرانية الأخرى في النضال والنزعة الثورية. ففي عقد الستينات على سبيل المثال حيث كان إطلاق اسم الإمام الخميني جريمة، وضع الشيخ اسم أكبر مسجد في رفسنجان ـ وكان هو إمام جماعته ـ مسجد الإمام الخميني!

هذا وقد ذهب السيد الخامنئي قبل النفي إلى مدينة رفسنجان لعدة مرات تلبية لدعوة الشيخ عباس ولإلقاء المحاضرات على أهاليها. وبما أن الأجواء الثورية السائدة في رفسنجان كانت تختلف عن المدن الأخرى، كانت خطابات السيد بدورها تتخذ في هذه المدينة طابعًا آخر!

«يوم كان اسم الإمام (الخميني) العظيم وذكره وفتواه في جميع أرجاء البلد محظورًا وجرمًا بما فرضه الجهاز البوليسي الطاغوتي الخانق، عمد أهالي رفسنجان في هذه المدينة الباسلة والمتحررة إلى تسمية مسجدٍ باسم الإمام الجليل، وكانوا يتحدثون باسم هذا الرجل العظيم ويشيعون نهجه. وخلال رحلاتي المتعددة إلى رفسنجان، كان يتأتى لي في هذه المدينة بيان مسائل بالعلن وعلى المنابر، دون أن تتوافر هذه الإمكانية لنا في أية نقطة أخرى من البلد. حيث كان الناس هنا يتسمون بالوعي واليقظة، وكانوا على أهبة الاستعداد والمرابطة.» ٢٠٠٥/٥/٨

جاء الشيخ عباس لزيارة السيد الخامنئي في الوقت الذي كان هو الآخر منفيًا كذلك في مدينة سراوان! وقد اعتُقل أيضًا كالسيد الخامنئي في سنة ١٩٧٧ وحُكم عليه بالنفي. لقد أمضى الحاج الشيخ عباس الأشهر الأولى من النفي في مدينة زابل، ولكن بسبب

نشاطاته الثورية في هذه المدينة، اضطر النظام إلى تغيير منفاه من زابل إلى سراوان. لم تتوافر للشيخ في زابل إمكانية اللقاء بالسيد الخامنئي، وذلك للمسافة الطويلة بين المدينتين التي تبلغ تقريبًا سبع إلى ثمان ساعات. ولكن ما إن انتقل إلى سراوان في أوائل الشهر السادس ـ سروان التي تبعد عن إيرانشهر أربع ساعات ـ تزيّا بزي البلوش وأسرع مبادرًا للقاء بالسيد الخامنئي.[١]

علي أصغر بورمحمدي: «خلال مدة إقامة سماحة السيد في إيرانشهر، تشرّفت بخدمته لعدة مرات. كما أنّ والدي في هذه الأيام أيضًا، جاء لزيارة سماحة السيد مرتين. في المرة الأولى كان قد نُفي إلى سراوان، وكنّا نحن أيضًا برفقته. وبما أنه كان منفيًا، لم يكن يحق له الخروج من المدينة، ولكنه وفي سبيل زيارة السيد، ارتدى الثوب البلوشي وخرج من المدينة بصفته أحد أبناء تلك المنطقة. وحين وصلنا إلى دار السيد في إيرانشهر، لم يعرف السيد والدي بادئ الأمر، ولكنه قال بعد لحظات: أنت يا شيخ عباس؟!

ماعدا إقامة الصلاة في المسجد وإلقاء المحاضرات في إيرانشهر، كانت للسيد جلسات في داره أيضًا. ففي أيام مكوثنا بمعية الوالد في إيرانشهر، أتذكّر أنه قال في إحدى تلك الجلسات الخاصة وأمام جمع من الثوريين: إن مما لا شك ولا ريب فيه أنّ جهادنا سيبلغ النصر وأن النظام البهلوي سيسقط. ولكن علينا من الآن أن نفكّر فيما بعد الانتصار.. علينا من الآن أن نخطط ونعدّ الكوادر لما بعد انتصار الثورة الإسلامية.»[٢]

---

١. فيما يخص العلاقة الوثيقة بين الحاج الشيخ عباس بورمحمدي وبين سماحة الإمام القائد، راجع كتاب «مؤمن انقلابي (المؤمن الثوري) ـ الشيخ عباس بورمحمدي» من مجموعة صهبا.

٢. الأقوال المنقولة عن السيد علي أصغر بورمحمدي في هذا الكتاب، تعود إلى مقابلات أجريناها معه في أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦.

٤: الصيف ١٩٧٨

الحرّ.. الحرّ.. الحرّ..!

إيرانشهر، تسعة أشهر من السنة حارّة، وفي الصيف لاهبة حارقة!

«في وسط الصيف، كانت تبلغ درجة الحرارة في الظل ٥٤ درجة وتحت أشعة الشمس ٦٣ درجة.» ٢٠٠٠/١١/١٨

«كان الجوّ لاهبًا جدًا، والأرض حارقة لدرجة لم يعد بمقدور المرء الانتفاع منها. كالنحاس المنصهر حقًا! ومهما يضع الإنسان من بساط وفراش أو يرشّ الماء، ليس ثمة فائدة، حتى تمضي من الليل خمس إلى ست ساعات فتبرد الأرض شيئًا فشيئًا وتكون صالحة للانتفاع.» ١٩٩٨/٥/٢٠

راشد يزدي: «كان الماء حقًا مقاربًا للغليان. كنا نملأ الإبريق بالماء ونضعه في غرفة مظلّلة ليكون بعد عدة ساعات صالحًا للاستعمال! كنا نواجه مثل هذه الحرارة! وكانت المِهَفَّة لا تفارقنا في كل مكان حتى في بيت الخلاء! في مثل هذه الظروف كان السيد دؤوبًا في عمله، هذا في الوقت الذي كان ضعيفًا للغاية، وطعامه كان قليلًا كذلك. كان من شدّة ضعفه إذا خلد إلى

النوم، أقول (في نفسي) نومٌ لا يقظة بعده! وحرارة الجوّ أيضًا كانت تزيد من حالة ضعفه، ولكنه كان يقاوم ويتحمّل هذه الحرارة اللاهبة.»

كما ولم يكن أثر من الكهرباء أيضًا. إذ كان الكهرباء مختصًا بطبقة الخوانين والأشراف! وفي الجملة كان الخوانين في إيرانشهر يعيشون برغدٍ ورفاهيةٍ عاليةٍ مهما بلغت الظروف!

«لقد ذاق الناس الأمرّين من الخان. فقد شاهدتُ بنفسي في بلوشستان حالة لا يمكن وصفها حقًا. أي إذا قام أحدٌ بوصفها لا تصدّقونه. وفي هذا دلالة على البون الشاسع بينها وبين الأوضاع الراهنة.

فقد كان هناك في إيرانشهر جماعة تعيش في منتهى الراحة والنعمة من جميع الجهات، كما تعيش طبقة الأعيان في طهران! ففي فنّوج وإسبَكِّة[1] وفي تلك المناطق النائية التي لا يطأها الناس العاديون، كانت قد اصطبغت حياة هؤلاء بصبغة أرستقراطية! بينما كان في نفس تلك المدن أناسٌ لم تتوافر لهم أوليات الحياة، وكان الفقر بمعناه المرّ الأسود، هو الطاغي في تلك المناطق.. لا طريق، ولا ماء، ولا كهرباء، ولا وسيلة للتبريد في الصيف.. كان الناس هناك يعيشون في مثل هذا الحرمان.

هذا وقد عرف الناس طريقة العيش. فمن كان يريد الحياة، عليه أن يجد منفذًا للوصول إلى الخان. بل وحتى رجل الدين إذا أراد الحياة، عليه أن يرتبط بالخان، ولذا نجد الكثير من رجال الدين هناك كانت تربطهم صلة بالخوانين وكانوا يأنسون بهم، و(بالتالي) كانت تمرّ حياتهم بطريقة (أو بأخرى). هذه هي الحالة التي كانت سائدة في بلوشستان، والناس هناك كانوا يعانون بمثل هذه المعاناة.» ١٩٩١/١١/١٨

---

١. مدينتان في جنوب غربي محافظة سيستان وبلوشستان.

علمًا بأن التيار الكهربائي لم يكن مقطوعًا على الدوام، بل كان يتصل أحيانًا، وكان الناس يتمتّعون به. بيد أن هذا كان منوطًا بالأوقات التي يستهلك رجال الحكومة والشرطة فيها حجمًا أقل من الكهرباء، وهذا ما لم يكن يتحقق في الصيف!

«يوم كنّا في إيرانشهر، لم تكن هذه المدينة تتمتع بتيار كهربائي جيّد، وإنما كان الكهرباء فيها مذبذب. فإن ارتفعت نسبة استهلاك الكهرباء قليلًا ـ وارتفاع النسبة يعود إلى المبرّدات الضخمة التي كان يستخدمها المختار ورئيس الدرك ورجال الحكومة آنذاك ـ ينقطع التيار الكهربائي وتحلّ المصيبة حقًا! أما الماء في إيرانشهر، فكان من حيث الطعم والعذوبة والخِفّة والجودة يضاهي ماء طهران، غير أن الناس كانوا يعانون من شحة الإمكانيات في استعمال الماء. فأنابيب الماء كانت قليلة، والناس كانوا يأخذون الماء من الجدول. لا الوضع الصحي كان مناسبًا، ولا الناس كانت تتوافر لهم إمكانية العيش، والكهرباء هذه أوضاعه. لقد كان الناس في الأكواخ يعيشون في حالة يُرثى لها حقًا.» ١٩٩٥/٥/٢٩

كانت ليالي الصيف القصيرة في إيرانشهر صافية وبعيدة عن الرطوبة، وعلى خلاف نهارها الطويل، خلابة وممتعة. والملفت أن المدينة هذه رغم إمكانية انتشار مرض الملاريا فيها، إلا أن لياليها خالية من البعوض تمامًا، وهذا ما يزيد من حلاوتها وطراوتها.

«سلّمونا في إيرانشهر أقراصًا مضادّة للملاريا، وبما أنها كانت تعود إلى الجهاز البهلوي، كنا ننظر إليها بادئ الأمر نظرة متشائمة جدًا، وأعرضنا عن تناولها، قائلين ما هذا الذي سلّمونا إياه؟

كنا نعتبر كل شيء يعود إليهم سيّئًا، لأنهم كانوا رجالًا في غاية السوء حقًا. بل الأساس فيهم هو السوء. وما لم يثبت شيء أنه جيد، كنا نرفضه. إذا

صلح المركز، كان الأساس فيه هو الصلاح، إلا إذا ثبت أنه سيئ. وإن ساء المركز، كان الأساس فيه هو السوء، إلا إذا ثبت صلاحه. فتبيّن فيما بعد أن تلك الأقراص جيّدة، على حدّ قولهم، وبدأنا بتناولها.

كما وكانوا يقومون برشّ السموم عبر المروحيات، ما أدى إلى أن يكون الجوّ في ليالي إيرانشهر، على خلاف نهارها السيء واللاهب جدًا، نقيًا لطيفًا يابسًا لا رطوبة فيه، وخاليًا من البعوض أيضًا، وهذا ما كان يجبر حرارة النهار.» ١٩٩٨/٥/٢٠

مناخ إيرانشهر كان على النقيض تمامًا من مناخ مشهد. وقد نُفي السيد علي إلى هذه المنطقة ليواجه من الشدائد ما يؤدي به إلى أن تتعدّى لديه حدود الصبر ويكفّ عن النضال. بيد أن هذه المسائل لم تكن لتتسبب في أن يطفح به الكيل، والقضايا التي كانت تبعث على أذى هذا العالم المشهدي المجاهد في المنفى هي من نمط آخر.

«ذهبتُ إلى إيرانشهر وكانت درجة حرارتها تبلغ ٥٥ درجة (مئوية). علمًا بأني من أهالي مشهد التي تتمتع بطقس جميل. ولكننا كنا نطيق هذه المسألة، ومكثنا هناك رغم المشاق التي كنا نتحمّلها، ولم يكن هذا متوقّعًا من الجميع، ولكن كان المتوقّع عدم مواكبة الظالم. فإن بعض العلماء ـ شيعة وسنة ـ لم يكونوا متنبّهين لهذه القضية. ففي نفس إيرانشهر كان هنالك من علماء الشيعة وعلماء السنة أيضًا من لم يعارض، بل وكانوا يدعمون أحيانًا! وهذا ناتج من عدم الالتفات إلى الأوضاع. ولكن بعد أن بدأنا بالتحدث إلى الناس، أخذوا يلتفتون إلى الحقيقة. حيث كنتُ أُلقي المحاضرات هناك، فكانت الحقائق التي يمرّ البلد بها تثير دهشة الناس نساءً ورجالًا وصغارًا وكبارًا.» ١٩٨٥/٩/٧

ومن الأمور الأخرى التي كانت تلحق الأذى بالسيد الخامنئي في إيرانشهر، هي أوضاع الزارعة في المنطقة وعدم اهتمام المسؤولين بالزراعة والمزارعين.

«عندما حلّ الربيع في إيرانشهر، ظهرت هذه العناقيد ونَمَت، فقلنا سنصدّر هذا العام كمًا كبيرًا من التمر إلى مشهد وإلى قم وإلى الأصدقاء، ولكن رأينا عمليًا خلاف ذلك! حيث راح يسقط بعضه، ويتلف بعضه، ويتضرر بعضه الآخر ولا يمكن تناوله أساسًا.» ١٩٨٤/٦/٢٣

«هناك منطقة بالقرب من إيرانشهر تسمى ريكه‌بود. لا أدري هل أنتم أهالي إيرانشهر تعلمون أين تقع هذه المنطقة؟ إنها منطقة عامرة جدًا. ففي تلك الصحراء القاحلة اللاهبة، نجد ريكه‌بود منطقة خضراء نضرة خلابة. ذات مرة قلتُ بأن علينا أن نصنع من جميع (مناطق) بلوشستان ريكه‌بود، وهذا ما يمكن القيام به، لأنها غزيرة المياه وصالحة للزراعة.» ١٩٨٥/٩/٧

«لقد جادت الطبيعة لمنطقة بلوشستان. فلو حفرتَ سبعة أمتار في بلوشستان لوصلتَ إلى الماء. حيث يبعد الماء عن تلك الأرض الجرداء والخالية من أي زرع وماء سبعة أمتار. ولو زرعت في بلوشستان، لأمكنك الحصاد مرتين في السنة حصادًا تامًا. ولكنها تمرّ بمثل هذه الأوضاع. فمن الذي فعل ذلك يا ترى؟ فعله أولئك المجرمون الذين كانوا يريدون تحقيق مآربهم. وكانوا يقدّمون الرُشى للخوانين والمتعسفين والمتغطرسين المحليين، وكانوا يسلبون وينهبون ما يحلو لهم، ولا يعبأون بالناس حتى لو ماتوا جوعًا.» ١٩٨٠/٣/٣١

الجفاء الذي مارسه النظام البهلوي بحق أهالي بلوشستان، كان يزرع الأسى في قلب السيد الخامنئي. وكلما توطّدت العلاقة بينه وبين الناس والشباب وتعرّف عليهم أكثر، آلمته ظلامات الحكومة للبلوش أكثر. فالنظام الطاغوتي كما أنه لم يولِ أي اهتمام بالأراضي الخصبة في المنطقة، كان لا يعير أية أهمية لأهاليها المستعدين والموهوبين أيضًا.

«حقًا لو ادّعى أحدٌ بأن النظام البائد قد جفا منطقة بلوشستان وفرض الضغوط عليها ماديًا أكثر من أي نقطة أخرى في البلد، ما كان كلامه اعتباطًا. دونما فارقٍ بين مناطقها، سواء هذه المناطق المركزية والشمالية والغربية، أو المناطق الجنوبية والشرقية التي تعاني من حرمانٍ أكثر. فقد شهدت بلوشستان بكل أرجائها أقل ما يمكن من العمل في الفترة الغابرة، على الرغم مما تتسم به هذه المحافظة من مواهب طبيعية. فقد حالفني التوفيق أن ألتقي الناس والعوائل والشباب خلال مدة إقامتي في إيرانشهر، وأجالسهم وأتحدث إليهم عن قرب. وكنتُ أحمل هذه الصورة دومًا وهي أن تلك المنطقة من حيث المواهب في الطاقات البشرية، تعتبر منطقة خصبة جدًا، كالمواهب الطبيعية. فكما أن أرض بلوشستان، تعتبر أرضًا خصبة صالحة للزراعة، ورغم ذلك لم يتم أي عمل عليها في المرحلة السالفة، كذلك أهالي بلوشستان يتسمون بالموهبة الكبيرة والاستعداد والجدارة للنمو المادي والمعنوي حقًا.

كنتُ أنظر إلى الشباب البلوش وأتحدث إليهم، فوجدتهم شبابًا يتّصفون بالذكاء واليقظة والموهبة، وعلى الرغم من أن تلك المنطقة كانت بعيدة كل البعد عن المعارف السياسية والتيارات السياسية يومذاك، كانوا في الوقت ذاته يتمتّعون بحالات من الوعي التي كانت قيّمة للغاية.» ١٩٨٥/١٢/٤

«سنة مكوثنا في إيرانشهر، كنّا نطّلع على جميع الأخبار والمعلومات والأرقام، وكنا على صلة بالعلماء وبعض التنويريين وأبناء المنطقة، ونعلم ما الذي يجري فيها، وما هي المساحة التي فسحوا المجال للناس فيها كي يتّكئوا على مواهبهم. لقد كانت الأوضاع آنذاك في منتهى السوء حقًا. ففي جميع

أرجاء محافظةٍ بهذه السعة ـ حيث كانت نفوسها يومذاك زهاء ثمانمئة ألف نسمة ـ استطاع ثلاثة من أهاليها ـ على ما أظنّ ـ أن يحصلوا على شهادة بكلوريوس، واستطاع عشرات منهم أن يحصلوا على شهادة دبلوم! كانوا يعيشون حالة سيئة مأساوية.» ٢٠٠٠/١١/٦

«لا يمكن تصديقها أبدًا، ولكنها حقيقة. بيد أنّ الرؤساء ورجال الدين والمثقفين البلوش كانوا يصدّقون بها ويقولون: أنتم على اطلاعٍ بهذه الأرقام أفضل منا.» ١٩٩٤/٨/٣٠

منذ الأيام الأولى من النفي، واجه السيد الخامنئي تيارًا مهمّته العزف على وتر النعرات الطائفية في المنطقة. حيث كانوا يتقاضون الأموال ويمارسون ممارسات تؤدي إلى التنافر بين الشيعة والسنة.

«كنا نعرف أشخاصًا يتقاضون الأموال من الأجهزة، في سبيل جرح الناس بالنيل من عقائدهم الشيعية وإثارة الحساسية فيهم تجاه أبناء السنة بنحو من الأنحاء. ومن الجانب الآخر كان البعض يبادر إلى كتابة رسالة في الأوساط السنية كبلوشستان، وينشر أمورًا تدفع المجتمع الحنفي المتعصّب الملتزم بدينه إلى النفرة من الشيعة. وكانت تُنفق الأموال للقيام بهذه الممارسات. علمًا بأنهم كانوا يحولون دون التناحر بينهم بالعصيّ والهراوات والأعواد والبنادق ولا يسمحون لهم بذلك، ولكنهم كانوا يؤجّجون نيران الحقد والخصومة فيما بينهم.» ١٩٨٥/٩/١٢

في سبيل الوقوف أمام دسائس الذين يبثّون بذور التفرقة، انتهج السيد بادئ الأمر نهج الصداقة مع علماء السنة في المحافظة، وأرسل إلى المولوية في المنطقة رسالة وحدوية.

«مكثتُ فترة من الزمن في بلوشستان، وأقمتُ علاقات ودّية مع علماء بلوشستان وعلماء إيرانشهر وعلماء سراوان. وكنتُ أقول لهم: تعالوا ننسى تلك الفترة الغابرة التي كان علماء الفريقين فيها يحاولون أداء واجباتهم ـ بحسب زعمهم ـ من خلال سبّ ولعن الآخر ورمي وطرد الآخر.» ١٩٨٢/٨/٢٩

«وجّهتُ رسالة لبعض أهل العلم الموقّرين من إخواننا السنة، يوم كنتُ في إيرانشهر، وقلتُ لهم: لو كنّا نؤمن حقًا بضرورة أن يبادر الإخوة من الشيعة والسنة إلى توحيد كلمتهم والتقارب في آرائهم، فالسبيل إلى ذلك أن ننأى بأنفسنا عن ماضينا فيما يرتبط بالعصبية الشيعية والسنية، فارفعوا المقصّ وقصّوا (هذا الماضي)، وإلا لو أعرضتم عن هذا العمل، فإن ماضينا مشحون بالاختلافات والخصومات والمعارضات المدوّنة والعلمية والشفهية والحديثية والتفسيرية، والكتب ملأى بقدح بعضنا الآخر والإشكال على بعضنا الآخر.» ١٩٨٣/١٢/٢٨

«قلتُ لهم: إن كنا صادقين فيما نقول، تعالوا نقطع أنفسنا وأنفسكم عن الفترات الغابرة المملّة، وألّا نكرر اسم الماضي كل هذا التكرار.» ١٩٨٠/١٢/٢٣

ثم تجاوز السيد حدّ المراسلة والمكاتبة، وبدأ يزور المولوية، وهم بدورهم يبادلونه الزيارة. الأمر الذي أخذت تتجلى آثاره بعد انتصار الثورة الإسلامية في كلمات علماء السنة في تلك المنطقة.

«كنّا أصدقاء مع بعض في زاهدان وإيرانشهر وسراوان، وكنتُ على معرفة بهم جميعًا ـ المولوية والشخصيات المعروفة ـ في خاش وجابهار، وهم أيضًا كانوا يعرفونني عن كثب. فقد جلسنا مع بعض وتحادثنا وشربنا الشاي. واتّفق كثيرًا أن يُعلن أولئك الإخوة، في المحاضرات واللقاءات والمنابر التي

يعتلوها بين الناس، إخلاصهم تجاه الجمهورية الإسلامية والثورة الإسلامية جهارًا وبصوت عالٍ.» ١٩٨٣/٨/١٩

والخطوة الأخرى التي قطعها السيد الخامنئي، تطبيق مقترحٍ وحدوّيٍّ بكرٍ في سبيل إزالة الاختلافات؛ مقترح تسمية أسبوعٍ باسم «أسبوع الوحدة»، وإقامة الاحتفالات بمناسبة مولد النبي الأكرم (ص).

«أسبوع الوحدة المتداول حاليًا، أطلقناه للمرة الأولى قبل الثورة في إيرانشهر. عندما حلّت أيام ربيع الأول، قصدتُ مسجد النور، وهو مسجد صديقي القديم الشيخ مولوي قمرالدين وقلتُ له: روايتكم في اليوم الثاني عشر وروايتنا في اليوم السابع عشر، والمسافة فيما بينهما قصيرة.. تعالوا نقيم الاحتفالات بدءًا من اليوم الثاني عشر وانتهاءًا باليوم السابع عشر، وسأبادر بنفسي، كبادرة خير، إلى إقامة الاحتفال يوم الثاني عشر في مسجد آل الرسول، وهذا ما أنجزته بالفعل.» ٢٠٠٠/١١/٦

إقامة الاحتفال المشترك في عيد المبعث، هي الأخرى من المبادرات التي أُنجزت في سبيل رصّ الصفوف بين الشيعة والسنة في المنطقة.

غروب اليوم الحادي عشر من الصيف، كان يصادف ليلة السابع والعشرين من رجب؛ ليلة مبعث النبي الأكرم (ص). وكان من المقرر أن يقام احتفال كبير في مسجد آل الرسول، والناس برمتهم كانوا يتدفّقون صوب المسجد.

اقترن اليوم هذا بطيب الجوّ وبرودته ما أثار دهشة الجميع، وهبوب نسمة لطيفة منحت الناس نشاطًا مضاعفًا. وبدأت قطرات المطر تنزل رويدًا رويدًا، ثم أخذت شيئًا فشيئًا تزداد سرعة وشدة.

وقف السيد الخامنئي يؤم المصلين لصلاة المغرب، وكان المسجد يعجّ بالناس، حتى امتلأت أروقة المسجد المحيطة به والصحن الخارجي رغم هطول الأمطار. وفي وسط الصلاة تعالت أصواتٌ مدوّية غريبة بلغت مسامع المصلّين، دون أن يكترث بها أحد أو أن يتوقّع أحد بأن الأصوات هذه قد تشير إلى دويّ سيلٍ جارف!

سيل؟! في الصيف؟! في إيرانشهر؟! أمرٌ لا يُصدَّق، ولكن بعد الفراغ من الصلاة، شاهد الجميع بأمّ أعينهم ذلك الحدث الذي لا يُصدَّق! حيث تدفّقت السيول الجارفة وضربت بالمدينة وغمرتها كلمح البصر، وهدمت كل شيء اعترض طريقها، ودمّرت بيوت الناس وحياتهم!

والسيد الخامنئي الذي كان صاحب تجربة في هذه الأوضاع، وكان قد سبقت له إدارة مثل هذه الأزمات، سرعان ما أمسك بزمام الأمور.

الخطوة الأولى تشكيل لجنة إغاثة في مسجد آل الرسول.

والخطوة الثانية طلب المعونة من الأصدقاء في زاهدان ومشهد ويزد وكرمان. وكان آية الله الشيخ صدوقي قد بادر إلى تلبية نداء السيد، وفاقَ التوقّعات في إغاثة أهالي إيرانشهر المظلومين.

«حين كنتُ في إيرانشهر، ضرب المدينة سيلٌ عارمٌ دمّر ثمانين بالمائة منها.» ١٩٨٦/٤/٣٠

«هُدمت أكثر البيوت وتلفت مزارع النخيل. ونحن بدورنا، مع المنفيين المتواجدين، كنا نمارس عملية الإغاثة لمدة من الزمن.» ٢٠١٢/٨/١٦

«اتّصلتُ منذ اليوم الأول بأماكن مختلفة، بما فيها زاهدان ومشهد وكرمان ويزد. وقمنا، مع جمعٍ من الأصدقاء، بإيصال المساعدات إلى الناس زهاء خمسين يومًا.

بيد أن البركات التي وصلت إلى أهالي إيرانشهر من قِبَل (مدينة) يزد وشخص آية الله المرحوم الشهيد صدوقي لم تصل من أيّ مكان آخر، أي إنها كانت تأتي دون انقطاع. إذ بمجرّد أن أخبرتُ سماحته، انطلقت سلسلة خدماته المباركة اللامتناهية بسرعة، رغم أن المسافة كانت طويلة بين (مدينتي) يزد وإيرانشهر.» ٢٠٠٢/٦/١٠

«وصلت أولى المساعدات وأكثرها وأسرعها من قِبَل الشيخ صدوقي، واستمرّ حتى النهاية. أي إن فترة الإغاثة التي استغرقت أربعين إلى خمسين يومًا، لو طالت على سبيل المثال ستة أشهر وأردنا خلالها إغاثة الناس هناك، لكان الشيخ صدوقي على الدوام يمدّنا بالمساعدات ويُرسل إلينا الأموال والأدوات. فقد كان إنسانًا مذهلًا في ممارسة النشاط وأعمال الخير.» ١٩٨٢/٧/٤

منذ اليوم الأول، كُلِّفت مجموعة بأن يقوم كل واحد منهم بزيارة البيوت مع أحد المنفيين، وتزويدهم بالحاجيات الضرورية.

علي أصغر بورمحمدي: «الدقيق هو الذي أُرسل إلينا من يزد ورفسنجان، وهو أول مساعدة قدّمناها للناس.

لقد كان سماحة السيد بسيارته (بيجو ٤٠٤) يتفقّد المنكوبين بالسيل. وأنا الوحيد الذي كنتُ أحمل رخصة قيادة بين المجموعة التي كانت ترافقه. ولهذا السبب كنتُ أقود السيارة في المواقع التي لم يبغِ السيد قيادتها أو لم يكن موجودًا. كما قال سماحته لا يحق لأحد غيري قيادة السيارة.

في اليوم الأول، تفقّدنا البيوت التي ضربها السيل. وكان بيننا دليل محلي. فكنّا في الأكواخ نسأل باللغة البلوشية كم عدد أهالي هذه الدار؟ وبحسب نسبة الأشخاص نعطيهم بطاقة تموينية كان السيد بنفسه يوقّع ويكتب التأريخ عليها.

وفي اليوم الأول، مارس السيد شخصيًا هذه العملية. وتقرّر أن أواصل عمله أنا من اليوم الثاني. فكنّا بمعية الشيخ راشد يزدي أو السيد رحيمي خرم‌آبادي ننطلق منذ طلوع الشمس تحديدًا، ونتابع العمل حتى الساعة الحادية عشرة مساءًا تقريبًا. وكنا نذهب يوميًا مع أحد رجال الدين لتقديم المساعدات، في سبيل أن نقول بأن المساعدات هذه هي من قِبَل رجال الدين.

وأتذكر بأن السيد خلال حديثه مع أهل السنة من البلوش في أكواخهم، كان يؤكد على أننا من رجال الدين المجاهدين ومن أتباع آية الله الخميني.»

حذّر رجال الشرطة السيد الخامنئي قائلين: «لا يحق لكم ولأصدقائكم تقسيم المؤن بين الأهالي. يجب أن يتم توزيع المساعدات عن طريق الحكومة!» ولكن حين شاهدوا بأنّ السيد أعار لهذه الكلمات والتحذيرات أذنًا صمّاء، تراجعوا ولم يتدخّلوا في عمله. كتب رضواني، رئيس السافاك في سيستان وبلوشستان، ضمن تقريرٍ له إلى مديرية الاستخبارات الثالثة، في السبب عن تراجع رجال الشرطة:

«قد تواجه مبادرة مركز الشرطة في المنطقة ردة فعل الوعّاظ المنفيين وعلى رأسهم السيد علي الحسيني الخامنئي، من قبيل إرسال البرقية إلى مختلف الآيات والمراجع.»

وكتب في تقريرٍ آخرٍ له، بعثه بعد بضعة أيام إلى طهران:

«رجال الدين المنفيون المقيمون في إيرانشهر بقيادة السيد علي الحسيني الخامنئي، يتصلون بأهالي مدنٍ كيزد وزاهدان، ويعدّون الدقيق والأرز والخبز وغيرها، ويمنحون بطاقة تموينية مكتوب عليها: «مسجد آل الرسول ـ لجنة إغاثة علماء الإسلام ـ السيد علي الخامنئي»، ويوزّعون المواد المذكورة بين المنكوبين بالسيل.»

عبر وصول شاحنات المساعدات من مختلف المدن، اتّخذ عمل لجنة الإغاثة في مسجد آل الرسول طابعًا أكثر جدّية. وأخذ الناس يتوافدون على المسجد زرافات زرافات، ويأخذون من لجنة الإغاثة ما يحتاجون إليه.

بعد يومين أو ثلاثة أيام من السيل، دخل إيرانشهر أبوالقاسم صدّيقي، صديق السيد من أهالي بم.

أبوالقاسم صدّيقي: «ذلك السيل العارم الذي ضرب إيرانشهر، غمر ثلثي المدينة تقريبًا وكبّدها خسائر فادحة.. المدينة التي كان يبلغ عدد سكانها عشرات الآلاف. بدوره أرسل السيد الخامنئي برقية إلى علماء مشهد ويزد وطهران شارحًا لهم ما حدث. فتدفّقت بعدها مساعدات الناس من يزد ومشهد وطهران إلى إيرانشهر. ومسجد آل الرسول الذي كان كبيرًا وجميلًا للغاية أضحى مقرًا للجنة الإغاثة، ومكانًا لإنزال كل ما يأتي من البضائع والسلع، كما كان السيد الخامنئي مستقرًا هناك. يوميًا كانت تأتي ثمانية إلى عشرة شاحنات كبيرة وصغيرة مليئة بما يحتاج الناس إليه من أدوات كالبطانيات والأرز والزيت و.... هذا وقد قام طلاب الجامعات الذين كانوا يفدون لزيارة السيد وغيرهم بتعليب هذه المساعدات وتوزيعها بين المنكوبين بالسيل.

وأنا بدوري شحنتُ سيارةً بالدقيق وعُلب الكومبوت وأمثال ذلك وأفرغتها هناك وبقيتُ خمسة إلى ستة أيام للمساعدة.

ثم أصدر السيد بعد ذلك بطاقات تموينية ذات خمسة أشخاص وستة أشخاص وسبعة أشخاص بتعداد أفراد العوائل، وأعطاها بعد التوقيع عليها لهم، فكانوا من خلالها يستلمون المؤن التي يحتاجون إليها يوميًا. والحكومة

بدورها لم تفعل أي شيء لإيرانشهر، لأنها كانت مشغولة بالاضطرابات، رغم أنها جاءت وشاهدت الأوضاع من بعيد. وفي هذه الفترة لم تكن إلا المدينة والسيد. والناس كانوا لا يعيرون أية أهمية لا بالمحافظ ولا بالمختار ولا بأي شخص آخر، وإنما كان الكلام كلام السيد. وهذا ما أثار ذُعر المسؤولين هناك كثيرًا، لأنهم شاهدوا بأن ذلك الرجل المنفي الذي لم يكن يجرأ أحد من الناس العاديين قبل شهر لأن يدلّوا أحدًا على داره، أصبح اليوم هو الآمر والناهي في البلد.»

أما النظام البهلوي فقد أهمل قضية السيل الذي ضرب إيرانشهر كلّيًا! وحسبه وكأنه نسمة خفيفة هبّت وأمطارًا طفيفة هطلت. غاية الأمر أنه أرسل عدة مسؤولين من مستويات متدنية إلى زاهدان ليستفسروا من أهاليها عن أوضاع إيرانشهر، وانتهى! لقد كان واضحًا لدى السيد الخامنئي، حتى قبل قضية السيل، بأن المسؤولين الحكوميين لم يقصدوا ولن يقصدوا إيرانشهر! لأنها لم تعد مكانًا مناسبًا يسرح ويمرح فيه رجال الحكومة.

«حينما كنتُ قبل الثورة منفيًا في إيرانشهر، كان يقول أهاليها: لحد هذه اللحظة لم يسافر إلى هذه المدينة حتى معاون محافظ! لم تكن إيرانشهر قرية وإنما كانت مدينة، ولكنها تعرّضت إلى هذا المستوى من الإهمال آنذاك. إنهم كانوا يسافرون إلى المناطق التي بوسعها أن تملأ جيوبهم وأن تحقق راحتهم ومتعتهم، ولا شأن لهم بإيرانشهر وخاش وجابهار.» ٢٠٠٣/٢/٢٥

«كانوا يقصدون بيرجند لركوب الجِمال وشرب الخمر المعهود فيها منذ عشرات السنين، حتى أنهم شيّدوا فيها مطارًا بغية الاستمتاع. ولكنهم لا يقصدون بلوشستان لأنها لا تتوافر فيها وسيلة للدعارة والمجون. بل وأي

نقطة محرومة في البلد ـ سواء بلوشستان أو غيرها ـ كانت مهملة. بينما كانت مازندران جيدة، من أجل أن يسافروا إليها ويستمتعوا فيها.. هكذا كان النظام البائد. وأقول لكم شيئًا ملفتًا: يوجد في مازندران خمسة مطارات متبقية منذ النظام السابق.» ٢٠٠٣/٢/٢٤

والملفت أن الأمور بقيت على ما كانت عليه حتى بعد السيل، ولم يُشاهَد من حضور المسؤولين في إيرانشهر أي أثر!

«لا أنسى بأن إيرانشهر قد تعرّضت للسيل قبل الثورة، وأنا كنتُ حينها في هذه المدينة. ولكن لم يأتِ من مسؤولي البلاد يومذاك إلا نفر منهم وذلك إلى زاهدان لا إلى إيرانشهر، وكانوا مسؤولين من الدرجة الثالثة والرابعة! ثمانون بالمئة من بيوت إيرانشهر تهدّمت، والناس تشرّدوا، ووسائلهم تلفت، دون أن يكترث بهم أي أحد.» ١٩٨٤/٢/١٠

«تفقّدتُ بنفسي مناطق المدينة برمتها ورأيتها (عن كثب). وقمنا بتقديم المساعدة والإغاثة لمدة خمسين يومًا، ولكن لم يأتِ حتى رجل واحد بارز موجَّه من زاهدان ـ فضلًا عن العاصمة ـ إلى إيرانشهر مستفسرًا عن أوضاعها! (نعم) أرسلوا بالظاهر هدايا من قِبَل «الأسد والشمس»[1]، ولكنها أولًا إن كانت تصل بيد الناس، فهي لا تشكل عُشر ما يحتاجون إليه وعُشر ما وفّرناه نحن المنفيون لهم، وثانيًا هذا المقدار أيضًا لم يكن ليصل بيد الناس، إذ كانوا يأخذون من هذه الهدايا الحقيرة ما يحتاجون إليه لمأكلهم!» ٢٠٠٣/٢/٢٥

كانت تصل المساعدات، التي طلبها السيد من مختلف الأماكن، يوميًا إلى إيرانشهر. وأخذت تزداد شيئًا فشيئًا حتى آل المطاف إلى تخزينها، وبعد فترة

١. «الأسد والشمس» هو شعار إيران قبل الثورة، و«الأسد والشمس الأحمرين» شعارٌ للجمعية التي تسمى اليوم جمعية الهلال الأحمر.

وجيزة توسّعت دائرة مساعدات لجنة الإغاثة حتى شملت فقراء المدينة الذين لم يتضرروا بالسيل أيضًا.

علي أصغر بورمحمدي: «بعد مضيّ عدة أيام على إيصال المساعدات للمنكوبين بالسيل في إيرانشهر، ووصول مساعدات كثيرة من يزد بواسطة آية الله صدوقي، ومن قم بواسطة آية الله العظمى الكلبايكاني أكثر من غيره، ومن كرمان ورفسنجان إلى إيرانشهر، ارتفع حجم المساعدات لدرجة تسبّب في تخزين الدقيق والزيت والشاي. ولهذا السبب قلنا للسيد: اسمحوا لنا بمساعدة كل الفقراء، فوافق سماحته. وعلى امتداد عشرة أيام، أوصلنا المساعدات، وفق الإحصائيات المتوافرة، إلى كل إيرانشهر. بل وحتى وصلت المساعدات إلى بعض المدن الأخرى التي تضم الكثير من الفقراء.»

في غضون إيصال المساعدات، بادر السيد علي بنفسه إلى تفقّد خِيَم المنكوبين بالسيل، وتعرّف على أوضاع حياة الناس عن كثب. وبعد السيل أيضًا، ازدادت معرفة السيد بالناس، والناس بالسيد أكثر فأكثر.

«علمًا بأن ذلك السيل كان من ألطاف الله الخفية، حيث أدى إلى أن نتعرّف على أوضاع حياة الناس أكثر. فقد دخلنا في الأكواخ والبيوت وشاهدنا أوضاع الناس المعيشية عن كثب. حيث كنا قبل السيل مقيمين لعدة أشهر في إيرانشهر، ولكننا كنّا نرى ظاهر الأمر، وما كنّا نعرف الناس ولا الناس تعرفنا. ولكن بعد أن ضرب السيل (المدينة)، نحن تعرّفنا على الناس، والناس أيضًا تعرّفت علينا إلى حدّ ما.» ١٩٨٩/١٢/٢٩

الشيخ عباس بورمحمدي، هو الآخر الذي توجّه إلى إيرانشهر لمساعدة أهاليها.

علي أصغر بورمحمدي: «إثر السيل الذي ضرب إيرانشهر، أخبر السيد

أصدقائه ـ ومنهم والدي ـ بأننا بأمسّ الحاجة إلى الأموال والأدوات الضرورية لمساعدة المنكوبين بالسيل. بدوره قام والدي بإبلاغ معارفه في رفنسجان، فأعدوا له أموالًا كثيرة. وبعد وصولنا بمعية الوالد إلى إيرانشهر، عُقدت جلسة لمداولة طريقة إيصال المساعدات إلى المتضررين بالسيل، وعندما آن الأوان إلى جمع المساعدات، قدّم كل واحد منهم ما جمعه من أموالٍ للمساعدة، وكان والدي آخر من قدّم أمواله في تلك الجلسة. فقد بلغ قبله كل ما جاء به الآخرون من أموال ثلاثون ألف تومان، بينما كانت تبلغ الأموال التي جئنا بها خمسمائة ألف تومان!

هكذا كان والدي يشير دومًا إلى فترة نفي السيد قائلًا: كان السيد في إيرانشهر وبلوشستان مالكًا على الإطلاق. بينما نجد الحكومة قد نفته إلى منطقة سنية سيئة الطقس، ليكون محبوسًا ومعرّضًا للضغوط من جميع الجهات. قام سماحته في تلك الظروف بما أدى إلى أن يعرف حتى رعاة الجمال والأغنام وسكّان البوادي، الذين كانوا قبل ذلك غير مطلعين على مجريات الأحداث، أن يعرفوا ماذا يصنع الشاه في هذه المملكة!»

بعد بضعة أسابيع من وقوع السيل، دخل الشيخ محمدجواد حجتي كرماني إيرانشهر لمدة أربعة وعشرين ساعة.. هو الذي كان قد ذهب من سنندج إلى كرمان للمشاركة في حفلة زواج أخته، زار مدينة إيرانشهر حين عودته إلى منفاه، ورأى من المشاهد ما لم يكد يصدّقها!

«كنا في إيرانشهر نعيش في غربة تامة. فقد أقمنا هناك عدة أشهر ـ أنا والشيخ حجتي وآخرون ـ ولكن دون أن يآلفنا أحد أو يسلّم علينا أحد، إلا نفرٌ من الشيعة الذين صادقونا.. بعضهم بالطبع لا كلّهم.

حينما جرف السيل المدينة، عكفنا على تقديم الخدمات. ودخلتُ بنفسي إلى خِيَم الناس وأكواخهم وتحدّثتُ إليهم. وكانوا ينقلون لنا نفس ما يُقال هنا[١]: لا يوجد عندنا هذا الشيء.. نحتاج إلى هذا الشيء.. لا يعطوننا هذا الشيء.. كانت السلع والأدوات تأتينا من مختلف المحافظات والمدن، وبدورنا كنا نقوم بتوزيعها. علمًا بأن الأسد والشمس الأحمرين لم يقدّم إلى الناس يومذاك أية معونة، وقد بلغت مساعدتهم حدّ الصفر تقريبًا! ومساعداتنا بالطبع كانت ضئيلة جدًا تجاه ما يُقدَّم اليوم لكم من مساعدات، بل ولا يمكن المقارنة بينهما أساسًا، ولكن كنّا نبذل قصارى جهدنا. وبقينا نقدّم الخدمات قرابة الشهرين. ولقد أنستُ بالناس ووددتهم لدرجة كنتُ إذا مررتُ بسيارتي من شارعٍ يسلّم عليّ حارس الماء في البلدية مشيرًا بيده، أو يرفع أبناء المدرسة أيديهم محيّين.

كانوا قد رحّلوا الشيخ حجتي من عندنا. وفي أواسط الصيف، وبعد وقوع السيل، أخذ من الشرطة إجازة للذهاب إلى كرمان. ثم انتهز الفرصة وجاء منها إلى إيرانشهر. وأخذ مع أصدقائنا يتجوّل لمدة في أرجاء المدينة. ثم قال لي فيما بعد: ما الذي فعلتَ بهؤلاء الناس حتى آلفوك وأنسوا بك إلى هذه الدرجة؟ فقلت له: هذا ما فعله الله بواسطة السيل!» ٢٠٠٤/١/١٦

لم يعد نظام الطاغوت ومركز الاستخبارات والأمن ليطيق ما ناله السيد الخامنئي من شعبية متزايدة بين أهالي إيرانشهر. حتى آل المطاف بالناس إلى أن يطالبوا المسؤولين بأن يُتِمّ النظام لطفه عليهم وينفي عددًا من رجال الدين الآخرين من أمثال السيد الخامنئي إلى إيرانشهر!

---

١. في جمع أهالي بم المتضررين بالزلزال.

في يوليو / تموز، ضمن تقريرٍ رُفع إلى رئيس منظمة الاستخبارات والأمن في البلد، جاء عن لسان أحد رؤساء الأحياء في إيرانشهر:

«إثر حادثة سيلٍ ضربت إيرانشهر قبل فترة، تكبّد الناس أضرارًا مالية جسيمة، وتدهورت أوضاعهم المعيشية. فبادر أحد رجال الدين المنفيين، ويدعى الشيخ خامنئي ـ وهو قد (نُفي) من إحدى مدن إيران بسبب زعزعة النظم والأمن وكذلك إطلاق هتافات مناهضة للوطن ـ حيث كان مقيمًا في إيرانشهر، إلى مساعدة أهالي المدينة المذكورة، بتقديم الأموال والسِلع (من قبيل البطانيات والمؤن بجميع أقسامها)، فتسببت مساعداته في إزالة الشدة والمحنة عنهم. وبات الناس يقولون لو تلطّفت الحكومة ونفت إلى مدينة إيرانشهر اثنين أو ثلاثة من هؤلاء الشيوخ ورجال الدين، لكان ذلك كافيًا لتعويض الخسائر بمساعدتهم.»

في الحادي والثلاثين من يوليو / تموز، قبل خمسة أيام من حلول شهر رمضان المبارك وبعد شهر من وقوع السيل، أصدر برويز ثابتي، في رسالة «فورية وسرية للغاية»، أمرًا بتغيير منفى السيد علي الخامنئي من إيرانشهر إلى جيرفت.

استغرق تنفيذ أمر رئيس دائرة السافاك الثالثة في كل البلد عدة أيام.

«لجنة الإغاثة هي الأخرى تسببت في ازدياد معرفتنا بالناس ومحبتنا لهم. فرأى الجهاز (الحاكم) بأنني بدأت آلف الناس وآنس بهم هناك أيضًا، فنقلني من تلك المنطقة إلى جيرفت.» ١٩٨١/١٠/١١

تزامنًا مع نفي السيد الخامنئي إلى جيرفت، تقرّر ألّا يبقى أحد من المنفيين في إيرانشهر، فنُفي الشيخ راشد يزدي إلى إيذة والسيد فخرالدين رحيمي إلى إقليد. والسيد محمدعلي موسوي، الذي حُكم عليه بالبراءة، ترك إيرانشهر وعاد إلى مدينته.

تم تغيير منفى السيد علي الخامنئي في الوقت الذي كان قد تجمّع ثلاثمئة طالب من طلبة حوزات مشهد العلمية أمام المحكمة في خراسان، محتجين على استمرار نفي السيد، وطالبين عودته إلى مشهد؛ التجمّع الذي أفضى إلى تدخّل رجال الشرطة.

تركُ إيرانشهر وأهاليها لم يكن بالأمر الهيّن بالنسبة إلى السيد الخامنئي.

«حينما كنتُ منفيًّا في إيرانشهر، أوصيتُ قائلًا: «إذا جاءني الموت وأنا في المنفى، ادفنوني في نفس هذه المدينة، ولا أرضى أن تنقلوني منها.» لشدة حبي لتلك الأجواء ولأولئك الناس. وهنالك أسبابٌ أخرى أيضًا. فإن إيرانشهر، مدينة جيّدة جدًا، وأهاليها في غاية الصلاح، ولها موقع بالغ الحساسية. فهي تمثل قلب بلوشستان.. قلبها الجغرافي وقلبها السياسي كذلك. علمًا بأن الأشخاص الطالحين قد يتواجدون في كل مكان، بيد أن أهالي إيرانشهر ـ أولئك الذين هم من أهل المدينة ـ يتسمون بالصلاح والنزاهة والصدق والوفاء، وأنا خلال معاشرتي لهم، تلمّستُ بالكامل كل هذه الخصائص.» ١٩٩٥/٥/٢٩

«أنا لا أنسى أبدًا تلك الأيام الطيبة التي قضيتها في إيرانشهر، ولاسيما تلك الأيام التي ضرب السيل فيها المدينة، حيث التقينا العوائل المنكوبة بالسيل وأهالي المدينة والمناطق المحيطة بها، في الخيم والأكواخ والبيوت، وكنّا نتبادل الحديث مع الرجال والنساء والشيوخ والشباب والأطفال عن مشاكلهم. وستبقى هذه في خاطري دومًا كذكريات قيمة.» ١٩٨٥/١٢/٤

في الثالث عشر من أغسطس / آب، وفي الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل، داهم رئيس مركز الشرطة في إيرانشهر برجاله دار السيد الخامنئي تنفيذًا لحكم «تغيير المنفى».

هكذا كتب النظام الملكي، في كتبه الرسمية، سبب تغيير المنفى من إيرانشهر إلى جيرفت:

«لأن السيد علي الحسيني الخامنئي، ابن جواد، قد جمع حوله في إيرانشهر عددًا من المتطرفين المتدينين، وراح يمارس نشاطه وتبليغه خلافًا للمصالح الأمنية في البلد. وفق قرار عمدة المدينة ورأي لجنة صيانة الأمن الاجتماعي، تم تغيير مكان الإقامة الجبرية للشخص المذكور من إيرانشهر إلى جيرفت.»

في هذه المرة، حُكم على السيد علي بالنفي إلى جيرفت لمدة تسعة أشهر وخمسة عشر يومًا.

طالب السيد الخامنئي بإرجاء تنفيذ الحكم إلى صباح يوم غد، بيد أن رئيس الشرطة الذي كان يخاف من مغبة وداع الناس معه وردود فعلهم المحتملة، لم يوافق على ذلك وأجبر السيد ليلًا على مغادرة إيرانشهر بعد ثمانية أشهر.

حين أسفر الصباح واتّجه الناس إلى المسجد لإقامة صلاة الصبح، لم يجدوا أثرًا من السيد الخامنئي. وبعد الاستفسار من خادم المسجد، عرفوا بأنه غادر إيرانشهر قسرًا مع طاقم من رجال الشرطة منفيًا إلى جيرفت.

ليلة الثالث عشر من أغسطس / آب، كان حسن خجستة (أخو زوجة السيد الخامنئي) في إيرانشهر. ذلك أنه بين الحين والآخر كان يأتي إلى إيرانشهر على مدى هذه الأشهر الثمانية الماضية لمساعدة السيد الخامنئي في تمشية أموره، فرافق السيد في تلك الليلة حتى وصوله إلى جيرفت.

حسن خجستة: «حين آن الأوان لمغادرة إيرانشهر والتوجّه إلى جيرفت، قال السيد: يجب أن آخذ سيارتي معي، (بيجو ٤٠٤). لم يوافق رجال الشرطة بادئ ذي بدء وكانوا قلقين حيال ذلك، ولكنهم اضطروا بالتالي إلى الموافقة. جلس رجلان مسلّحان من قوات الدرك في مؤخرة السيارة، وجلستُ أنا

والسيد في مقدمتها، وسيارة أخرى كانت تسير خلفنا أيضًا. كان الوقت في منتصف الليل، ولا أذكر الساعة بالتحديد، ولكن كان قد مضى شطرًا كبيرًا من الليل. جلس السيد خلف المقود وأنا بجانبه، ولكن ما إن تحرّكنا قليلًا باتجاه جيرفت حتى ارتفعت حرارة السيارة. ولقد كنا بالطبع على علمٍ بأن السيارة فيها نقص، غير أن النقص هذا لم يظهر في المدينة بشكل كامل. بعد عَطَل السيارة، أُنيطت إليّ مهمة جديدة! وهي أن أرشّ الماء على المشعاع (الرديتر) ضمن مسافات محددة، كل عشرين كيلومترًا على سبيل المثال. ولهذا دومًا ما كنا نتوقف عن المسير، ونرشّ الماء على المشعاع، ثم ننطلق من جديد.

بدأت تنقشع الظلمة. أتذكر أني شاهدت في وسط الطريق شيئًا مطروحًا، وحين توقّفت السيارة، رأيت أنه جسد لولدٍ شابّ! بيد أنّ الطريق هذا لم يكن حينها محلًا للتردّد والذهاب والإياب. قال رجال الدرك توقّفوا جانبًا، فتوقّفنا لمدة على حافة الطريق. اتّصلوا عبر اللاسلكي بمخفر الشرطة لإخبارهم بأن هناك جسدًا مطروحًا في الشارع. والدركي الذي كان خلفنا قال: يحتمل أنه كان في مؤخرة السيارة، ثم سقط منها. طالت مدة وقوفنا هناك حتى تم إخبار مخفر الشرطة. ونحن أيضًا ما كان ينبغي لنا تحريكه حتى تُمارَس عليه الممارسات القانونية.

انطلقنا ثانية باتجاه (مدينة) بم. وأخذ السيد يقود بمزيد من السرعة للوصول أسرع. فتوجّس رجال الدرك الذين كانوا معنا وتصوّرا أننا نريد الفرار في بم، ولكن ما إن وصلنا إلى المدينة، توجّه السيد مباشرة إلى مخفر الشرطة، فاستقرّ بالهم. دخل السيد إلى المخفر ليستريح! وأنا بدوري ذهبتُ لأفتّش

عن السيد صدّيقي وهو أحد أصدقاء السيد من أهالي بم، وكان رجلًا جذّابًا للغاية. فبدأتُ أجوب شوارع بم علّني أعثر عليه، لأخبره بقضية نفي السيد إلى جيرفت، وأقول له بأن السيارة قد عطلت ولا يمكنها إيصالنا إلى جيرفت.»[1]

أخذ حسن خجستة يتمشى في شوارع مدينة بم دون أي عنوان، وفجأة سمع صوت منبّه سيارة من خلفه ورأى السائق يرمش له بالمصباح.

أبوالقاسم صدّيقي: «في الطريق إلى جيرفت، وقبل عشرة كيلومترات تقريبًا من بم، عطبت سيارة السيد وغلا ماؤها بشدة. قال رجال الدرك للسيد: مُرّ على الطريق الدائري ولا تدخل في داخل المدينة، ولكنه دخل المدينة دون أن يكترث (بقولهم) متجهًا نحو مخفر الشرطة. ثم قال السيد لحسن خجستة: اِذهب وابحث عن صدّيقي وقل له سيارتنا عاطلة، فليأتِ بسيارة لنذهب بها إلى جيرفت.

لا هاتف كان متوافرًا آنذاك، ولا عنواني كان موجودًا عندهم، سوى أنهم يعرفون بأني أعيش في بم. ولكن شاءت الإرادة الإلهية بأن أرى سيارة السيد، حين خروجي بسيارتي من الزقاق، وهي تمرّ من أمام هذا الزقاق! وأنا كنتُ أعرف السيارة تمامًا. فاقتفيتُ أثرها واقتربتُ منها، وضربتُ على المنبّه ورمشتُ بالمصباح، فتوقّف حسن خجستة. قلتُ له: ماذا تصنع هنا؟ أخبرني بالأمر، فاتّجهنا مسرعين صوب المخفر. سلّمتُ على السيد واستفسرتُ عن حاله ورحّبتُ به كثيرًا، ثم انطلقتُ إلى الدار واضعًا سيارة السيد في فنائها وأخذتُ سيارتي (بيكان) وقفلتُ راجعًا إلى مخفر الشرطة، حتى هممنا بالحركة. وعند الانطلاق، أسرعتُ أمام السيد وفتحتُ له باب

---

١. مقتبس من مقابلة للسيد حسن خجستة مع مركز وثائق الثورة الإسلامية.

السيارة، ثم صبرتُ حتى يركب، لأُغلق الباب له بنفسي، فقال: صدّيقي، لا تفعل ذلك! أجبته: سيدنا! أفعل هذا أمام هؤلاء عن عمد ليُدركوا ما هي منزلتكم وأيّ أنصار لديكم! فعليهم أن يحسبوا لذلك ألف حساب!

أركبتُ السيد السيارة، وجلستُ أنا خلف المقود والسيد في الأمام، وخجستة مع رجلين من رجال الدرك في الخلف، ومن ورائنا سيارة لقوات الدرك تستقلّ عدة من رجالها، وانطلقنا باتجاه جيرفت.

تبلغ المسافة بين بم وجيرفت مئة إلى مئة وعشر كيلومترات، ولكن الطريق كان ترابيًا آنذاك، وتطول (الرحلة) قرابة ثلاث ساعات. كانت هنالك بين بم وجيرفت منطقة ريفية تُدعى ده‌بكري؛ جوّها بارد لطيف وتبلغ حرارتها في الصيف ٢٠ درجة. كان حينذاك شهر رمضان، ولكني أفطرتُ لكوني مسافرًا. فتوقّفتُ في ده‌بكري لتناول وجبة الغذاء. والسيد الذي كان قد جاء من إيرانشهر التي تبلغ حرارتها ٦٠ درجة، عندما وصل إلى هذه المنطقة انشرح صدره! كان هناك مقهى، فأوصيتهم بإعداد الطعام، ثم أقمنا الصلاة جماعة، ومن بعدها تناولنا وجبة الغذاء مع رجال الدرك. عزم السيد على أن يستريح قليلًا، ثم ننطلق.»

بادئ الأمر لم يوافق رجال الدرك على الاستراحة، ولكن بعد أن قال لهم كبيرهم: «لا يحدث شيء باستراحةٍ لمدة نصف ساعة»، لانوا ووافقوا على استراحة قصيرة.

«أتذكر ذلك اليوم الذي جاؤوا بي إلى جيرفت، وقد رافقني عددٌ من رجال الدرك. حيث انطلقنا بسيارتين من بم إلى جيرفت. وكان في وسط الطريق على اليسار مقهى، اسمه ده‌بكري، فدخلنا فيه. وحين رآني صاحب المقهى ومن حوله بأني رجل دين وقد رافقني عدد من رجال الدرك، عرفوا بأنني

رجل دين منفي ـ حيث كانت جيرفت آنذاك تستورد المنفيين! ـ فأرشدونا إلى زاوية (من المقهى).

وكان فيها بستان كبير، فتناولنا وجبة الغذاء في زاوية من هذا البستان وشربنا الشاي دون أن يرنا أحد، أو أن يلتفت إلينا أحد على ما يبدو.

كنتُ مرهقًا للغاية، حيث انطلقنا من إيرانشهر ليلًا، وتوقّفنا قليلًا في منتصفه، وقد استولى عليّ تعبٌ شديد. فقلتُ لأنام قليلًا. ورجال الدرك تلطّفوا وقالوا: لا بأس. فاستلقيتُ وخلدتُ إلى النوم لمدة نصف ساعة.

عندما خرجتُ من باب المقهى، وجدتُ حشودًا من الرجال والنساء قد تجمهروا هناك، وما إن رأوني رفعوا أصواتهم بالصلوات، لماذا؟ فالناس لم تكن لتعرفني، ولكنهم كانوا على علمٍ بأن هذه حركة دينية، وهذا رجل دين. ومهما كان فإنه قد تحمّل هذه الغربة وهذا النفي وهؤلاء الرجال المسلحين في سبيل الدين.

رفع الناس أصواتهم بالصلوات، فهبّ رجال الدرك وأمسكوا بيدي، ثم ركبنا السيارة وقالوا: لنذهب من هنا بسرعة. والسبب في ذلك هم الناس والخوف منهم ومن هذه المعنويات التي يتسمون بها.» ١٩٨٥/٧/٢٢

طريق بم ـ جيرفت القديم والسيء جدًا، تسبّب في أن تطول المسافة، البالغة مئة كيلومتر بين المدينتين، أكثر من الحد المألوف.

«جيرفت منطقة نائية، وطريقها سيء للغاية يومذاك. بحيث كانت تضطر السيارة في بعض الأماكن أن تتوقف من هذا الجانب، لتمرّ السيارة الأخرى، ثم تنطلق هذه. إلى هذا المستوى كان الطريق سيئًا.

ورغم أن المسافة بينها وبين مفترق بم، لا تتجاوز المئة كيلومتر تقريبًا على

ما في ظني، غير أن هذه المسافة تستغرق وقتًا يفوق الساعتين. فانظروا إلى مثل هذا الطريق، بذلك الجوّ الرطب الحار، وذلك البعوض الذي كان يتسلّل إلى الداخل ليلًا من ثقوب شبكة النوافذ أيضًا.» ١٩٨٥/٧/٢٢

في يوم الأحد ١٣ أغسطس / آب، وهو أحد أشدّ أيام الصيف حرارة، دخل السيد الخامنئي ومرافقوه ـ أبوالقاسم صدّيقي وحسن خجستة ـ جيرفت تحت الرقابة. وجيرفت سهل خصيب في وسط الصحراء؛ سهلٌ شديد الحرارة والرطوبة وكثير الحشرات والهوام!

أبوالقاسم صدّيقي: «وصلنا إلى جيرفت في حدود الساعة الرابعة وفي ذروة الحرّ! فإن مناخ جيرفت إن لم يكن أسوء من إيرانشهر، ليس بأفضل منه بالتأكيد! كان المختار في الطبقة الفوقانية نائمًا تحت التكييف. تحمّلنا الحرّ لمدةٍ جالسين حتى استيقظ المختار! إذ من المفترض أن تتم عملية نقل السيد إلى مخفر الشرطة بحضوره. (وبالتالي) جاء وسلّم السيد إلى الشرطة. عندذاك عاد رجال الدرك إلى إيرانشهر. بقينا ننتظر رئيس الشرطة، لأنه هو الآخر لم يكن موجودًا في المقر، وكان قد ذهب إلى الدار ليستريح. وإلى حين وصوله، انطلق السيد حسن خجستة للبحث عن الشيخ رباني أملشي الذي كان قد نُفي إلى جيرفت قبل السيد. حينما وصل رئيس الشرطة، أخذ ـ على حدّ زعمه ـ ينصح السيد (قائلًا) لا تشتبك مع الشاه ولا تعمل ضدّه وضد المملكة وما شاكل. ثم جاء ولد الشيخ رباني أملشي إلى مقر الشرطة والوقت كان قد شارف على الغروب. فانطلقنا متجهين صوب دار الشيخ رباني أملشي. وكان ذلك في الوقت الذي لم تأتِ عائلته بعدُ للسكنى في جيرفت.»

كان الشيخ مهدي رباني أملشي[١] رجل الدين الأول الذي نُفي إلى جيرفت. فإنه تزامنًا مع نفي الشيخ محمدجواد حجتي كرماني إلى إيرانشهر، نُفي إلى مدينة بابك. فقام في هذه المدينة بإنارة الأفكار لدرجة، آل الأمر بالناس إلى كتابة الشعارات على أبواب المدينة وجدرانها وتهشيم زجاج مبنى حزب البعث! ما أدى إلى تغيير منفى الشيخ في التاسع من شهر يونيو / حزيران والحكم عليه بالإقامة الجبرية في جيرفت.

دخول السيد علي الخامنئي إلى جيرفت، أفرح الشيخ مهدي رباني أملشي كثيرًا، حيث كانت بينهما علاقة وطيدة وصداقة تمتدّ إلى عشرين عامًا.

«وبعد أن ذهبتُ إلى تلك المنطقة.. رحم الله أخينا العزيز الفقيد المبجّل، المرحوم آية الله رباني أملشي، الذي كان قد نُفي إليها. بعد وصولي أخذتُ عنوان داره، وكانت تربطنا به صلة قديمة. فذهبتُ إلى داره، وجلسنا نتبادل الحديث، وأخبرته بأنهم نقلوني من إيرانشهر إلى هذه المدينة.

وهو الآخر أيضًا كانوا قد نقلوه من مدينة بابك إلى جيرفت قبل شهر أو شهرين. إي إنه كان قد دخل جيرفت قبلنا بشهر أو شهرين، وقد حصل على دارٍ للسكن فيها. وعندما حلّ الغروب قال: سيأتون إلى هنا لإقامة الصلاة!

وفجأة رأيت الشباب يتوافدون، وامتلأت غرفته بالناس بمقدار ما فيها من متّسَع. فأقام الصلاة ومن بعدها ألقى كلمة في التفسير والأخلاق. ورغم أنه كان منفيًا ولقاؤه لم يعد دون مضايقات، حيث كانت الأجهزة مراقبة وحساسة للغاية، وعلى أي حال فالعمل هذا لا يخلو من خطر، كان الناس يتحمّلون هذا الخطر.» ١٩٨٥/٧/٢٢

بعد يوم أو يومين من مكوثه في دار الشيخ مهدي رباني أملشي، استأجر السيد

---

١. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٨.

الخامنئي دارًا لنفسه واستقر فيها. الدار التي كان الشيخ رباني أملشي يسكنها، هي دار الحاج نجف أفشارمنش، أحد تجار جيرفت، والدار التي استأجرها السيد الخامنئي، هي دار تعود إلى السيد باقرزادة.

بعد بضعة أيام دخل الشيخ عبدالرحيم رباني شيرازي[١] جيرفت بعد أن كان منفيًا في سردشت، ليقضي ما تبقّى من مدة نفيه في هذه المدينة. وفور وصوله، عندما عرف أن السيد الخامنئي أيضًا منفيّ في جيرفت، انطلق إلى داره وحلّ ضيفًا عنده. وبعد أيام من تغيير منفى رباني شيرازي، نُفِي ستة أشخاص آخرين إلى جيرفت أيضًا ليصل عدد المنفيين إلى تسعة أشخاص، فتبدّلت هذه المدنية إلى مدينة المنفيين الأولى في النهضة الإسلامية.

خلال فترة وجيزة، أَنِس أهالي جيرفت بالسيد الخامنئي وسائر المنفيين وآلفوهم لدرجة، شعر السيد بأنه يعيش في وسط مدينته وبين أقربائه وأحبائه.

«قبل أعوام، وفي أحد أيام الصيف الحارّة، دخلتُ مدينة جيرفت بمعية عدد من رجال الدرك، دون أن أعرف فيها أحدًا. وفي البدء، ذهب بي رجال الدرك إلى مقر شرطة المدينة.. هكذا دخلت إلى جيرفت. ولكن لم تمضِ على دخولي إلى هذه المدينة أيام حتى شعرتُ بأني أعيش بين أقربائي وإخواني وأحبائي. فقد فتح أهالي جيرفت ذراعي محبتهم ومودتهم لهذا العبد الضعيف ولسائر الأشخاص الذين تم نفيهم إلى هذه المدينة يومذاك بواسطة نظام الطاغوت، وقاموا بالدعم والتعاطف والمواكبة تجاه أولئك الذين كانوا يعتبرونهم جنود طريق الحق والحقيقة. علمًا بأن مدينة جيرفت آنذاك لم تكن بهذه السعة والجمال، وإنما كانت مدينة صغيرة بشوارع معدودة، ولكن

١. قسم الملحقات، الهامش في ص ١٨٩.

كانت تموج فيها بحارٌ من الحبّ والودّ والإخاء.» ٢٠٠٥/٥/٩

بعد مجيء السيد الخامنئي وسائر المنفيين إلى جيرفت، انتقلت الجلسات التي كانت تُقام في دار الشيخ رباني أملشي إلى المسجد الجامع في المدينة وحظيت بترحيبٍ واسعٍ من قِبَل أهالي جيرفت ومن قِبَل الشيخ مهدي مصحفي كرماني إمام المسجد الجامع.

هذا وقد انبهر السيد الخامنئي بالنزعة الثورية التي يتسم بها أهالي جيرفت.

«لقد كانت مدة إقامتنا في جيرفت قصيرة، حيث بقينا فيها حوالي شهرين أو أقل بقليل، وقد أثارت دهشتي الكثير من معنويات الناس ولاسيما الشباب خلال هذين الشهرين. حيث رأيتُ بأن هذه المنطقة بذلك الطريق، وبتلك المسافة، وبذلك البعد عن المركز، وبما أنه لم يكن فيها أحدٌ يبيّن للناس قضايا الثورة، ولكن مع ذلك فقد كانت القلوب مستعدة!

بحيث إننا حينما كنّا نقصد المسجد الجامع بجيرفت في ليالي شهر رمضان ونلتقي بالناس وأحيانًا نتحدث إليهم ـ إما أنا أو سائر المنفيين ـ كنا نشهد كيف أن هؤلاء الشباب، بل وحتى الفتيات والسيدات الشابات اللاتي كنّ يجلسن وراء الستار، يعبّرون عن أحاسيسهم الجيّاشة تجاه النهضة والنضال، وهذا كان ناجمًا عن إيمان الناس وخلوصهم.

تلك الليالي التي كنا في شهر رمضان نجتمع في المسجد، وتلك الأيام التي كنا نتحدث فيها إلى إخواننا من أهل جيرفت ـ حيث كان بعض الشباب يقصدنا ـ ونتباحث معهم ونتكلم حول القضايا السياسية والمسائل الإسلامية، كانت أيامًا بنّاءة وقيّمة للغاية.» ١٩٨٧/٥/٢٩

لقد برزت شجاعة نساء جيرفت ووعيهنّ في نظر السيد الخامنئي. فإن أولى الشعارات

التي تعالت في المسجد الجامع ضد نظام الطاغوت، كانت قد انطلقت من القسم النسائي! وهذا ما أثار إعجاب السيد.

«في وسط الصيف اللاهب، ورغم أن المدينة كانت خالية، والكثير قد خرج منها، بيد أنّ أولئك الباقين في المدينة، بذلوا قصارى جهدهم لمساعدتنا في المسجد الجامع بجيرفت، ولاسيما الأخوات. فإن أولى الشعارات المناهضة للسلطنة في جيرفت، قد هتف بها أخوات جيرفت من وراء الستار. فالإخوة كانوا يراعون وجود أزلام النظام بينهم، بينما الأخوات كنّ يهتفن دون رادع. حتى أن بعض الأخوات ـ على ما في ظني ـ قد تعرّضن للملاحقة والاعتقال.» ١٩٨٥/٧/٢٢

«لقد هتف نساء جيرفت يومذاك في مسجدهم وبأصوات عالية بنفس الشعارات التي كان يهتف بها أهالي قم وطهران وسائر المدن المركزية تقريبًا. فإن أهل هذه المنطقة يتسمون بالإيمان والوفاء ويؤمنون بالدين والولاية إيمانًا راسخًا.» ٢٠٠٥/٥/٩

في أواسط شهر رمضان المبارك، شبّ حريق في سينما «ركس» بمدينة آبادان، وتسببت هذه الفاجعة في احتراق المئات من الأشخاص. فعقد السيد الخامنئي وسائر المنفيين، على أثر هذه الحادثة، جلسات ليروا كيف ينبغي أن تكون ردود فعلهم حيالها، وبينا هم كذلك حتى وصلهم نداء الإمام الخميني؛ النداء الذي يعتبر الإمام فيه هذه الحادثة واحدة من إنجازات الشاه الكبرى لتشويه سمعة الثورة: «هذه المصيبة المروّعة بالنسبة إلى الشاه (ليست سوى) إنجاز كبير بغية أن يقوم في الداخل والخارج بدعاية واسعة ويأمر الأبواق والصحف العميلة في الداخل والنفعية في

الخارج بإشاعة هذه الجريمة أكثر فأكثر للتمويه على الناس، ونسبتها إلى الشعب الإيراني المحروم المظلوم.»[١]

«لا أنسى بأني كنتُ منفيًا في جيرفت حين اندلاع حادثة سينما «ركس».. كنتُ أنا والشيخ المرحوم رباني شيرازي (رحمة الله عليه) والشيخ رباني أملشي، وعدد من الأصدقاء.

عندما بلغنا (نبأ) حادثة سينما «ركس»، جلسنا وتشاورنا واتّفقنا على إصدار نداء سرّي غير موقّع ـ على ما في ظني ـ وإرساله إلى قم وغيرها بتوقيع عام مثلًا لطباعته في سبيل أن يطّلع الناس على مجريات الحدث. فجلسنا وتبادلنا الآراء في إعداد النداء، إذ قالوا مثلًا يوجد هنا إشكال فأصلحناه، ويوجد هنا نقص فأزلناه.

فاستغرق الأمر يومًا أو يومين. وحيث عزمنا على طباعة النداء واستنساخه، وصل إلينا نداء الإمام! إلى أين؟ إلى جيرفت. وهذا يعني أن الإمام كان حاضرًا بعد أربعة أو خمسة أيام من الحادثة؛ حاضرًا (حتى) في جيرفت! وهذا ما كان قائمًا حقًا طيلة فترة النضال وفي كل مكان! إنها لحقيقة مُذهلة.»[٢] ١٩٨٢/٥/٧

خلال الأسبوعين الأوّلين من التواجد في المنفى الجديد، رُفعت تقارير كثيرة بشأن محاضرات السيد الخامنئي من جيرفت إلى طهران. بل وقلما تمرّ ليلة يخطب السيد فيها في المسجد، ولا يُرفع تقرير كلامه على الفور إلى طهران. حتى آل المطاف إلى الاقتراح بإعادة النظر في «تغيير منفاه من إيرانشهر إلى جيرفت»!

١. جانب من نداء الإمام الخميني على أثر حادثة إحراق سينما «ركس» في آبادان، ١٩٧٨/٨/٢١.

٢. لاكتساب المزيد من المعلومات بشأن حياة الإمام الخميني وسيرته الجهادية على لسان الإمام القائد، راجع كتاب «عبد صالح خدا» (العبد الصالح لله) من مجموعة صهبا.

«الخطيب المنفي، السيد علي الحسيني الخامنئي، يُدلي خلف مكبّرة الصوت بمسائل تحريضية مناهضة لمصالح المملكة، ويحثّ الشباب ويرغّبهم على اتّباع عقائده، ويدعو لروح الله الخميني خلال كلمته فيرفع الحاضرون في المجلس أصواتهم بالصلوات. إضافة إلى أن الخطيب المنفي المشار إليه لا يعبأ بتنبيهات الشرطة.»
«المشار إليه منذ إقامته في هذه المدينة، يستخدم في المسجد ليليًّا مكبرة الصوت ولا يعيد النظر في أسلوبه رغم التنبيهات.»
«المشار إليه هو أحد الخطباء المنفيين الممتعضين، وقد أُرسلت في الآونة الأخيرة بواسطة أياديه مجموعة من البيانات المضرة إلى هذه المدينة. فالأصلح، درءًا لممارساته التحريضية، إعادة النظر في تغيير مكان الإقامة الجبرية للمشار إليه.»

ما هي إلا أيام مضت من انقضاء شهر رمضان حتى وصل، في السابع من سبتمبر / أيلول، خبر مواقف آية الله السيد كاظم شريعتمداري المناهضة للثورة وللمجاهدين الثوريين، ما أدى إلى استياء السيد الخامنئي وأذاه. آية الله شريعتمداري الذي كان دومًا ما يحاول استرضاء عامة الناس والنظام الملكي أيضًا في بياناته، اتّخذ في هذه المرة موقفًا مغايرًا نعت فيه الثوريين بالمتطرفين.
لم يعد بوسع السيد الخامنئي التزام الصمت حيال هذا الموقف. فكتب رسالة إلى السيد شريعتمداري مبيّنًا فيها بأنّ الأمر قد انطلى عليه، وأنه بهذا الموقف قد منح عمليًا لنظام الطاغوت مسوّغًا شرعيًا في سفك دماء الناس. والغريب أن تنبّؤ السيد وتحليله الدقيق القائل بأن مواقف شريعتمداري ستفضي إلى نتائج مروّعة، تحقّق في اليوم التالي، أي في الثامن من سبتمبر / أيلول (يوم الجمعة السوداء)، وفي ساحة جالة بطهران.

«هنالك ذكرى عالقة في ذهني من يوم الثامن من سبتمبر / أيلول ١٩٧٨. قبل وقوع تلك المجزرة الدامية في طهران، كانت سياسة النظام الملكي الجائر قائمة على تصنيف المجاهدين، وبتبعهم الشعب الإيراني، إلى متشدد ومتباطئ، ومتطرّف ومعتدل. وهذه نقطة مُلفتة جدًا، وهي اليوم كالمرآة تُلهمنا العِبر بأسرها. فمن كان يطالع الصحف آنذاك ويقرأ تصريحات المسؤولين في النظام الملكي الجائر، يُدرك بأن غايتهم تمزيق الصفوف التي تقف أمامهم وتناضلهم. فالطائفة التي هي من أنصار الإمام وأعوانه المخلصين الذين يعبّرون عن نهج الإمام جهارًا، يَسِمونهم بالتشدّد والتطرّف والتعصّب، وفي مقابلهم تلك الطائفة التي تحبّ الجهاد ولكن لا تنتهج هذا النهج بصورة جادّة، أو أنها كانت جادّة، ولكن الجهاز (الحاكم) كان يتصوّر أنها لا تتمتع بالجدّية، يصفونهم بأنهم من المعتدلين وأنه بالإمكان التفاوض والتحاور معهم. فشعرتُ في ذلك اليوم بالخطر.» ١٩٩٧/٩/١٠

«قبل يومٍ من ٨ سبتمبر / أيلول، قرأتُ في صحيفةٍ شيئًا أرعد فرائصي، وكنتُ حينها منفيًا في جيرفت. إذ شاهدتُ مقابلة أُجريت مع أحد كبار العلماء، ونُقل عنه في الصحيفة قولٌ تحسّستُ الخطر (على أثره). والقول هو ضرورة القضاء على العناصر المتطرفة.. العناصر المتطرفة!

لقد شعرتُ أنهم خدعوا السيد ـ وهذه بالطبع هي نظرتي المتفائلة ـ أو أنه كان متواطئًا معهم وكان يتحدّث بما يجاري رغبتهم، حيث صنّف العناصر إلى صنفين: عناصر متطرفة وأخرى غير متطرفة. وبذلك سيجد الجهاز الجبار الجلاد الجزار مسوّغًا لقمع أيّ أحد بصفته متطرفًا، فالسيد قد أصدر فتوى ذلك!

أخذتُ في تلك الساعة ورقة، وشرعتُ بكتابة رسالة إلى ذلك السيد (لإرسالها) إلى قم. وكتبتُ فيها بأنك من حيث لا تدري أعطيت للجهاز (الحاكم) مسوّغًا شرعيًا لقمع أي أحد أو جماعة تحت عنوان التطرّف. لِمَ فعلتَ ذلك؟ ماذا يعني التطرّف؟ من هو المتطرّف بين المجاهدين؟

المتطرّف بزعمهم هو ذلك الذي يقتفي أثر الإمام وينتهج نهجه. ذلك إنهم كانوا يقولون حينها لنشارك في الانتخابات. بينما كان الإمام يقول: يجب أن يرحل الشاه.. يجب أن يسقط جهاز السلطنة. ومن كان يقبل بذلك يعدّ متطرفًا. والمؤامرة على ما يبدو هي أن يقوموا بفقأ عين هذا النهج في إيران واستئصال شأفة هذا النضال. فكتبتُ له بأنك صنّفت الشعب الإيراني إلى صنفين وسمحت للجهاز أن يقمع أيّ من يريد تحت مظلة التطرّف.

كان هنالك البعض من طلبة العلوم الدينية الذين يذهبون إلى قم، فأردتُ أن أبعث الرسالة بيد أحدهم، ولكنه اتفق أن لم يأتِ ذلك الطالب الذي كان من المقرر أن يأتي ليأخذ الرسالة خُفية، وانقضى الليل، واندلعت في صباح اليوم الثامن من سبتمبر / أيلول تلك المجزرة الدامية التي سمعنا بنبأها بعد وقوعها بقليل. فكتبتُ في هامش تلك الرسالة:

يا حضرة السيد! ترقّب حتى الصباح، فهذه مازالت من نتائج السحر.» ١٩٨٣/٩/٨

على أثر مجزرة الجمعة السوداء في الثامن من سبتمبر / أيلول بطهران، أقام السيد الخامنئي عصر يوم الخميس المصادف ١٤ سبتمبر / أيلول، حفلًا تأبينيًا عظيمًا في جيرفت على أرواح شهداء هذه الحادثة. وبدوره قام إمام المسجد الجامع، الشيخ مهدي مصحفي بتنظيم دعوة لهذه المراسم وإرسالها إلى المنازل. وأثناء إقامة المراسم،

بادرت السيدات بتوزيع البيانات التي جلبنها معهنّ في المسجد. وقبل ليلة من الحفل التأبيني أيضًا، قام السيد الخامنئي في المسجد بالحديث عن هذه الواقعة. فكتب السافاك تقريرًا عن «محاضرة الخطيب المنفي الخامنئي» في تلك الليلة، جاء فيها:

«في الليلة التي تصادف ١٩٧٨/٩/١٣، حضر الخطيب المنفي، الخامنئي مع سائر الخطباء المنفيين، في المسجد الجامع بجيرفت، وأدلى بمسائل وكلمات تحريضية، ثم قال مُعلنًا: سيقام عصر يوم الخميس المصادف ١٩٧٨/٩/١٤، حفلًا تأبينيًا على شهداء الجمعة الدامية في طهران، البالغ عددهم الآلاف وفق الإحصائيات الصحيحة، والذين تضرّجوا بدمائهم على يد جبابرة الزمان.»

كما أن النشاطات في إيرانشهر لم تكن مقتصرة على هذه المدينة إبّان النفي إليها، كذلك الحال في جيرفت حيث بادر السيد إلى السفر نحو المدن والأرياف المحيطة بها والحضور بين أهالي تلك الديار. فإنّ كهنوج وبلوك وعنبرآباد وساغري، كانت من المدن والقرى التي قصدها السيد الخامنئي. وكما هو الحال في إيرانشهر، فقد كان الحرمان هو الطاغي على هذه المناطق.

«رغم أن جيرفت مدينة نضرة وخلابة للغاية، ولكننا في سنة ١٩٧٨ شاهدنا أهالي تلك المدينة ولاسيما أهالي كهنوج والمناطق المحيطة بها، ورأينا عن كثب ما هي أوضاعهم وأي حرمان يتكبّدونه.» ١٩٨٧/٥/٢٩

كان يروم أهالي قرية ساغري بناء مسجد في قريتهم، وكان بودّهم أن يقوم السيد الخامنئي بوضع حجر الأساس لبناء هذا المسجد، فطلبوا منه ذلك ولبّى هو رغبتهم ثم اتّجه بمعية عدد من شباب جيرفت باتجاه هذه القرية.

أبوالقاسم صدّيقي: «نقل لي ابن الحاج أفشارمنش ـ وكان من تجار جيرفت المتدينين وقد استأجر داره للشيخ رباني أملشي ـ بأننا ذهبنا مع السيد لزيارة إحدى قرى جيرفت ـ قرية ساغري ـ في سبيل تفقّد أهلها ووضع حجر الأساس لبناء مسجد. فبدأ السيد هناك يستفسر عن أحوالهم وأوضاعهم، وبينا هو كذلك، وإذا برجل من الأهالي، وكان قد زعم بأن الاستفسار هذا شكلي! لأن السيد قد جاء للحديث ضد الشاه، ولكنه يخاف من ذلك! قال له: يا سيدنا! لا تخف! قل ما يحلو لك! وحين آن الأوان لمحاضرة السيد، أشار في بادئ كلامه إلى هذا القول وقال مبتسمًا: أنا آسفٌ من جانب وفَرِحٌ من جانب آخر. فرحٌ لأنكم أنتم الناس حاضرون في الساحة، وآسفٌ لأن البعض يستخدم كلمة الخوف. نحن لا نخف، وإنما هذا النظام هو الخائف! نحن أينما حللنا اجتمع الأصدقاء حولنا.»

وفي تقرير له حول حضور السيد الخامنئي في كهنوج وبلوك، كتب السافاك:

«الخطيبان المنفيان، السيد علي الخامنئي وعبدالرحيم رباني شيرازي، سافرا في ١٩٧٨/٩/٢٠ إلى قريتي كهنوج وبلوك من توابع مدينة جيرفت، وقد تم هذا السفر بدعوة مُسبقة. هذا وقد التقيا بعض الأشخاص لقاءًا خاصًا ثم عادا عصر يوم ١٩٧٨/٩/٢١ إلى جيرفت.»

أواخر أيام شهر سبتمبر / أيلول، اقترنت بإلغاء حكم النفي عن المنفيين وإطلاق سراح السجناء. فإن جعفر شريف إمامي الذي كان قد تسنّم منصب رئاسة الوزراء في هذا الشهر، أراد أن يشهد الثوريون منه بادرة الخير هذه، وأن يُثبت بأن حكومته هي حكومة المصالحة الوطنية. المصالحة الوطنية اسمٌ انتخبه شريف إمامي لحكومته؛

الاسم الذي واجه ردود فعلٍ صريحة من قِبَل الإمام الخميني: «نتصالح ونهدر دماء أحبائنا؟ نتصالح ونطأطئ رؤوسنا أمام النظام البهلوي الغاشم المجرم؟ كيف يتسنى لرجال الدين، بعد ما قام به النظام من تعطيلٍ لأحكام الإسلام المسلَّم بها ونهبٍ لثروات البلد ومذابح همجية، أن يتصالحوا معه بذريعة قوله نحن نحترم رجال الدين، ويسجّلوا لأنفسهم هذه الوصمة الأبدية عبر التأريخ؟»

قُبيل حلول الخريف لم يبقَ أثرٌ من المنفيين التسعة في جيرفت. فالأغلبية إما أنهم هربوا قبل مجيء حكم إطلاق سراحهم وإما أنهم تسلّموا حكم إطلاق السراح ورحلوا. أما السيد الخامنئي فقد بقي دون أن يهرب ودون أن يقبل بحكم إطلاق سراحه! حيث جاءه النقيب فلاح، رئيس الشرطة ـ الذي لم يتنفّس الصعداء لحظة واحدة خلال تواجد السيد الخامنئي وسائر المنفيين في جيرفت ـ وقال له قد أطلقنا سراحك فاذهب! فأجابه السيد قائلًا: أريد البقاء في جيرفت!

«ذات ليلة جاء إلى منزلنا رئيس شرطة جيرفت وقال: «انقضت فترة نفيك وعليك بالرحيل.» فقلتُ له: «كلا! أنا لستُ مستعجلًا ولا أروم الذهاب.» حيث كان يتصوّر أنه بمجرّد قوله: انقضت فترة نفيك، سأطير فرحًا وسأبادر فورًا إلى شكره وآخذ سيارة وأنطلق. ولكني قلتُ له: «كلا! لستُ مستعجلًا وأريد البقاء هنا.» فاستغرب كثيرًا وانتابه شيء من الخوف! ذلك إنهم كانوا ضعفاء. فالقلب المجرّد عن الإيمان ضعيف وخائف للغاية.. هكذا هي القوى المادية.

إنهم كانوا في الظاهر يمتلكون كل شيء، ونحن لا نملك شيئًا. إنهم كانوا من قوات الشرطة، لديهم السلاح والعِدّة والمال والسلطة، يعتقلون من يشاؤون، وينفون من يشاؤون، ويزجّون في السجن (من يشاؤون)، وهم

المسكون بزمام السلطة في الظاهر، ونحن صفر اليدين ظاهرًا، نعيش في انعدامٍ تامٍ للأمن، لا نملك الخِيَرة في انتخاب محل سكنانا، أينما أرادوا ذهبوا بنا، وحيثما أرادوا أسكنونا، وكيفما أرادوا تصرّفوا معنا على حدّ زعمهم. ولكن في غمار المواجهة نحن الأقوياء وهم الضعفاء، نحن الذين لا نخف وهم الخائفون، نحن الذين نستشعر القوة وهم الذين يستشعرون الضعف. رغم أن ظاهر الأمر لابد وأن يكون على العكس من ذلك. فقد استغرب هذا الرئيس البائس! وبقيتُ لعدة أيام.» ١٩٨٧/٥/٢٩

أكثر النقيب فلّاح في الإصرار على السيد الخامنئي بأن ينتهز الفرصة ويغادر المدينة ولكن دون جدوى. علمًا بأن السيد بعد وصول حكم إطلاق سراحه كان عازمًا على مغادرة جيرفت، ولكنه أراد الرحيل سرًّا بحيث لا يطّلع على خروجه أحدٌ من رجال الشرطة والأمن. حيث طرق مسامعه بأن رجال السافاك خلال هذه الأيام قد عمدوا إلى تصفية بعض العلماء والثوريين المنفيين في طريق عودتهم إلى مدنهم عبر اصطدامات مصطنعة.

آخر يوم من أيام الصيف، كان هو اليوم الأخير من حضور السيد الخامنئي في جيرفت. بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء في المسجد، ألقى سماحته كلمة على المصلين قرابة الساعة؛ الكلمة التي كانت بمنزلة حسن ختامٍ لحضوره الذي طال أربعين يومًا في جيرفت وبمثابة وداعٍ لأهالي المدينة. وفي نهاية كلمته طلب من الناس جملة من الطلبات.

«أودّ أن أطلب من الإخوة والأخوات بضعة طلبات. لأن هذه الليلة على ما يبدو هي الليلة الأخيرة التي أتحدث فيها إليكم. وبعد هذه الليلة سأرحل، وسوف لا أشارك في هذا المجلس لإلقاء المحاضرات. وسرعان ما سأغادر

جيرفت أيضا؛ بعد يوم أو يومين أو ثلاثة؛ لا أعلم بالضبط، فالأمر ليس معيّنًا على وجه التحديد. ولديّ من الإخوة والأخوات عدة طلبات، على أمل أن تحظى بالعناية والاهتمام.

أولًا: واظبوا على جلسات تعليم الإسلام والقرآن بمزيد من النشاط والحيوية والمتابعة. وهي ضرورية لكم جميعًا. فقد استنفرت القوى برمتها في الوقت الراهن لإقصاء الإسلام عن أذهانكم وإبعاده عنكم. ولا أقصد هذه المدينة ولا هذه المنطقة، وإنما باتوا يمارسون هذه الخطة في جميع أقطار العالم الإسلامي. إنها خطة إمبريالية ـ استعمارية، لأنهم أدركوا بأن الإسلام اليوم هو العدوّ الألدّ الذي بوسعه تهديد المحتلّين والناهبين في العالم، فلا ينبغي أن يبقى الإسلام عالقًا في الأذهان والعقول. هذه هي مؤامرة عالمية. وأنتم على الرغم من هذه المؤامرة العالمية حاولوا أن تفهموا الإسلام أكثر فأكثر، ومن السبل إلى ذلك، بل من أفضل السبل إلى ذلك، هي المشاركة في هذه المجالس والمحافل. فاعرفوا قدر هذه المجالس، وهيّئوا الأرضية بالطريقة التي تُمكِّن الخطباء الجيدين، من ذوي البصائر والذين بوسعهم أن يكونوا لكم معلمين مخلصين وصادقين، من المجيء (إلى هنا). ومن دواعي الحمد اليوم توافر الكثير من أمثال هؤلاء الأشخاص في الحوزات العلمية. وإنّ من النِعَم التي أنعمها الله على هذه المدينة حضور عالم مقتدر مخلص راغبٍ في إسداء الخدمة لهذه المدينة و(تعزيز) أفكارها الدينية. وهذه فرصة لا تتوافر في كل مكان، وأينما توافرت، يجب تثمينها واغتنامها.

إنني أوصي الشباب وأطلب منهم أن يطرحوا متطلباتهم الدينية على سماحة الشيخ مصحفي، وأن يطالبوه، وأن يضعوه في صورة احتياجاتهم. ومما لا

شكّ فيه أنه سيلبّي سُؤلكم. وباليقين أقطع أنكم لو عبّرتم عن استعدادكم وعن رغبتكم في حضور الخطباء الجيدين، سيستجيبون لكم بلا ريب. فإن الخطيب الذي ينسجم مع الشباب، يستطيع أن يكون معلّمًا لأذهان الشباب الجوّالة، وأن يُقنعهم ويُبصّرهم ويروي غليل أذهانهم وعقولهم. وإن سماحته سيطلب أمثال هؤلاء ويدعوهم، ليأتون إلى هنا إن شاء الله وتكون لهم جلساتهم مع الشباب. إذن فواظبوا على هذه الجلسات بكل تأكيد.

والطلب الثاني يرتبط بالمكتبة، وهذا ما قلته وذكرته مرارًا، وأعيده ثانية: فَعِّلوا المكتبة، وكونوا من روّادها، واستعيروا الكتاب منها، ولخّصوا موضوعات الكتب التي تقرأونها. فاقرؤوا الكتاب أولًا وقوموا بتلخيص مضمونه ثانيًا.

ويمكنكم بالطبع الحصول على قائمة من الكتب الجيدة عبر الاستفسار من الأشخاص المؤهلين والصالحين والواعين لئلا تضيع أوقاتكم، وتُصرف في غضون الكتب القيمة. اِقرؤوا الكتب باستمرار ومارسوا هذه القراءة في جلسات المطالعة. فليجلس الاثنين والثلاث منكم مع بعض وليقرأوا ويطالعوا ويُبرمجوا للكتب سوية.

والطلب الثالث هو أنّ مجتمعنا اليوم يقف في نقطة بالغة الحساسية. لا مراء في أننا نقف اليوم من حيث الحياة السياسية في منعطف خطير كبير الأهمية. ولو لم نتمكّن من اجتياز هذا المنعطف، فعلى الأجيال القادمة أن تذرف الدموع علينا.

يجب اليوم على كافة أبناء هذه المملكة التحلي بالوعي واليقظة والشعور والإدراك السياسي، ولاسيما على الشباب. ثمة كتبٌ في هذه المجالات تستعرض لنا قضايا مشابهه (حدثت) في بلدان أخرى؛ كتبٌ متعلقة بالشرق

الأوسط، وكتبٌ مرتبطة بالهند، وكتبٌ مختصة بأفريقيا، وكتبٌ لها صلتها بأمريكا اللاتينية. فخذوا كتبهم وطالعوها، فإن مصير الشعوب مُلهِمٌ للعِبَر. وهذا ما هو ضروري لكم في المرحلة الراهنة.

وفي سبيل أن تتمكّنوا من تحقيق هذا الإدراك والفهم والشعور السياسي اللازم، وبالمستوى المطلوب، في أنفسكم، ينبغي لكم أن تقفوا على مجريات الأحداث بكل تأكيد. مما يؤسف له أن وسائلنا الإعلامية العامة فاقدة للقيمة كلّيًا، ولا يمكن التعويل عليها. فإن من بلايا هذا الشعب هي أنه لا توجد في بلده محطة إذاعية وجهاز بثّ إذاعي أو تلفزيوني لا علاقة له بالأجهزة الحكومية، وكل ما هو موجود له صلته بأجهزة الحكومة، والأجهزة هذه مهما صرّحت، فمن الواضح أنها كيف ستصرّح! ستكون تصريحاتها بهذا المستوى وهو أنه لا يدّعي أحد بأني مجرم، ولا يدّعي أحد بأني لصّ، ولا يعترف أحد أمام الملأ بأني عدوّ وخصمٌ للناس، بل ألدّ الأعداء أيضًا يقول بأني صديق. ولو أراد أن يمارس عداءه بشكل صحيح عليه أن يقول بأني صديق.

لا يوجد جهاز إرسال بيد رجال الدين أو المثقفين المذهبيين أو الرجال السياسيين بغية أن يتمكّن الناس من الاستماع إلى الحقائق من خلاله. وهذه هي واحدة من صعوبات العمل، ولوجود هذه الصعوبة، يجب عليكم السعي للاطلاع على مجريات الأحداث الصحيحة بدقة. فاليوم حيث يريدون لنا ألّا نعرف، يجب علينا السعي لأن نعرف.

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس».. العالم بزمانه لا يتعرض لغارة ليلية ولا يُؤخذ على حين غرة ولا يُطعن بالخنجر من الخلف. فإن معظم الأخطاء تقع على أثر الجهل بالأوضاع والظروف والأجواء الاجتماعية.

حاولوا أن تطّلعوا على هذه الأجواء العظيمة والصاخبة والملتهبة عبر البيانات والأشرطة والأحاديث والمفاوضات والرحلات وعبر أي طريق آخر، واستثمروا حرارتها وأنوارها ما استطعتم للضخّ في أجوائكم وبيئتكم الباردة والكئيبة.. هذه هي توصيتي الأخرى.

علمًا بأن الكلام طويل، والتوصيات والطلبات كثيرة. منها تقوية علاقتكم مع بعض وتعزيز صلتكم بالحوزات العلمية. فعلى الشباب أن يحاولوا ربط الإخوة والأخوات بالحوزات العلمية، وأن يتواصلوا دومًا مع العلماء الأفاضل والثقاة الذين بوسعهم بثّ الأفكار الإسلامية التوعوية في الحوزات العلمية، وألّا يبتعدوا عن القضايا الإسلامية، وألّا يسمحوا للشبهات والإشكالات والشكوك أن تدبّ وتعشعش في صدورهم.

على أيّ حال يحدونا الأمل إن شاء الله أن يحظى ما قلناه وما سمعناه بالتطبيق والاهتمام من قِبَلنا جميعًا.

وأرى من الضروري أن أشكر كافة الإخوة والأخوات والأحباء الذين أفاضوا عليّ خلال مدة إقامتي هنا، والتي طالت شهرًا ونصف تقريبًا، باللطف والمحبة، وعبّروا عن خالص ألطافهم المعنوية والأخوية والودية. وأتمنى أن أزوركم ثانية إن شاء الله في مجالس أخرى إما هنا أو في مشهد، وأسأل الله أن يمنّ علي بتوفيق لقائكم، وأن نتمكّن مرة أخرى من مشاهدة ثمار أعمال بعضنا الآخر.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، سدّد قلوب الإخوة المسلمين للمزيد من التعارف والتعاطف مع بعض.

إلهنا! بمحمد وآل محمد، وفّق وأيّد إخواننا المسلمين وأخواتنا المسلمات في

هذا البلد.

إلهنا! أسبغ خيرك وفضلك ولطفك ورحمتك على هذا الجمع كله.

إلهنا! اِجعل فيما قلناه ربحًا وفائدة لأرزاقنا ومواصلة لطريق نضالنا وجهادنا.

واجعل حياتنا وقولنا وفكرنا وأداءنا وحصيلة عملنا لك وفي سبيلك، وتقبّل منّا بفضلك وكرمك.

إلهنا! عرّفنا على أصدقائنا والمخلصين لنا ومعلّمينا الصادقين.

إلهنا! وفّق وأيّد وانصر قادتنا الكبار الأجلّاء، ولاسيما قائدنا العظيم ورائدنا الجليل سماحة آية الله العظمى الإمام الخميني.

إلهنا! اِجعل طريقنا طريق الحسين.

إلهنا! عرّف المسلمين على أعدائنا وأعداء طريقنا وأعداء جمهورنا المسلم بما ينبغي.

إلهنا! اِقطع دابرهم.

إلهنا! أحبِط مؤامراتهم.

إلهنا! رُدّ كيدهم إلى نحورهم.

وتفضّل علينا جميعًا نحن المسلمين بقوة الجدّ والجهد والسعي والعمل.»

اقترن اليوم الثالث والعشرون من سبتمبر / أيلول، بنهاية فترة النفي؛ الفترة التي انقضت بعد مضي ٢٨٥ يومًا من الإقامة الجبرية، والحلوة في نفس الوقت، في مدينتي إيرانشهر وجيرفت.

ففي غرة صباح هذا اليوم من سنة ١٩٧٨، غادر السيد الخامنئي مدينة جيرفت، بمعية صديقه الوفيّ، أبي القاسم صدّيقي.

٥: الخريف ١٩٧٨

أبوالقاسم صدّيقي: «في اليوم الثاني والعشرين من سبتمبر / أيلول، ونزولًا عند طلب السيد، اتّجهتُ بمعية أحد أصدقائي خُفية إلى جيرفت. وكان من المقرّر، بعد خروجنا أنا والسيد من جيرفت سِرًّا، أن يأتي صديقي بسيارة السيد إلى بم. فذهب هو إلى دار أخته وأنا إلى دار السيد. وكانت الأمور كلها تجري هناك بصورة طبيعية، والناس أيضًا، كما هو ديدنهم المستمر، يترددون على داره، رغم أنهم كانوا على معرفة بانقضاء فترة نفيه. وعند حلول الساعة العاشرة (مساءًا) غادر الجميع، وبقيت أنا والسيد. فأغلقنا باب الدار، وبدأنا بجمع الأثاث والأمتعة. وكان أثاث السيد الخامنئي يفوق أثاث رجل دينٍ منفيّ بكثير، وذلك لما كان يُكنّه الناس من محبة ومودة تجاهه. فإن أغلب الذين كانوا يزورون السيد في جيرفت خلال فترة نفيه، كانوا يجلبون معهم الهدايا تسهيلًا لأمر معاشه.

جمعنا ما كان يمكن حمله في (سيارة) البيكان من الأمتعة الضرورية ووضعناه في السيارة. فسألت السيد: ماذا نصنع بما بقي من الأمتعة؟

قال: دعها تبقى هنا لسائر المنفيين إلى جيرفت.

جمعنا ما تبقّى من الأثاث والأمتعة في غرفة ووضعنا عليه حصيرة، ثم خلدنا إلى النوم. وفي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل استيقظنا للانطلاق إلى بم ومنها إلى كرمان. وكنتُ أنا والسيد كذلك على علمٍ بأننا قد نتعرّض لمحاولة اغتيال. قبل الركوب خاطبتُ السيد قائلًا: يراودني هاجسان، الأول أنهم قد يقتلوننا بالتالي في هذه الليلة، والثاني أنه قد يحدث حدثٌ فيقولون بأني كنتُ من رجال السافاك، وتغلغلتُ (بين صفوفكم) للنيل منكم! فابتسم السيد لكلامي هذا.

نطقنا الشهادتين وركبنا السيارة. وكان طريق جيرفت ـ بم ترابيًا ووعرًا جدًا. كنتُ حين السياقة حَذِرًا أُراقب الخلف وأراقب الأمام أيضًا لئلا تأتي السيارات دون إنارة. بعد ساعتين تقريبًا وصلنا إلى نفس (منطقة) ده‌بكري، فصلّينا فيها وانطلقنا ثانية. حتى وصلنا إلى بم قُبيل الصباح واتّجهنا إلى داري في تلك المدينة.

استقر السيد في غرفة منفصلة كانت في زاوية من البيت، وأنا أيضًا أتيتُ إليه بفطورٍ مشتملٍ على حليب وعسل، حيث أوصاه الأطباء بتناول الحليب والعسل لما يعانيه من قرحة المعدة.

استأذنتُ السيد بعد الاستراحة، أن آتي إليه برجل الدين في مدينتنا ليتحدث إليه قليلًا علّه يهتدي! وافق السيد على ذلك. ورجل الدين هذا هو نفسه صاحب قضية رفع الصلوات ثلاثًا بعد مجيء اسم الإمام (الخميني)، والذي نعته السيد بأنه يدخل في زمرة العوام وإن كان من العلماء ورجال الدين.

قبل حلول أذان الظهر بساعة جاء رجل الدين هذا، فعرّفته على السيد وتركت الغرفة. لم تمضِ إلا نصف ساعة حتى انتهى حديثهم وغادر رجل الدين المكان. بعد مغادرته، دعاني السيد وقال: صدّيقي! لا تبذلوا جهدكم في سبيل هذا الرجل، فإنه لا يدري أساسًا ما الذي يجري في إيران!»

بعد الخروج ليلًا من جيرفت والدخول إلى مدينة بم، أقام السيد الخامنئي في هذه المدينة وفي دار السيد أبي القاسم صدّيقي يومين وثلاثة ليالٍ. فالتقى خلال هذه الفترة بالأهالي ورَصَد أوضاع المدينة جيدًا، وعند المغادرة قال لصدّيقي: لم تضعف الحكومة بعدُ في مدينة بم ولم تعد الأغلبية فيها ثورية كما هو الحال في قم وطهران وغيرهما، والأوضاع هنا مازالت بينَ بينَ!

في منتصف الليلة الخامسة والعشرين من سبتمبر / أيلول، ترك السيد مدينة بم بمعية أبي القاسم صدّيقي قاصدًا مدينة كرمان.

وصل السيد الخامنئي إلى مدينة كرمان؛ إلى المدينة التي كان يحبّها حبًّا خاصًا، حيث كان يحمل في ذهنه ذكريات جميلة من أهاليها، وكان له فيها أناسٌ تربطهم به صلة وثيقة وحميمة، منهم الشيخ محمدجواد حجتي كرماني.[١]

لم تمضِ على وصول السيد إلى كرمان بضعة ساعات حتى جاءه أحد أولاد الشيخ عباس بورمحمدي.

علي أصغر بورمحمدي: «في أواسط شهر سبتمبر / أيلول، أصيب والدي بمرضٍ حادٍ وهو في المنفى، وكان يحتاج إلى عملية جراحية. ولم يكن بالمقدور إجراء هذه العملية في ميناء لنجة؛ المكان الذي كان والدي منفيًا فيه.

١. قسم الملحقات، الصورة في ص ٢٠٨.

فأخرجناه سرًا من هذه المدينة وجئنا به إلى كرمان لإجراء العملية. ولله الحمد فقد أُجريت العملية الجراحية في كرمان وتكلّلت بالنجاح. وحيث كان والدي يُمضي فترة النقاهة حتى تم إخباره بدخول السيد الخامنئي إلى كرمان، ففرح بهذا الخبر أيما فرحٍ وأرسل إليه. بعد أن وصلت رسالة الوالد إلى السيد، بادر سماحته إلى زيارة محل إقامة الوالد. وكان محلّ إقامتنا يومذاك في كرمان دارًا كبيرة ذات فناء نضر مليء بالأشجار، قد وضعها أحد تجار كرمان بين أيدينا. عندما دخل سماحة السيد إلى الغرفة، وبمجرّد أن رؤاه والدي نهض من فراشه واعتنقه! وقد انتعش الوالد إثر رؤية السيد وانفرجت أساريره لدرجة لم يكن ليصدّق المرء أنه ولتوّه خضع لعملية جراحية!»

نزولًا عند رغبة الحاج الشيخ عباس بورمحمدي وإصراره، بقي السيد الخامنئي في كرمان وفي محل إقامة الشيخ عباس يومين. الفترة التي انقضت تمامًا بالزيارات واللقاءات منذ الصباح وحتى المساء. فإن أهالي كرمان الذين كانوا على معرفة سابقة بالسيد، انتهزوا فرصة هذين اليومين وتوافدوا لزيارته.

ثم اتّجه السيد الخامنئي من كرمان إلى يزد وحلّ ضيفًا عند آية الله الشيخ صدوقي. وبعد أن شاهد نشاطات الشيخ عن كثب، ازدادت علاقته به أضعافًا مضاعفة.

«في طريق العودة من المنفى، وفي وسط الطريق، حللتُ ضيفًا عند سماحته (آية الله الشيخ صدوقي) لعدة أيام. وشاهدتُ هناك جهده ونشاطه عن كثب، فراقني وضعه كثيرًا. حيث كان سماحته قد جمع بين الشجاعة والدقة والعمل الدؤوب والسعي الحثيث، وكان يمارس دور قائدٍ حقيقيٍ في المدينة.

إذ كان حقًا يرشد الناس ويحثّهم على الحركة، وبذلك في الحقيقة كان يحافظ على أجواء الكفاح والنضال في بقعة من بقاع هذا البلد. ولم يكن جهده ليقتصر على (مدينة) يزد، بل كان على تواصلٍ مستمر واستشارة دائمية مع أصفهان وشيراز وكرمان وخراسان وطهران وقم. فكان عبر الهاتف يقدّم مقترحه ويُدلي برأيه ويأخذ رأي (الآخرين) ويتواصل معهم على الدوام.[١] وخلاصة الأمر أنه كان رجلًا نشيطًا دؤوبًا.» ١٩٨٣/٤/٢٣

«عندما رأيتُ مسجده وجدتُ وكأنه خارج عن نطاق الأجواء الخانقة في البلد! حيث كانت البيانات تُلصق في مسجده، وهي بيانات ذات مضامين تحريضية للغاية، وكان الجميع يأتي ويقرؤها. وأتذكّر على سبيل المثال المقارنة التي جرت فيها بين كلفة الدبابات والطائرات والمعدات العسكرية التي كان الجهاز يدفعها من أموال الناس ويجنّدها ضدّهم، وبين كلفة المدارس والمستشفيات ونحوهما التي يمكن دفعها من أموال الناس وتوظيفها لصالحهم كشيء نافع وناجع. هذه (مقارنة) كانت قد كُتبت على لوحة كبيرة جدًا وأُلصقت على زجاجة رواق المسجد، والناس بدورهم كانوا يقرأونها ويتداولون الحديث فيما بينهم بشأنها. أو على سبيل المثال طريقة صناعة كوكتيل مولوتوف أو الرمانة اليدوية لمواجهة أزلام النظام! وهي ما كانوا قد ألصقوها خلف زجاجة الرواق، والناس تأتي وتقرؤها بكل سهولة، دون أن يجرأ أحد من رجال الدرك والشرطة على الدخول إلى هذا المسجد واقتلاعها.

---

١. كتاب ضخم يتألف من جزأين اسمه «گفت و شنود» (مكالمات) صادر عن مركز وثائق الثورة الإسلامية، يتضمن التنصّت على المكالمات الهاتفية التي جرت في دار الشهيد آية الله صدوقي، وهي تنبئ جيدًا عن الحجم الكبير لاتصالاته.

وسماحة الشيخ بنفسه كان ليليًّا يرتقي المنبر ويُرشد الحشود المتوافدة إلى مسجد حظيرة ويُدلي بمسائل مناهضة للجهاز (الحاكم) وللقيادات العسكرية و... بكل صراحة.» ١٩٨٢/٨/٢

«كان سماحته ممثلًا عن الإمام (الخميني)، وكان قائدًا وإمامًا للناس بكل معنى الكلمة، وكان يقود الناس تحديدًا. وأساسًا رأيتُ أوضاع يزد تجري بطريقة أخرى. وشاهدتُ هنا بلدًا آخر.. بلدٌ يحكمه ويقوده الشيخ صدوقي، وهو الذي يُدير شؤون الناس برمتها. علمًا بأن مخفر الشرطة ومقر المحافظة وعمدة المدينة و... كانت طاغوتية هناك! والجميع مايزال موجودًا، بيد أنّ وجودهم قد فقد معناه ومفهومه أساسًا إلى جانب وجود الشيخ صدوقي! إذ كانوا لا شأن لهم بالأمور، وكانت مقاليد المدينة بيد الشيخ. ورأيتُ هناك معنى القيادة ومفهومها الذي قد تجسّد عمليًا. حيث كانت مسائل الناس وشؤونهم بأسرها تُحال إليه، وكان سماحته في كل مسألة يُدلي برأيه الحاسم الذي ينير أفكار الناس. وما من قضية تمرّ بالشكّ والتردّد والصمت وقول لا أعلم. فقد كان يتسم بسمة القيادة.»[١] ١٩٨٢/٧/٤

«خلال تلك الأيام القلائل التي كنتُ قد حللتُ فيها ضيفًا عند سماحته، وجدتُ غرفة ضيوفه دومًا ما كانت محلًا لتردّد الناس والشباب: واحد له شغل معه، والآخر يهمس الحديث بأذنه، وثالث يريد بيانًا، ورابع لديه سؤال، وخامس جاء له بخبر من مكان ما. والشيخ كان يدير كل هذه الموارد ببالغ الصبر والأناة. وأحيانًا تندلع مشكلة في مدينة من مدن

١. لاكتساب المزيد من المعلومات بشأن آية الله الشيخ صدوقي ودوره في الثورة الإسلامية، راجع كتاب «انقلاب اسلامى در يزد» (الثورة الإسلامية في يزد) الصادر عن منشورات مركز وثائق الثورة الإسلامية.

المحافظة فيعالج المشكلة بتدبيره.. هذا ما شاهدته خلال الأيام التي أمضيتها في يزد.» ٢٠٠٢/٦/١٠

في آخر يوم من تواجد السيد الخامنئي في يزد، قصد مدينة أردكان لتجديد اللقاء بآية الله السيد روح الله خاتمي. حيث اتّجه إلى هذه المدينة بسيارته البيجو ٤٠٤ وبمعية أبي القاسم صدّيقي، فوصل إليها ظهرًا ونزل ضيفًا عند آية الله خاتمي حتى الساعة التاسعة مساءًا.

«رحم الله المرحوم السيد خاتمي (رضوان الله عليه). فقد وصلتُ بخدمته عام ١٩٧٨، وأنا في طريق العودة من المنفى. حيث كان آنذاك قد ناهز السبعين من عمره. وكان يقول: «أنا لا أشعر بنفسي، حيث أقول باللسان إني أصبحتُ شيخًا كبيرًا، ولكني لا أستشعر ذلك، وإنما أرى نفسي وكأني ابن ثلاثين أو خمس وثلاثين عامًا.» فالتقيتُه بعد سنوات وقلتُ له: «ذات يومٍ تحدّثتَ إليّ عن هذه المسألة، فهل تحمل اليوم نفس ذلك الشعور؟ قال: نعم، أحمل نفس ذلك الشعور»» ٢٠٠٤/١١/١٠

بعد أن التقى بآية الله خاتمي، عاد السيد الخامنئي إلى يزد وبات في دار آية الله صدوقي ليلًا. وكان يرغب كثيرًا بعد إطلاق سراحه وانتهاء فترة النفي أن يسافر ثانية إلى إيرانشهر، ويجدّد اللقاء بالمدينة وبأصحابه ورفاقه من أهالي إيرانشهر، غير أن برامجه ولقاءاته المكثّفة من جانب، واتصالات أصدقائه المشهديين المتكررة في الإسراع بالعودة إلى مشهد من جانب آخر، حالت دون ذهاب السيد لزيارة إيرانشهر وأهاليها. فكتب في نفس تلك الليلة رسالة إلى أحد أصدقائه في إيرانشهر؛ رسالة مفعمة بالودّ والمحبة.

«باسمه تعالى

الإخوة الأعزاء والرحماء! أسأل الله الجليل أن يمنّ عليكم أنتم الأحبة بالبهجة والتوفيق والعزة، ويحدوني الأمل في ظلّ لطف الله وهدايته أن تتمكّنوا من رؤية طريق الحق وسلوكه على الدوام، وأن تحالفكم وتساعدكم على ذلك الأجسام والأوضاع والأحوال بما يجاري شوقكم وإرادتكم ورغبتكم.

منذ الساعات الأولى التي سمعتُ فيها بخبر انتهاء فترة الإقامة الجبرية في جيرفت، عزمت على المبادرة للسفر إلى إيرانشهر واللقاء بكم في أقرب فرصة، مجدّدًا بذلك ألطاف أولئك الأعزة الوافرة والكريمة، وبغية الاطلاع على جهودكم ومساعيكم في خصوص المكتبة وصندوق القرض الحسن وقروض المنكوبين بالسيل، واليوم للأسف حيث يمضي على خروجي من المنفى أكثر من أسبوع، تتالت عليّ اتّصالات رفاقي من مشهد تحثّني على الإسراع في الذهاب إلى تلك المدينة، وكثرت مشاغلي في الطريق ولقاءاتي بالأحبة في بم وكرمان ورفسنجان ويزد، بحيث حالت بيني وبين المجيء إلى إيرانشهر. علمًا بأني عقدتُ العزم على أن أنتهز أدنى فرصة وأن أبادر لزيارة تلك الديار واللقاء بالأحبة في المستقبل غير البعيد. وهذا هو اليوم الثالث وأنا في يزد، ومن المقرّر بعد بضع ساعات أن أتّجه باتجاه طهران.

حاليًا أجدّد سلامي الحارّ لكم ولإخواني الأعزاء السادة ناروئي وترابي ونبوي وحبيبي وزهرائي وميرأوليائي وسائر الأحباء الحاضرين دومًا في ذهني وقلبي، وكذلك لعوائلهم وأولادهم الأعزاء، وأختم الرسالة على أمل اللقاء.

التوقيع

مشهد ـ سرشور زقاق فريدون ـ الرقم ١٤»

أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٨، رسالة السيد الخامنئي إلى رفاقه في إيرانشهر بعد إطلاق سراحه من النفي

في صبيحة اليوم الذي كان من المقرر أن يغادر السيد فيه يزد للذهاب إلى طهران، طلب من أبي القاسم صدّيقي أن يأخذ بسيارة البيجو إلى طهران ويسلّمها بيد صاحبها الرئيسي.

أبوالقاسم صدّيقي: «أوكل السيد أمر السيارة لي في سبيل أن أعيدها إلى صاحبها الرئيسي، الحاج أحمد قديريان. علمًا بأن الحاج قديريان كان قد اشترى السيارة باسم السيد، بيد أنّ السيد حينذاك لم يكن مطّلعًا على هذا الموضوع.

كما وتقرّر أن ينطلق السيد من يزد إلى طهران بالطائرة، لكي يعود منها إلى مشهد. وعندما حان وداع السيد، اختنقتُ بعبرتي وأجهشتُ بالبكاء. لأنّ السيد في المنفى، كان مكانه محدّدًا وكان بمقدوري لقاؤه بسهولة، ولكني عند الوداع ظننتُ أنّ العثور عليه سوف لن يكون بهذه البساطة، وهذا هو حال الكثير ممن صادَقَ سماحة السيد ورافَقَه في فترة النفي.»

نزل السيد الخامنئي بادئ ذي بدء في طهران ضيفًا عند الحاج محمدرضا اعتماديان، وهو يزديّ الأصل، وكان من التجار المتدينين والمناضلين والناشطين في طهران، كما وكانت تربطه بآية الله الشيخ صدوقي صلة وثيقة وحميمة، حتى أنه في نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٧٨، رافق الشيخ في رحلته إلى باريس لزيارة الإمام الخميني.

محمدرضا اعتماديان: «أُطلق سراح آية الله الخامنئي من المنفى واتّجه صوب يزد. فاتّصل بي السيد دستمالجيان وقال بأن السيد يريد المجيء إلى طهران ولربما مكث فيها عدة أيام. فاذهب لاستقباله وهيّء له مكانًا للمكوث فيه ثم وفّر له وسيلة الذهاب إلى مشهد، فسُررتُ كثيرًا. وبادرت إلى استقباله بمنتهى الشوق والرغبة، وجئتُ بسماحته إلى دارنا ليلًا وبقينا في خدمته. ثم راودتني فكرة وهي الطلب من سماحته لأن ندعو الأصدقاء والأقرباء ونعقد جلسة. فقلت له: نحن

مجموعة نعقد الجلسات، فلو سمحتم بمجيئهم إلى هنا للاستماع إلى حديثكم.
رحّب سماحته بذلك وقال: إن لم يتسبّب هذا الأمر في مضايقتكم فلا إشكال في ذلك. وكان من الواضح أنه يرغب في اغتنام الفرص وطرح المسائل. فدعوتُ عددًا محدودًا من الأصدقاء الذين لم يبلغ عددهم خمسين شخصًا تقريبًا، وجاؤوا إلى المنزل.
أدلى سماحته بكلمة رائعة على ذلك الجمع المحدود، وكانت كلمة توعوية كاشفة للحقائق بكل معنى الكلمة. وأتذكّر أنه استهلّ حديثه بهذه الكلمات: «بسم الله الرحمن الرحيم.. نحن ماذا نقول؟ لماذا حُكِم عليّ بالنفي؟ لماذا نفيتُ ثمانية أشهر إلى إيرانشهر وكذا مدة إلى جيرفت؟ على أي شيء يقوم الاختلاف بيننا وبين الجهاز (الحاكم)؟» ثم بيّن لذلك الجمع هدف المجاهدين في هذه النهضة الإسلامية بكل جلاء ووضوح.
وأولئك الذين جاؤوا إلى دارنا، حين أرادوا الخروج من المنزل شعروا وكأنهم أشخاص آخرون، يختلفون عمّا كانوا عليه حين المجيء.»[١]

ذهب السيد الخامنئي في طهران إلى زيارة صديقه الحميم ورفيقه في الدرب آية الله السيد محمد بهشتي. وفي هذا اللقاء اتّخذا القرار على أن يجمعوا بعد أعوام أعضاء جلسة تدوين المنشور الإسلامي مرة أخرى وأن يعقدوا اجتماعًا في هذا المضمار.
السيد محمود طالقاني، ومحمدجواد باهنر، ومرتضى مطهري، وعلى أكبر هاشمي رفسنجاني، ومهدي بازركان، وجلال الدين فارسي، كانو يشكّلون عددًا من أعضاء جلسة تدوين المنشور الإسلامي، وقد عُقد أوّل اجتماع لهم في طهران عام ١٩٦٩.

١. مقتبسة من مقابلة الحاج محمدرضا اعتماديان مع مركز وثائق الثورة الإسلامية.

وكانت تهدف هذه الاجتماعات إلى دراسة وتقديم مشروع إسلامي موسوم بالمنشور الإسلامي في قبال البيان الرئيسي للشيوعية.
وحيث عُقد الاجتماع في أكتوبر / تشرين الأول، قال السيد الخامنئي مخاطبًا أعضاء الجلسة: «نحن نتحدث عن الرؤية الكونية الإسلامية وتدوينها وفي طور إعدادٍ وتنظيمٍ بعيد المدى. والعمل هذا لا يتناسب مع الأحداث والاضطرابات الحالية. فلابد أن تتناغم إجراءاتنا مع النهضة الاجتماعية القادمة.» فرحّب جميع الأعضاء بهذا المقترح.

وفي أواسط أكتوبر / تشرين الأول، وبعد ابتعادٍ طال عدة أشهر عن مشهد المقدسة، عاد السيد الخامنئي إلى مسقط رأسه. ومشهد التي كانت كسائر المدن الإيرانية ساخنة ومضطربة وفي متن الثورة، كانت بأمسّ الحاجة إلى حضور السيد علي الخامنئي أكثر من أي وقت آخر؛ إلى حضور قائدٍ شابٍ قد عُرف بـ«خميني خراسان».

وبعد أعوام من الجهاد والنضال والنفي والشدة، أثمرت جهود الإمام الخميني وأنصاره وانتصرت الثورة الإسلامية.
بعد انتصار الثورة لم يطل لقاء السيد الخامنئي ثانية بأهالي إيرانشهر كثيرًا. ففي التاسع والعشرين من مارس / آذار عام ١٩٧٩، أي قبل ثلاثة أيام من إجراء الاستفتاء لتغيير النظام إلى الجمهورية الإسلامية، كلّف الإمام الخميني السيد الخامنئي بمهمة الذهاب إلى محافظة سيستان وبلوشستان بالنيابة عنه:

«بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة المستطاب حجة الإسلام السيد علي الخامنئي دامت إفاضاته
لقد كان الإخوة والأخوات من أهالي منطقة سيستان وبلوشستان طوال

الخمسين عامًا الماضية من عمر النظام البهلوي السفاك هدفًا للظلم والجور، لذا أدعو سماحتكم للتوجّه إلى تلك المنطقة وتقصي مطالب أهاليها المحترمين وتقديم تقرير لي وللجهات المسؤولة عن توقّعات أبناء تلك الديار البواسل.

أسال الله أن يمنّ بالتوفيق عليكم وعلى أبناء تلك المناطق الشجعان.

كما وأدعوكم لتبيين الثورة الإسلامية في إيران التي استجابت لمطاليبهم وكذلك حثّهم على المشاركة في الاستفتاء.

والسلام عليكم، روح الله الموسوي الخميني»[١]

أوصل السيد الخامنئي خلال سفره هذا رسالة الإمام والثورة إلى مختلف أنحاء محافظة سيستان وبلوشستان، وبثّ الأمل في نفوس الناس تجاه الثورة وثمارها.[٢]

وخلال هذا السفر الذي رافقه فيه الشيخ كاظم راشد يزدي والشيخ عباس بورمحمدي أيضًا، لم يفوّت السيد فرصة الحضور في إيرانشهر والمبادرة لزيارة أهاليها.

وفي عام ١٩٨٥، سافر آية الله السيد الخامنئي ثانية إلى إيرانشهر، وذلك إبّان رئاسته للجمهورية في النظام الإسلامي. وكانت الرحلة الثالثة في عام ٢٠٠٢ وفي فترة القيادة. كما استضافت مدينة جيرفت أيضًا سماحة الإمام القائد للمرة الثانية في سنة ٢٠٠٥، خلال زيارته محافظة كرمان.[٣]

السفر الأخير إلى إيرانشهر، وتجديد اللقاء بأهاليها، شكّل فرصة لاستعراض الذكريات الحلوة خلال فترة النفي:

قبل اللقاء بالناس في الملعب، توجّه سماحته إلى مقبرة الشهداء. أخذ يترنّح قليلًا عند كل قبر ويقرأ الفاتحة ثم سأل خادم المقبرة: «كم عدد

١. صحيفة الإمام الخميني، ج ٦.

٢. جدير بأن يتم التناول لمجريات هذا السفر وأحداثه في كتاب منفصل وذلك لكثرة تفاصيلها وأهميتها.

٣. قسم الملحقات، الصورة في ص ٢١٩ – ٢٢٤.

الشهداء المدفونين هنا؟» أجاب الخادم: ١٩٣ شهيدًا.

ومن بعدها استفسر السيد عن مقبرة إيرانشهر القديمة، فأشار الخادم إلى مكان بعيد. نظر السيد وكأنه تذكّر الماضي، فقال متسائلًا: «هذا المكان باتجاه بمبور؟» وبدأ الخادم يجيب موضّحًا.

البرنامج التالي هو الحضور بين الحشود المتوافدة على الملعب من أهالي إيرانشهر. فقد كان الاستقبال في إيرانشهر أمرًا لا يُصدَّق. يا تُرى كم لهذه المدينة من نفوس؟ كان الملعب مكتظًّا بالجماهير، والناس مازالت تتوافد عليه من هنا وهناك لحظة بعد لحظة. فقد جاء الناس لاستقبال نزيلهم القديم بكل شوق وتوق وحماس. وكانت لافتاتهم وهتافاتهم: «يا زهر الربيع.. حللت أهلًا ووطأت سهلًا».

وفي بداية هذه المراسم، ألقى المولوي قمرالدين ملازهي، رغم كِبَر سنّه، خطبة بليغة جدًا رحّب فيها بسماحة السيد قائلا: «خاطب الناس رسول الله في المدينة قائلين بأننا على استعداد لمقارعة القوى العالمية برمتها بين يديك، ونحن نردّد أيضًا نفس هذا القول.»

وخلال حديثه مع أهالي إيرانشهر، أحال سماحة السيد الناس إلى ذاكرتهم التأريخية:

«بعد أن ضرب السيل مدينة إيرانشهر وقمنا بمساعدة المنكوبين، توطّدت علاقتنا مع الناس وتغلغلت إلى أعماق المجتمع. وهذا يعني أن المرء بمقدوره توثيق الصلة بالناس من خلال العمل لا من خلال القول! ومن بعد ذلك تكوّنت لنا علاقة حميمة مع العلماء والناس والمثقفين بالقدر المستطاع. أنا أرى بأنّ إيرانشهر مني وأنا من إيرانشهر، وأحبُّ هذه المدينة كحبّي لمكان سُكناي ومحلّ إقامتي.»

الفصل الثالث

الملحق ١

الهامش

الشهيد آية الله الشيخ محمد صدوقي ﷺ

ولد في مدينة يزد عام ١٩٠٨. كان من المناضلين السياسيين ومن أنصار الإمام الخميني قبل الثورة الإسلامية وكان ممثلًا عن الإمام في محافظة يزد وإمام جمعةٍ في هذه المدينة بعد الثورة. كما وكان ممثلًا عن أهالي يزد في مجلس خبراء الدستور. استشهد آية الله الشيخ صدوقي، شهيد المحراب، في ١٩٨٢/٧/٢ (العاشر من شهر رمضان) بعد أداء صلاة الجمعة، على يد زمرة المنافقين الإرهابية. قال الإمام الخميني في شأنه: «الفقيه الملتزم والمضحي للإسلام، الشهيد صدوقي العزيز، شهيد عظيم كان حاضرًا في جميع ساحات الثورة، وكان ناصرًا ومعينًا للملهوفين.»

الشهيد السيد عبد الكريم هاشمي نجاد ﷺ

ولد في مدينة بهشهر من محافظة مازندران عام ١٩٣٢. كان من كبار قادة الكفاح الثوري في مشهد حتى اعتُقل في هذا الطريق وزجّ في السجن خمس مرات. عُهدت إليه بعد انتصار الثورة أمانة حزب الجمهورية الإسلامية في مشهد. وأخيرًا تم اغتياله على يد المنافقين ونال الشهادة في ١٩٨١/٩/٢٩.

قال الإمام الخميني في حقه: «كنتُ أعرف الشهيد هاشمي نجاد عن كثب، وقد تلمّستُ خصاله والتزامه، ومراتب فضله وجهاده لا تخفى على من يعرفه.»

الشهيد السيد فخر الدين رحيمي ﷺ

ولد في مدينة خرم آباد من محافظة لرستان عام ١٩٥٣. بدأ بنضاله ضدّ النظام الحاكم عند انطلاقة نهضة الإمام الخميني، وتعرّض في هذا الطريق مرارًا للسجن والنفي.

بعد انتصار الثورة الإسلامية بذل جهده لإرساء النظام الجديد في لرستان، ودخل مجلس الشورى الإسلامي ممثلًا عن أهالي ملاير.

في ١٩٨١/٦/٢٨ سقط مضرّجًا بدمائه عبر انفجار مكتب حزب الجمهورية الإسلامية الذي نفّذته منظمة المنافقين الإرهابية إلى جانب سائر شهداء تلك الحادثة.

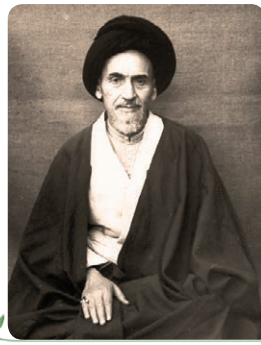

آية الله السيد محمد هادي الميلاني ﷺ

ولد في النجف عام ١٨٩٣. أقام في كربلاء حتى سنة ١٩٥٤ يدرّس فيها العلوم الدينية، ثم شدّ رحاله إلى مشهد وتسبّب في ازدهار الحوزة العلمية هناك. يقول الإمام الخامنئي في شأنه: «انتقل آية الله الميلاني(رضوان الله تعالى عليه) من كربلاء المحاذية للنجف إلى مشهد وأسّس فيها حوزة علمية كبرى، وهذه حقيقة. فإن وجود المرحوم آية الله الميلاني يعتبر حقًا من البركات الإلهية لحوزة مشهد... جاء سماحته إلى مشهد وأنزل البركات فيها.» (١٩٩٤/٩/١١). توفي آية الله السيد الميلاني في أغسطس / آب سنة ١٩٧٥، ودُفن بجوار مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

الشيخ محمد مهدي رباني أملشي ﷺ

ولد في مدينة أملش من محافظة كيلان عام ١٩٣٤. بسبب نشاطه ضدّ النظام البائد اعتُقل سبع مرات. ذاق طعم النفي في شوشتر وفردوس وشهربابك وجيرفت. بعد الثورة أصبح المدعي العام للبلد، وعضو مجلس صيانة الدستور، ونائب رئيس مجلس الشورى، وعضو مجلس خبراء القيادة. على أثر رحيله كتب رئيس الجمهورية آنذاك، آية الله العظمى السيد الخامنئي رسالة تعزية إلى الإمام الخميني قال فيها: «فقدان هذا العالم الجليل أحدث للبلد والثورة ثلمة لا يسدّها شيء. كان رجلًا مؤهلًا وخدومًا، ينظر إلى المسؤوليات الكبرى التي تُناط إليه بعين الوظيفة الإسلامية والثورية.» (١٩٨٥/٧/١٠)

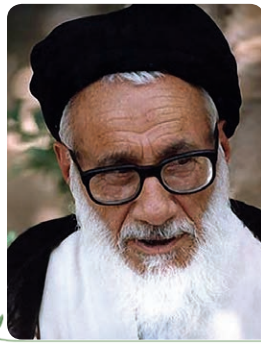

آية الله السيد روح الله خاتمي ﷺ

ولد في مدينة أردكان من محافظة يزد سنة ١٩٠٦. مارس نشاطه ضدّ حكومة رضاشاه الأب في أردكان، ثم التحق منذ عام ١٩٦٢ بصفوف المجاهدين في النهضة الإسلامية، وأضحى أحد أركان الثورة الإسلامية في يزد وأردكان. بعد الثورة أصبح إمام جمعة أردكان وممثلًا عن أهالي يزد في مجلس خبراء الدستور. وبعد استشهاد الشهيد صدوقي، عُهدت إليه إمامة الجمعة في يزد. توفّي في ١٩٨٨/١٠/٢٧، وقال الإمام الخميني في حقه: «كان أخي العزيز خاتمي ذو القلب العامر وجهَ النضال الساطع الذي لا يعرف الكلل للعلماء من ذوي الضمير الحي خلال العقود الأخيرة في هذا البلد.»

الشيخ عبد الرحيم رباني شيرازي ﷺ

ولد سنة ١٩٢٢ في مدينة شيراز. بسبب نشاطه ضدّ النظام البائد تعرّض للاعتقال والسجن والنفي عشرات المرات. دخل بعد انتصار الثورة في مجلس خبراء الدستور ومجلس صيانة الدستور. على أثر رحيله في سنة ١٩٨١، أصدر الإمام الخميني نداءً قال فيه: «كان المرحوم المجاهد السعيد رباني شيرازي، الذي يرقد الآن في جوار الحق والذي حُرمنا من بركات وجوده، قد وقف طوال حياته الشريفة، سواء قبل الثورة أو بعدها، ضد الباطل والأباطيل دون أن ينثني، وصمد في السجون وأمام التعذيب وفي الظروف الصعبة بصلابة الإنسان الملتزم.»

الشيخ عباس واعظ طبسي ﷺ

ولد سنة ١٩٣٥ في مدينة مشهد. كان من كبار قادة النضال الثوري في مشهد حتى اعتُقل في هذا الطريق وزجّ في السجن عدة مرات. قدّم خدماته للنظام الإسلامي بعد الثورة في سدانة الروضة الرضوية المقدسة وفي ممثلية الولي الفقيه وفي إدارة حوزة خراسان العلمية وفي مجلس خبراء القيادة وفي مجمع تشخيص مصلحة النظام. توفّي في ٢٠١٦/٣/٤. قال الإمام الخامنئي بشأنه في جانب من نداء تعزيته: «لقد كان لي أخًا مواكبًا قلبًا ولسانًا، ومريدًا صادقًا للإمام الخميني الراحل، وخادمًا ثابتًا ودؤوبًا للثورة.» (٢٠١٦/٣/٤)

الشيخ محمد جواد حجتي كرماني

ولد سنة ١٩٣٣ في مدينة كرمان. كان من كبار المجاهدين في الثورة الإسلامية. قضى ما يربو على عشر سنوات من سنيّ شبابه في سجون الظلم الطاغوتي وما يقرب من عشرة أشهر أيضًا في النفي.

بعد انتصار الثورة الإسلامية أصبح أول إمام جمعة في مدينة كرمان. وكان لعدة دورات نائبًا في مجلس الشورى الإسلامي ونائبًا في مجلس خبراء القيادة. كما وأصبح مستشارًا ثقافيًا لرئيس الجمهورية ما بين سنتي ١٩٨٤ و١٩٨٩ في عهد رئاسة الإمام الخامنئي. وهو في الوقت الحاضر عاكفٌ على التحقيق والتأليف.

السيد علي موسوي شالي ﷺ

ولد سنة ١٩٣٦ في مدينة شال من محافظة قزوين. كان من تلامذة الإمام الراحل ومن الناشطين في مواجهة النظام البائد.

بعد انتصار الثورة الإسلامية تولّى إمامة جمعة مدينة كرمسار. لعب دورًا جادًا في تأسيس الجماعات المذهبية وبذل جهودًا حثيثة لتشكيل الدروس الدينية في كرمسار.

بسبب ما كان يتمتع به من شخصية شعبية، حظي باهتمام أهالي كرمسار الخاص، ولم تتضاءل حالة زهده وشخصيته الشعبية أبدًا. توفي في مدينة قم عن عمر ناهز السبعين.

الشيخ محمد كاظم راشد يزدي

ولد سنة ١٩٣٧ في مدينة يزد. كان من المجاهدين في الثورة الإسلامية. ما بين سنتي ١٩٧٢ و١٩٧٤، نُفي لمدة سنة إلى ميناء كناوة ولمدة سنة أيضًا إلى مدينة كلبايكان بمعية آية الله الشيخ علي المشكيني. وفي سنة ١٩٨٧ نفي إلى مدنية إيرانشهر ورافق الإمام القائد وأقام في داره لمدة خمسة أشهر. بعد انتصار الثورة الإسلامية مارس في الأعم الأغلب النشاطات التبليغية وإلقاء المحاضرات وارتقاء المنابر والأعمال الثقافية. وفي الحال الحاضر يسكن مدينة مشهد ويرتقي المنابر فيها ويؤمّ الجماعة كذلك في أحد صحون حرم الإمام الرضا عليه السلام.

الحاج أحمد قديريان ﷺ

ولد سنة ١٩٣٤ في مدينة طهران. كان من تجّار المدينة واعتُقل مرارًا طيلة سنوات الكفاح. مارس نشاطه بعد الثورة في الحرس الثوري وفي السلطة القضائية وفي مقر رئاسة الجمهورية وفي مكتب قائد الثورة الإسلامية. توفّي في يونيو/حزيران سنة ٢٠١٢. قال الإمام الخامنئي بشأنه في جانب من رسالة تعزيته: «ذكرى خدمات ذلك المرحوم الخالصة للثورة خلال سنوات النضال العصيبة وبعد انتصار الثورة وحتى يومنا هذا لا تقلع عن الأذهان أبدًا. وهي في ميزان عدل الله وفضله ستستنزل شآبيب رحمته ومغفرته إن شاء الله.» (٢٠١٢/٦/١٦)

الملحق ٢

صور

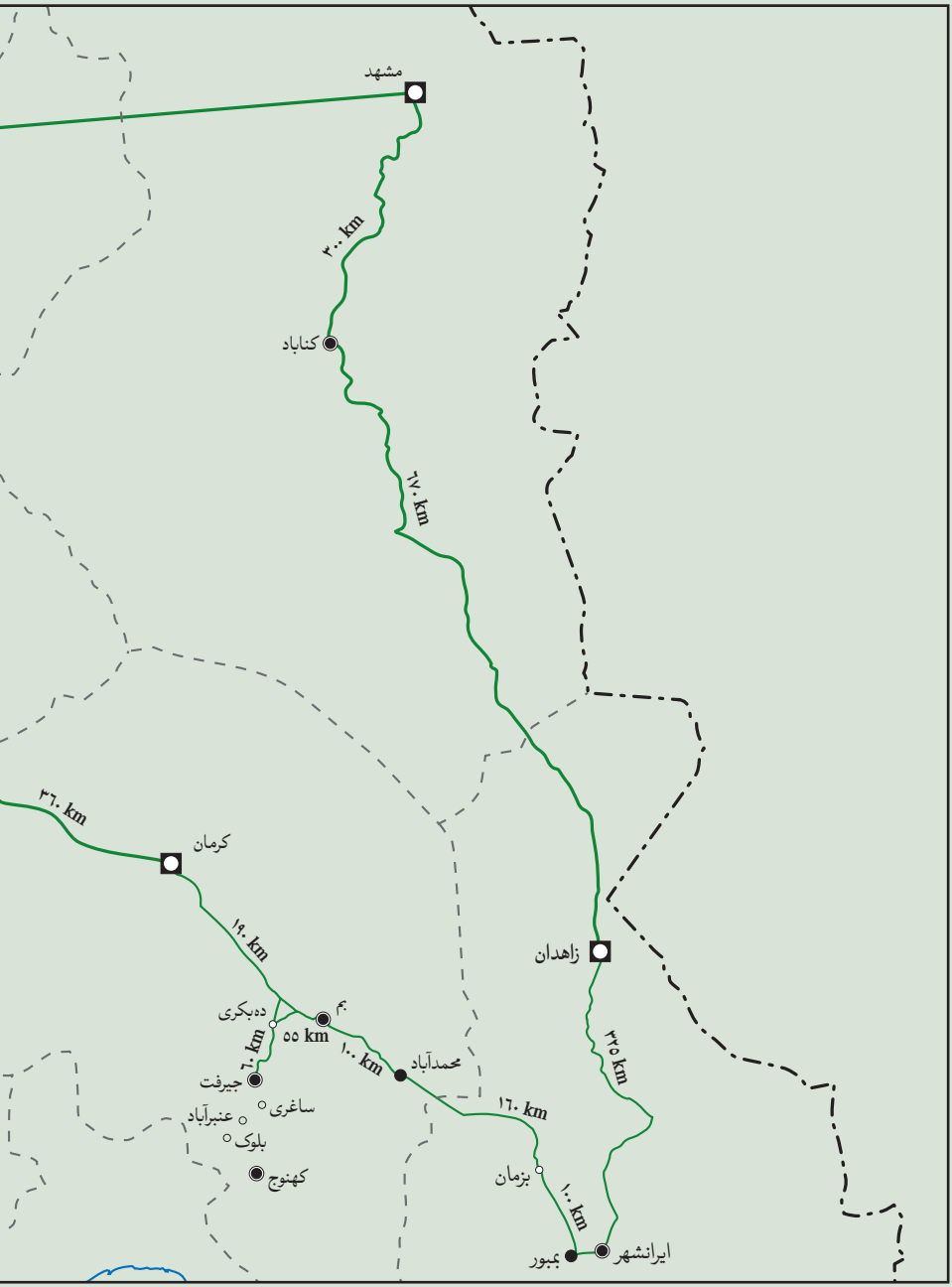
مشهد
۳۰۰ km
کناباد
۶۷۰ km
زاهدان
۳۶۰ km
کرمان
۱۹۰ km
۲۲۵ km
ده‌بکری
۴۰
۵۵ km
۶ km
۱۰۰ km
محمدآباد
جیرفت
ساغری
عنبرآباد
بلوک
کهنوج
۱۶۰ km
بزمان
۱۰۰ km
بمبور
ایرانشهر

في ١٤ ديسمبر / كانون الثاني ١٩٧٧، اعتُقل الإمام الخامنئي في مدينة مشهد، وبعد خمسة أيام اتّجه برفقة عدد من رجال الدرك صوب إيرانشهر، حتى وصلوا إلى تلك المدينة في التاسع عشر من ديسمبر / كانون الثاني. وفي طريقه إلى إيرانشهر، توقّف في مدينتي كناباد وزاهدان. وعلى مدى إقامته الجبرية في إيرانشهر، سافر إلى العديد من مناطق محافظة سيستان وبلوشستان منها: بمبور وبزمان ومحمدآباد. وفي الثالث عشر من أغسطس / آب ١٩٧٨، نُقل إلى منفاه الجديد جيرفت. كما وتوقّف في طريقه إلى جيرفت، في منطقتي بم وده‌بكري. وخلال إقامته الجبرية في جيرفت، زار مختلف المناطق منها: كهنوج وعنبرآباد وبلوك وساغري.

في الثالث والعشرين من سبتمبر / أيلول، وبعد الإفراج عن ساحته وانتهاء فترة النفي، اتّجه بادئ الأمر إلى مدينة بم وأقام فيها يومين. ثم توجّه إلى مدينة كرمان وبقي فيها بضعة أيام. ومن بعدها زار مدينة يزد ومكث فيها أيامًا كذلك، وذهب خلالها إلى مدينة أردكان. ثم ترك يزد متجهًا بالطائرة إلى طهران، وبعد بضعة أيام غادر طهران باتجاه مسقط رأسه مدينة مشهد المقدسة.

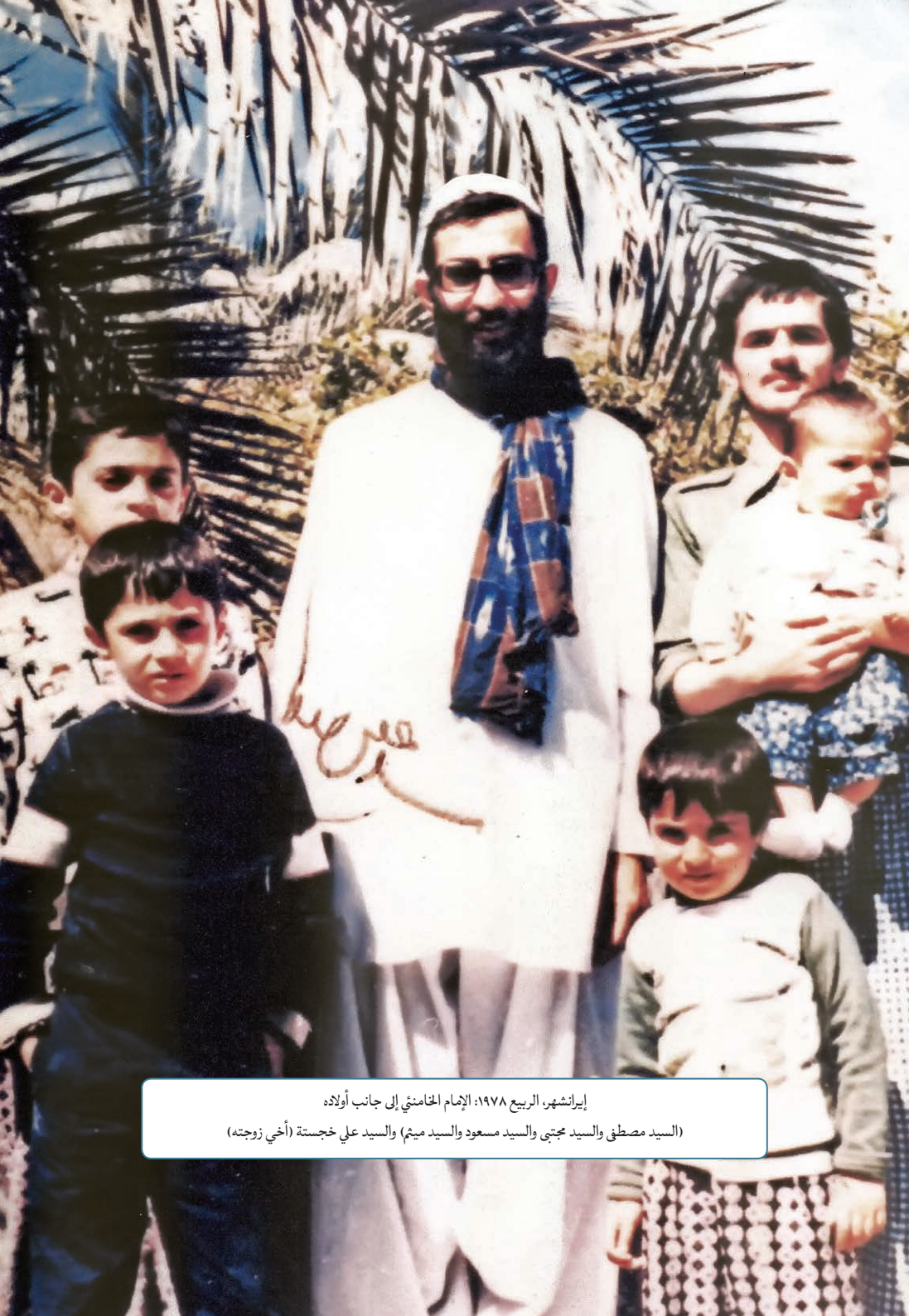

إيرانشهر، الربيع ١٩٧٨: الإمام الخامنئي إلى جانب أولاده
(السيد مصطفى والسيد مجتبى والسيد مسعود والسيد ميثم) والسيد علي خجستة (أخي زوجته)

السيارة التي اشتراها المرحوم الحاج أحمد قديريان لسماحة الإمام القائد وأرسلها إلى إيرانشهر.

إلى جانب السيد فخر الدين رحيمي

إيرانشهر

من اليسار: الشيخ كاظم راشد يزدي والحاج السيد فخر الدين رحيمي والحاج السيد علي موسوي شالي

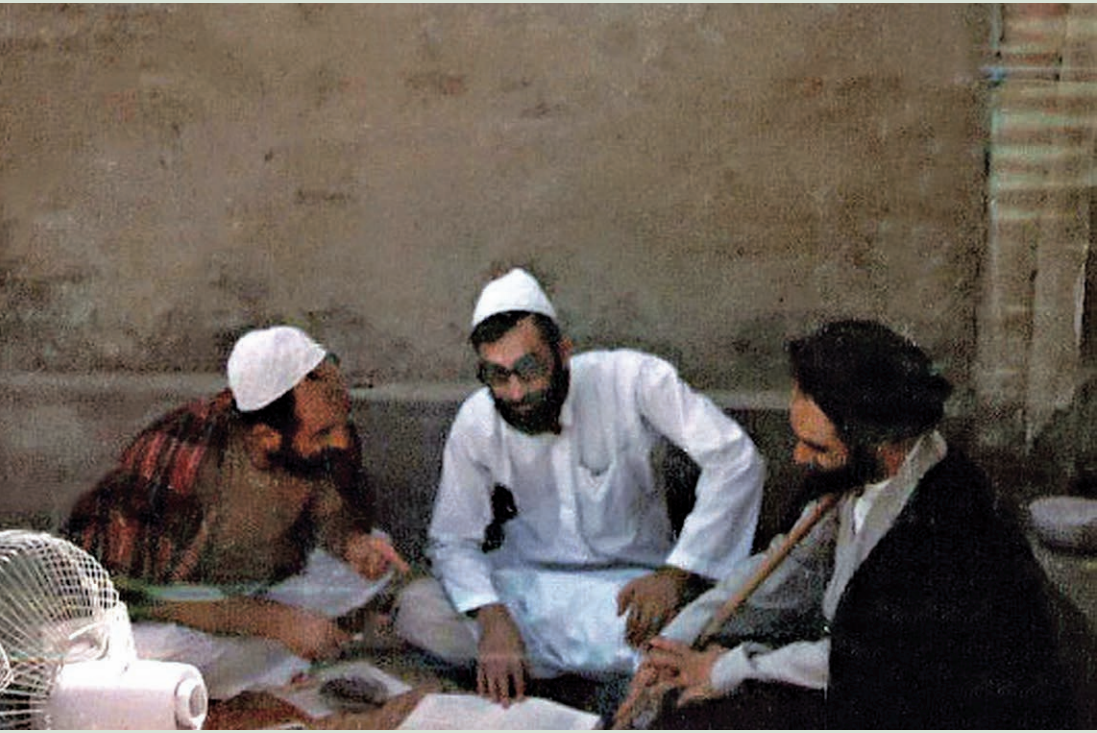

إيرانشهر، دار المنفيين

إلى جانب السيد فخر الدين رحيمي (على اليمين) والشيخ كاظم راشد يزدي (على اليسار)

إيرانشهر، دار المنفيين

إلى جانب السيد فخر الدين رحيمي وابنه الصغير (محمد أمين)

في منطقة بزمان

الثلاث الأوائل على اليمين من أهالي بزمان، الثاني على اليسار الحاج السيد علي موسوي شالي، الرابع على اليمين الشهيد علي أكبر رستمي أول شهيدٍ للثورة في شيراز.

إيرانشهر، دار المنفيين

من اليسار: الحاج الشيخ كاظم راشد يزدي، الحاج السيد علي موسوي شالي، الحاج السيد فخر الدين رحيمي

إيرانشهر، ١٩٧٨/٦/٢٨: إلى جانب محسن رؤوفي والحاج الشيخ كاظم راشد يزدي (على اليمين) والحاج السيد علي موسوي شالي (على اليسار)

إيرانشهر، ١٩٧٨/٦/٣: إلى جانب الحاج الشيخ كاظم راشد يزدي، وأخَوَي رؤوفي (محسن وعلي) في دكّان علي رؤوفي لبيع الأقمشة

مارس / آذار ١٩٧٩، إيرانشهر

الواقفون من اليمين: الحاج رودين بامري، الشيخ كاظم راشد يزدي، الإمام الخامنئي، محسن رؤوفي، شخص غريب، علي بامري، السيد عيسى سجادي، السيد شكر الله سجادي، أحمد بامري، خدارحم ميرأفضلي

الجالسون من اليمين: علي بامري، السيد أشتر سجادي

إلى جانب الشيخ عباس بوريحمدي والشيخ محمد جواد حجتي كرماني
كرمان، فبراير / شباط ١٩٧٩

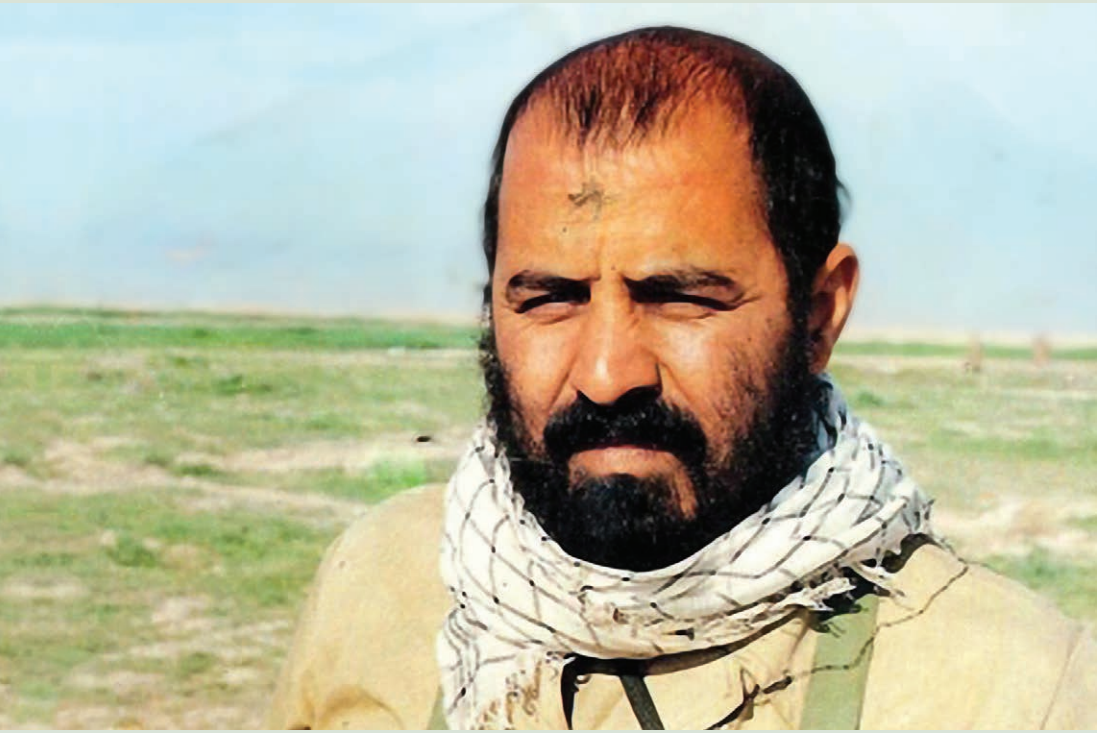

الشهید محمد حسین کریم‌پور

تاریخ الاستشهاد: ۱۹۸۷/۳/۱۰، منطقة شلمجة، عملیات کربلاء الخامسة

الشهيد الدكتور أحمد آتش دست، طالب في قسم الطبية بجامعة أصفهان
تاريخ الاستشهاد: ١٩٨٣/٢/٩، منطقة فكة، عمليات والفجر ١

أبوالقاسم صدیقی، ۱۹۷۷

أبوالقاسم صديق، ٢٠١٦

أبوالشهيد، الحاج علي شمقدري

الحاج علي شمقدري، فناء رئاسة الجمهورية

مشهد المقدسة، محسن رؤوفي، ٢٠١٦

الدار المستأجرة لسماحة الإمام القائد في إيرانشهر
(تعتبر هذه الدار في الوقت الحاضر من آثار التراث الثقافي وقد فُتحت أبوابها لزيارة عامة الناس)

الدار المستأجرة للإمام الخامنئي في جيرفت

زيارة إيرانشهر، في عهد رئاسة الجمهورية، ١٩٨٥

زيارة إيرانشهر، في عهد رئاسة الجمهورية، ١٩٨٥

كان لباسي البلوشي يتناسب مع سحنات وجهي ولحيتي، وكان ارتداؤه في تلك الظروف أفضل من ارتداء لباس علماء الدين بسبب الحظر على خروجي من إيرانشهر. ولاأزال احتفظ بهذا الزي وأرتديه أحيانًا. ص ٣٠

زيارة دار النفي في إيرانشهر، في عهد القيادة، ٢٠٠٢

زيارة دار النفي في إيرانشهر، في عهد القيادة، ٢٠٠٢

زيارة دار النفي في جيرفت، في عهد القيادة، ٢٠٠٥